

التَّيَّهَاتُ السَّانِيَّةُ على العقيدة الواسطية

تأليف

فضيلة الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد
رئيس محكمة التمييز بالرياض

حقوق الطبع محفوظة

٣- دار الرشيد للنشر والتوزيع

التَّيَّيْمَاتُ السَّنِيَّةُ على العقيدة الواسطية

تأليف

فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد
رئيس محكمة التمييز بالرياض

حقوق الطبع محفوظة

٣ - دار الرشيد للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الكبير ، المتعالى عن الشبيه والنظير ، ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ، أحده سبحانه على فضله العزيز ، وأشكره وشاكره بالمزيد جدير ، وأصلى وأسلم على عبده ورسوله محمد البشير النذير ، أهرق الخلق بربه وأنصحهم لأمتهم وأقدرهم على الإيضاح والتفسير ، وعلى آله وأصحابه الذين اقتفوا آثاره واستضاءوا بأنواره وسلكوا السبيل المستنير ، وعضوا على سنته بالنواجذ وحكموها فى القليل والكثير ، وعلى أتباعهم الذين ورثوا علمهم واقتفوا أثرهم بدون غلو ولا تقصير .

(أما بعد) فقد طلب منى بعض أبنائنا طلبة المعهد العلمى التعليق على (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، فاعتذرت بقصر الباع ، وقلة الاطلاع ، فلم يند فيهم معذرة ولا إقناع .

فإسمافاً لطلبتهن ، ونزولا على رغبتهن ، أقدمت على التعليق ، ملتقطاً ما نقلته من كتب أهل الإلتقان والتحقيق ، وكان غالب استمدادى من كتب الشيخين : شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية رحمهم الله تعالى ، وصميت هذا التعليق (التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية) والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم موجبا للفوز لديه فى جنات النعيم .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله

قوله (الحمد لله) الألف واللام للاستغراق ، فجميع أنواع الحمد كلها لله سبحانه ملكا واستحقاقا . وهو لفظة الثناء بالصفات الجميلة ، والأفعال الحسنة ، وهرفاً فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : الحمد هو ذكر صفات المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله ، فإن تجرد عن ذلك فهو مدح ، فالفرق بينهما أن الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخباراً مجرداً من حب وإرادة أو مقروناً بحبه وإرادته . فإن كان الاول فهو مدح وإن كان الثاني فهو الحمد .

قوله (لله) لفظ الجلالة هلم على ذاته سبحانه وهو أعرف المعارف على الإطلاق .

وقال بعض العلماء : إنه الاسم الأعظم وذكر في القرآن في (٢٣٦٠) ألفين وثلاثمائة وستين موضعاً ، وهو يتناول معاني سائر الأسماء بطريق التضمين ، وهو مشتق من أله يأله إذا عبد فهو إله بمعنى مألوه أى معبود ، فالإله هو المألوه الذي تأله القلوب ، وكونه مستحقاً للالوهية مستلزماً لصفات الكمال فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا هو ، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل ، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد كما قال تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)

قوله (الذي أرسل رسوله) أى بعث رسوله . والرسول إنسان ذكر أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه . وأما النبي فهو مأخوذ من النبأ وهو الإخبار لأنهم يخبرون عن الله أو من النبوة وهى الرفعة لارتفاع رتب الأنبياء عليهم السلام ، وهو إنسان أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، فكل رسول نبي ولا ينمكس ، وعدد الأنبياء

عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً كما جاء فى حديث أبى ذر ، وقيل لا يعرف عددهم بدليل قوله سبحانه (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية) وأما عدد الرسل فهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما فى الحديث المذكور .

وأولو العزم منهم خمسة كما ذكر ذلك البغوى عن ابن عباس وغيره وهم :

محمد . وإبراهيم . وموسى . وعيسى . ونوح عليهم السلام ونظمهم بعضهم بقوله :

محمد إبراهيم موسى كليمه
فميسى فنوح هم أولو العزم قاهم

وهم فى الفضل على هذا الترتيب المذكور فى البيت .

قوله (بالحدى) أى العلم النافع . قوله (ودين الحق) أى العمل الصالح .

قوله (ليظهره) أى يعليه وينصره ظهوراً بالحجة والبيان ، والسيف والسنان ، حتى يظهر على مخالفيه . وقد وقع ذلك ، فان المسلمين جاهدوا فى الله حق جهاده حتى فتح الله عليهم فاتسعت رقعة البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً فى مدة يسيرة مع قلة عددهم وعدتهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والبربر وغيرهم قهروا الجميع حتى علت كلمة الله ، وظهر دينه على سائر الأديان وامتدت الممالك الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها فى أقل من ثلاثين عاماً .

قوله (على الدين كله) أى على سائر الأديان ، كما ثبت فى الصحيح من حديث ثوبان أن رسول الله ﷺ قال « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها » وما فى هذا الحديث أخبر به الرسول ﷺ فى أول الأمر وأصحابه فى غاية القلة : قبل فتح مكة فكان كما أخبر فان ملكهم انتشر فى المشرق والمغرب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة فى المغرب حيث لاعارة وراه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ، وفى حديث جابر « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله) أخرجه فى الصحيحين

وكفى بالله شهيداً . وأشهد أن لا إله إلا الله

قوله (وكفى بالله شهيداً) أى شاهداً أنه رسوله وهو ناصره ومعلمه ، وكفى بشهادته سبحانه إثباتاً لصدقه وكفى بالله شهيداً أى فى علمه وإطلاعه على أمر محمد كفاية فى صدق هذا الخبر عنه إذ لو كان مفترياً لمجاهله بالمعقوبة البليغة كما قال تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . الآية)

ومن أسمائه سبحانه الشهيد . قال الله تعالى (أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) أى أنه لا يغيب عنه شيء ، ولا يعزب عنه ، بل هو مطلع على كل شيء . مشاهد له عليم بتفاصيله ، فشهد سبحانه لرسوله أن ما جاء به حق وصدق ، فلا يليق به سبحانه أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب ، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه ثم ينصره ويؤيده ويملى شأنه ، ويوجب دعوته ، ويظهر على دينه من الآيات والبراهين ما يميز عن مثله قوى البشر ، وهو مع ذلك كاذب عليه ومفتر ، ومعلوم أن شهادته سبحانه على كل شيء وإطلاعه وقدرته وحكمته وعزته وكله يأبى ذلك أشد الإباء ، ومن جواز ذلك فهو من أبعد الناس عن معرفته سبحانه : انتهى من كلام ابن القيم رحمه الله سبحانه وتعالى باختصار .

قوله (أشهد) أى أقر وأعترف أن لا معبود بحق فى الوجود إلا الله ، وتأتى (شهد) بمعنى أخبر كما فى حديث ابن عباس : شهد هندی رجال مرضيون وأرضاهم هندی عمر ، أى أخبرنى ، وتأتى بمعنى حضر ، كما فى قوله سبحانه (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى حضر ، وتأتى بمعنى اطلع كما فى قوله سبحانه (والله على كل شيء شهيد) أى مطلع . أفاده ابن القيم رحمه الله فى كتابه بدائع الفوائد .

قوله (أن لا إله إلا الله) أن مخففه من الثقلية .

قوله (لا إله إلا الله) أى لا معبود بحق فى الوجود إلا الله سبحانه وهذا معنى هذه الكلمة العظيمة التى تدل عليه الأدلة . خلافاً لمن زعم أن معناها القدرة على

الاختراع كما يقوله الاشاعرة ، فإن المشركين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور ولم يدخلهم ذلك في الإسلام ، بل قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماهم وأموالهم ، ولما قال لهم رسول الله ﷺ اعبدوا الله وأتركوا ما كان يعبد آباؤكم ، يقولوا لا إله إلا الله ، أنكروا ذلك ونفروا وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، فدل على أن معنى هذه الكلمة هو إفراد الله بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه .

وهذه الكلمة هي أول واجب وأعظم واجب على الإطلاق كما في الصحيح من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « فليكن أول ما تدعوه من إله شهادة ألا إله إلا الله » وفي رواية « إلى أن يعبدوا الله » فدل على أن التوحيد هو أول واجب على العباد ، خلافاً لمن زعم أن أول واجب معرفة الله بالنظر أو القصود إلى النظر أو الشك كما هي أقوال لأهل الكلام المذموم ، فإن معرفة الله فطرية فطر الله عليها عباده ، قال تعالى (أفإن شك فاطر السموات والأرض) أي أفى وجوده شك ، فإن الفطر شاهدة بوجوده مجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة كما قال ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه »

ولهذه الكلمة أركان وشروط إلى غير ذلك من الأبحاث المتعلقة بهذه الكلمة العظيمة .

فأركان لا إله إلا الله اثنتان : النفي والاثبات ، فلا إله نافياً لجميع المعبودات وإلا الله مثبتاً العبادة لله سبحانه ، وشروطها سبعة : العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والافتقار والقبول ، ونظمها بعضهم بقوله : —

علم يقين وإخلاص وصدق مع محبة وافتقار والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما غير الإله من الأوثان قد أُلها

وتحقيقها أن لا يعبد إلا الله كما أن تحقيق شهادة أن محمد رسول الله أن لا يعبد الله إلا بما شرع .

وحق هذه الكامة ، هو فعل الواجبات وترك المحرمات . وأما فائدتها وثمرتها فمساعدة الدارين لمن قالها عارفاً بمعناها عاملاً بمقتضاها . وأما مجرد النطق بها فقط فانه لا ينفع .

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى : من اعتقد انه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة ولا يدخل النار فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والإجماع ..

وأما فضلها فقد مكثرت الأحاديث في فضل هذه الكامة . منها حديث عبادة ابن الصامت المتفق عليه أن النبي ﷺ قال « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى صريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » وفي حديث أبي سعيد الخدري « أن موسى عليه السلام قال : يارب علني شيئاً أذكرك وأدعوك به ، قال : قل يا موسى لا إله إلا الله » الحديث .

وفي هذا الحديث وغيره إرد على من زعم أن الذكر بالاسم المفرد (الله الله) أفضل من الذكر بالجملة المركبة ، كقوله سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وهذا فاسد ، فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلاً ولا مفيد شيئاً ولا هو كلام ، ولا يدل على مدح ولا تعظيم ، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل الذكر به في عقد الاسلام جملة ، فلو قال الكافر (الله الله) طول عمره لم يصير بذلك مسلماً فضلاً أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الاذكار ، إلى آخر ما ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه « سفر المهجرتين » .

وأما نواقض لا إله إلا الله فكثيرة جداً ذكرها العلماء في باب حكم المرتد ، وأعظمها الشرك بالله .

وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا

وأما إعراب هذه الكلمة فلا نافية للجنس تعمل حمل إن (وإله) اسمها مبنى معها على الفتح وخبرها محذوف والتقدير حق (وإلا) أداة استثناء ملغاة ولفظ الجلالة مرفوع على البدلية .

وأما دلالتها على التوحيد فاتها دلت على أنواع التوحيد الثلاثة ، فدللت على إثبات العبادة لله ونفيها عن سواه . كما دلت أيضا على توحيد الربوبية ، فإن العاجز لا يصلح إلها ، ودلت على توحيد الاسماء والصفات فإن مسلوب الاسماء والصفات ليس بشيء بل هو عدم محض كما قال بعض العلماء : المشبه يعبد صنما والمعتل يعبد عدما والموحد يعبد إله الأرض والسماء .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الالهيات وهي الاصول الثلاثة . توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وتوحيد الاسماء والصفات . وهذه الاصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أنزل إليهم ، وهي الاصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والنفوس .

قوله (وحده) فيه تأكيد للإثبات . وقوله (لا شريك له) تأكيد للنفي .

قال الحافظ بن حجر رحمه الله : تأكيد بعد تأكيد اهتماما بمقام التوحيد .

وقوله (إقرارا به) أى اعترافا . وقوله (وتوحيدا) مصدر وحد يوحد توحيدا أى جعله واحدا أى فردا فهو أفراد الله بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وأفعالا . وسمى دين الاسلام توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد فى ملكه وأفعاله وواحد فى ذاته وصفاته لا نظير له ، وواحد فى ألوهيته وعبادته لا ند له ، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الانبياء والمرسلين ، وهذه الثلاثة متلازمة كل نوع منها لا يتفك عن الآخر ، فتوحيد الربوبية هو الاقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت المدبر لجميع الامور ، وهذا النوع من التوحيد أقرب به المشركون ولم

يدخلهم إقرارهم به في الإسلام . النوع الثاني توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة وهذا النوع هو الذي فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم .

النوع الثالث توحيد الأسماء والصفات ، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، وإن شئت قلت : التوحيد ينقسم إلى قسمين كما ذكره ابن القيم في النونية .

(أحدهما) التوحيد الفعلي وهو المسمى بتوحيد الألوهية ، مسمى فعلياً لأنه يتضمن لأفعال القلوب والجوارح ، فأفعال القلوب كالرجاء والخوف والمحبة ، والجوارح كالصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك ، فهو إفراد الله بأفعال العبيد .

(النوع الثاني) التوحيد القولي الاعتقادي ، مسمى بذلك لاشتماله على أقوال القلوب وهو احترامها واعتقادها ، وعلى أقوال اللسان ، وهذا النوع هو المسمى بتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية .

والتوحيد القولي ينقسم إلى قسمين : الأول النفي والثاني الإثبات ، فالنفي ينقسم إلى قسمين (الأول) نفي النقائص والعيوب عن الله (والثاني) نفي التشبيه والتعطيل عن أسمائه وصفاته .

والثاني الإثبات وهو إثبات صفات الكمال لله ، ثم السلب أيضاً ينقسم إلى قسمين : الأول سلب متصل والثاني سلب منفصل ، فالأول نفي ما يناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من كل ما يصاد الصفات الكاملة من النقائص والعيوب كاللوث والإعياء والنوم والنماس والجهل والعجز ونحو ذلك . والثاني سلب منفصل وهو تنزيه سبحانه عن أن يشاركه في خصائصه التي لا تكون لغيره كالشريك والظهير والشفيع بغير إذنه ، ونفي الزوجة والولد ونحو ذلك .

وأما ضد التوحيد : فتوحيد الربوبية ضده اعتقاد مدبر أو خالق مع الله سبحانه وتعالى ، وضد توحيد الألوهية هو الإعراض عن عبادته أو عبادة غيره معه ،

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً مزيداً

و ضد توحيد الاسماء والصفات شيثان : التشبيه والتعطيل .

قوله (محمد) هذا أحد أممائه وَاللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قيل سمي به لكثرة خصاله الحميدة ، وهو اسمه الذي في التوراة ، وأما اسمه أحمد فهو الذي بشر به المسيح عليه السلام كما قال سبحانه وتعالى (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) الآية

قوله (عبده) أضافه إليه إضافة تشريف وتعظيم ، ووصفه بالعبودية بأشرف أحواله مقام الارسال والامراء والتحدى ، ومعنى العبد هنا المملوك العابد والعبودية الخاصة وصفه وَاللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما قال سبحانه (أليس الله بكاف عبده) وأعلى مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة ، والنهي وَاللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين ، وأما الربوبية والالوهية فهما حق لله لا يشركه فيها أحد ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلاً عن غيرها .

وفي قوله (عبده ورسوله) إشارة للرد على أهل الافراط والتفريط ، أهل الافراط الذين خلوا فيه ورفعوه عن منزلته وارتكبوا ما نهى وَاللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ من الفلو ، وأهل التفريط الذين يشهدون أنه رسول الله حقاً ومع ذلك قد نبذوا ما جاء به وراء ظهورهم ، واعتمدوا على الآراء المخالفة لما جاء به ، فان شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي الايمان به وطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر ، فما أثبتته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه ، فشهادة أن محمداً رسول الله كما تقتضي الايمان به تقتضي الايمان بجميع الرسل لما بينهما من التلازم ، وكذلك الكتب التي جاءت بها الرسل .

قوله (وصلى الله على نبينا) صلاة الله على عبده هو ثنائوه في الملائكة والاهل كما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية ، وقيل الرحمة والصواب الاول لوجوه عديدة ذكرها ابن القيم في بدائع الفوائد وجلاء الافهام .

قوله (وعلى آله) أي أتباعه على دينه كما هو رواية عن أحمد وعليه أكثر الاصحاب

أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية

وعلى هذا فيشمل الصحابة وغيرهم من المؤمنين .

قوله (وسلم) السلام بمعنى التحية أو السلامة من النقائص والذائل ، ومن أسمائه سبحانه السلام لسلامته من النقائص والعيوب كما قال ابن القيم في النونية .

وهو السلام على الحقيقة سالم من كل ما عيب ومن نقصان
وجمع المصنف بين الصلاة والسلام . امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى (صلوا عليه
وسلموا تسليماً) .

قوله (مزيداً) أى زائداً من الزيادة وهى النور .

قوله (أما بصدد) هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر
ويندب الإتيان بها فى الخطب والمكاتبات كما كان عليه السلام يأتي بها فى خطبه ومكاتباته
رواه عبد القاهر الراوى فى الأربعين له عن أربعين صحابياً .

قوله (اعتقاد) الاعتقاد لغة الربط والجزم ، اعتقدت كذا عقدت عليه القلب
والضمير انتهى مصباح وعرفه بعضهم اصطلاحاً بقوله هو حكم الذهن الجازم فان
طابق فصحيح وإلا ففساد .

قوله (الفرقة) أى الطائفة والجماعة ، وأما الفرقة بالضم فمعناه الافتراق .

قوله (الناجية) أى التى سلمت من الهلاك والشرو فى الدنيا والآخرة وحصلت على
النساعة بسبب استقامتها على الحق وتمسكها بما كان عليه عليه السلام وأصحابه كما فى حديث
أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه السلام « افترقت اليهود على إحدى أو
ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت
أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ، وحديث ابن
ماجه مختصر ، وقال الترمذى حسن صحيح ، وعن معاوية رضى الله عنه أنه قال ألا
إن رسول الله عليه السلام قلم فىنا فقال « إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على

الثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة مستترق على ثلاث وسبعين : اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة « رواه أبو داود ، وفي رواية الترمذي « كلهم في النار إلا واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله ؟ فقال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » وقال هذا حديث غريب مفسر لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد أخطأ بعضهم في تعريف الفرقة الناجية أنها أهل الحديث والاشعرية والماتريدية ، فان لفظ الحديث يرد ذلك فان قوله (واحدة) ينافي التعدد ، فتعين أن تكون الفرقة الناجية هم أهل الحديث فقط وهم أهل السنة والجماعة .

قوله (المنصورة) أى التى أعانتها سبحانه وأيدها وقواها على من خالفها وعادها ، وجعل العاقبة لها لتمسكها بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه . كما فى الصحيح من حديث المنيرة عن النبي ﷺ قال « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتهم أمر الله وهم ظاهرون » وفى حديث جابر بن سمرة وجابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من نخذلهم حتى تقوم الساعة » رواه مسلم وغيره .

قال البخارى وغيره : هذه الطائفة هم أهل العلم . وقال أحمد : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم ، وكذا قال يزيد بن هارون قال : قال القاضى عياض إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتمد مذهب أهل الحديث .

ففيه أعظم بشارة - أن الحق لا يزول بالكافة - وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ فانه لم يزل والله الحمد هذا الوصف باقياً ولا يزال ، وهذا سنة الله فى خلقه انه ينصر عباده المؤمنين كما قال سبحانه (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا نصر المؤمنين) وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « قال الله عز وجل من عادى لي ولياً فقد بارزنى بالحرب » ولهذا أهلك

إلى قيام الساعة ،

الله 'قوم نوح وعاد ونمود وأشباههم ممن كذب الرسل وأنجبي عباده المؤمنين ، وهكذا نصر الله نبيه محمد وأصحابه على من خالفه وناوأه وعاداه ، فجعل كلمته العليا ، ودينه الظاهر على سائر الأديان ، وفتح الله عليه مكة والمين ، ودانت له جزيرة العرب بكاملها وأقام الله أصحابه وخلفاءه من بعده فبلغوا عنه دين الله ودعوا إلى الله وفتحوا البلاد والأقاليم حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها ، ثم لا يزال هذا الدين قائماً منصوراً إلى قيام الساعة كما قال الله سبحانه (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أى يوم القيامة تكون النصره أعظم وأجل .

وعن أبي عتبة الخولاني قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يزال الله يفرس في هذا الدين فرساً يستعملهم في طاعته » رواه ابن ماجه .

قل نعيم بن طريف رحمه الله عن أحمد أنه قال هم أصحاب الحديث ، وفي السنن « أن الله يبعث لهذه الامة في رأس كل مائة سنة من يجهدها دينها » وقال على رضى الله عنه لن تخلو الأرض من قائم لله بحجته

قوله (إلى قيام الساعة) أى ساعة موثهم بمجيء الريح التي تقبض روح كل مؤمن وهي الساعة في حق المؤمنين وإلا فالساعة لا تقوم الا على شرار الخلق كما في صحيح مسلم « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » والمراد بالريح ما روى الحاكم أن عبد الله بن عمرو قال : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، هم شر أهل الجاهلية وقال عتبة لعبد الله : أعلم ما تقول ، وأما أنا فسمعت النبي ﷺ يقول : لا يزال عصاة من أمي يقتلون على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك ، قال عبد الله : ويبعث الله ريحاً ريح المسك ومسها مس الحرير فلا تترك أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس فضليم تقوم الساعة .

أهل السنة والجماعة

وقوله (أهل السنة) أى المختصون والمتمسكون بها والمعتنون بدراستها وفهمها المحكمون لها فى القلول والكثير ، والسنة لغة الطريقة وشرعاً هى أقوال النبی وأفعاله وتقريراته ، وصموا أهل السنة لانتسابهم لسنة ﷺ دون المقالات كلها والمذاهب ، وقد سئل بعضهم عن السنة فقال مالا اسم له سوى السنة ، يعنى أن أهل السنة ليس لهم اسم ينتسبون إليه سواها خلافاً لأهل البدع ، فانهم تارة ينتسبون إلى المقالة كالقدرية والمرجئة ، وتارة إلى القائل كالجمية والتجارية ، وتارة إلى الفعل كالروافض والخوارج ، وأهل السنة يريثون من هذه النسب كلها ، وإنما نسبهم إلى الحديث والسنة .

قوله (والجماعة) لغة الفرقة من الناس ، والمراد بهم هنا أصحاب النبی ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة ، وقد تكاثرت الأدلة فى الحث على لزوم الجماعة فروى الترمذى عن ابن عباس مرفوعاً « إن يد الله على الجماعة » وعن أبي ذر مرفوعاً : عليكم بالجماعة إن الله لم يجمع أمى إلا على هدى ، رواه أحمد . وعن أبي ذر مرفوعاً « من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » رواه أحمد وأبو داود . قال أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بابي شامة فى كتاب (الباعث على إنكار البدع والحوادث) حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة ، فإن المراد بها لزوم الحق وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً ، لأن الحق هو الذى كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبی ﷺ ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بدم ، وقال ميمون بن مهران قال ابن مسعود رضى الله عنه : الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك . وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فمليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ، ذكره البيهقى وغيره .

قال ابن القيم فى كتابه أهلام الموقعين : وأعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم

وهو الإيمان بالله

هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده ، وإن خالفه أهل الأرض ، وقد شذ الناس كلهم زمن الإمام أحمد بن حنبل إلا نفرأ يسيراً فكانوا هم الجماعة ، وكان الفقهاء والمفتون والخليفة وأتباعه هم الشاذين ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ، ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة : يا أمير المؤمنين تكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل ، وأحمد وحده على الحق ، فلم يتسع علمه لذلك ، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل ، فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيح لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم ، مضى عليها سافهم وينتظرها خلفهم (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) ولا حول ولا قوة إلا بالله . انتهى بتصرف

ذكر المصنف رحمه الله أن الاعتقاد النافع المنجى من الشرور الذي هو سبب العزة والنصر والتأييد والرفعة والشرف ، هو الاعتقاد المأخوذ من الكتاب والسنة ، وهو الذي عليه الصحابة وتابعوم بإحسان ، وأصله الذي يبنى عليه هو هذه الاصول الستة المذكورة في حديث جبريل في هذه الرسالة من أولها إلى آخرها تفصيل لهذه الاصول الستة المذكورة في هذا الحديث وغيره من الآيات ، قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) الآية وقال (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) الآية ، وهذه الاصول الستة انتمت عليها الانبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل ، وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها .

قوله (الإيمان بالله) الإيمان معناه لغة التصديق ، قال الله سبحانه وتعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أى مصدق ، وكذلك إذا أقرن بالعمل فعناه التصديق ، قال الله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

أما الايمان في الشرع فهو قول وعمل واعتقاد ، وذكر بعضهم إجماع السلف على ذلك ، ومعنى الايمان بالله إثبات وجوده سبحانه وأنه متصف بصفات الجلال والعظمة والكمال ، منزه من كل عيب ونقص وأنه مستحق للعبادة لا إله غيره ولا رب سواه قوله (وملائكته) أى التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله سبحانه وتعالى (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) فيجب الايمان بهم إجمالا فيما لم نعلمه تفصيلا ، أما من علم عينه كجبريل وميكائيل وإسرافيل ونحوهم فيجب الايمان بأعيانهم .

أما عددهم فلا يعلمه إلا الله ، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة ، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات : منهم موكلون بالسحاب والمطر ، ومنهم موكلون بالأرحام ، ومنهم موكلون بحفظ بنى آدم ، ومنهم موكلون بحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته ومنهم الموكلون بالموت والسؤال فى القبر إلى غير ذلك من أصناف الملائكة مما لا يعلمه إلا الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وما تقدم يعلم بطلان قول من قال إن الملائكة لا عقول لهم ، فقد تقدم أن منهم السفراء بين الله ورسله والموكلين بأصناف المخلوقات إلى غير ذلك مما تواترت به الأدلة من صفاتهم وما كلفهم الله به ، وما جاءت به الأدلة من عبادتهم العظيمة وخوفهم من الله سبحانه وتعالى ، فهل يصدق عاقل أو من شىء رائحة الايمان بما زعمه هذا السفیه ، لا شك أن هذا قول باطل مصادم لأدلة الكتاب والسنة .

وقوله (وكتبه) أى التصديق بأنها كلام الله ، وأنها حق ونور وهدى فيجب الايمان بما صمى الله منها من التوراة والانجيل والزيور ، ونؤمن بأن الله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسمائها وعددها إلا الله سبحانه قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) الآية وغيرها من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها

ورسله والبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره . ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه

حقاً ، وأنها أنزلت من عنده ، وفي ذلك إثبات صفة الكلام والعلو : أما الايمان بالقرآن فالإقرار به واتباع ما فيه وذلك أمر زائد على الايمان بغيره من الكتب . قوله (ورسله) أى التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الامانة وأنهم بينوا ما لا يسع أحد آمن أرسلوا إليهم جهله ولا يحل خلافه وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بينهم ، فيجب الايمان بمن سمي الله في كتابه من رسله وأن الله رسله غيرهم وأنبياء لا يعلم ما دهم إلا الله ، فعلينا الايمان بهم جملة لأنه لم يأت نص صحيح في عددهم ، وقد قال تعالى (ورسلنا قد قصصناهم عليك ورسلنا لم نقصهم عليك) الآية ، وقد سبق الكلام في هذا الموضوع

فيجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين وتصديقهم بكل ما أخبروا به من الغيب وطاعتهم في كل ما أمروا به ونهوا عنه ، قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) قال ابن رجب رحمه الله تعالى : والايمان بالرسول يلزم منه الايمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والانبياء والكتب والبعث والقيام وغير ذلك من صفات الله وصفات اليوم الآخر كالصراط والميزان والجنة والنار ونحو ذلك .

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا ﷺ ، والأفضل بعده أولو العزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الانبياء ، ولا يبلغ الولي مهما بلغ من الجدة والاجتهاد في طاعة الله درجة الانبياء عليهم السلام ، وقد شنع الشيخ تقي الدين رحمه الله على من يزعم ذلك ورد عليه أسوأ رد وقال إن ذلك مخالف لدين الاسلام واليهود والنصارى .

وأما الكلام على قوله (والبعث بعد الموت والايمان بالقدر) فسيأتى إن شاء الله قوله (ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه) فنجد صفات الله سبحانه

وتعالى فليس بمؤمن ، قال تعالى (وهم يكفرون بالرحمن) الآية ، وكذلك من عطلها أو شبهها بصفات خلقه ، قال نعيم بن حماد : من شبه الله بخلقه كفر ومن نفى ما وصف به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشديهاً وقال ابن القيم رحمه الله في النونية :

من شبه الله العظيم بخلقه فهو النسيب لمشرك نصراني
أو عطل الرحمن من أوصافه فهو الكفور وليس ذا إيمان
وفي قوله (بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله) إثبات أن صفاته سبحانه وتعالى إنما تتلقى من السمع لا بآراء الخلق ، فصفاته سبحانه مبنية على التوقيف فلا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ .

قال أحمد رحمه الله : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث .

قال ابن القيم رحمه الله في البدائع : ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه في باب الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالشيء والموجود والتقديم ونحو ذلك .

ذكر المصنف رحمه الله تعالى هذا الأصل العظيم في باب الأسماء والصفات فيناسب أن نضم إليه عدة أصول مجموعة من كتب المحققين لتكون كالقدمة .

أولاً : إن أسماء الله وصفاته غير محصورة بعدد معروف ، وأما حديث « إن الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » فليس فيه حصر لها وإنما غاية ما فيه أن هذه الأسماء موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة ، كما تقول عندي مائة عبد عدتهم للجهاد في سبيل الله ، فلا ينافي أن لديك عبيداً غيرهم أعدتهم لغير ذلك .

ثانياً : أن الصفات تنقسم إلى قسمين :

الأولى : صفات ذاتية وهى التى لا تنفك عنه بحال ، كالغنى والقدرة والعلو والرحمة ونحو ذلك من الصفات التى هى من لوازم ذاته .

القسم الثانى : صفات فعلية ، وهى كل صفة تعلقت بمشيئته وإرادته ، ويعبر عنها بالأفعال الاختيارية كالاستواء والمجىء والنزول ونحو ذلك .

ثالثاً : أركان الإيمان بالاسماء والصفات ، الإيمان بالصفة وما دلت عليه من المعنى وبما تعلق بها من الآثار ، فتؤمن بأنه عليه وذو علم عظيم وأنه لا تخفى عليه خافية . رابعاً : ليس فى أسماء الله وصفاته نفى محض ، بل كل نفى وجد فى أسماء الله وصفاته فهو لإثبات كمال ضده ، إذ النفى المحض عدم ، والعدم ليس بشئ ، فضلاً عن أن يمدح به كما قال تعالى (ولا يظلم ربك أحداً) أى لكمال عدله ، ولا يؤوده حفظهما ، أى لكمال قوته واقتداره .

خامساً : طريقة أهل السنة والجماعة ، هو الاجمال فى النفى والتفصيل فى الاثبات كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، قال تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) فأجمل فى النفى وفصل فى الاثبات ، وهذا عكس ما عليه أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وأشباههم فانهم يجملون فى الاثبات ويفصلون فى النفى .

سادساً : أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته هى بالنظر إلى الذات من قبيل المترادف وبالنظر إلى الصفات من قبيل المتباين .

سابعاً : أسماء الله سبحانه وصفاته حقيقة ، وليست من قبيل المجاز خلافاً للبتدعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، فعلى كلام هؤلاء لا يكون سبحانه حياً حقيقة ولا مرئياً حقيقة ولا قادراً ، تعالى الله عن قولهم ، وهذا لازم لسكل من ادعى المجاز فى أسماء الرب وصفاته وأفعاله لزوماً لا محيد عنه ، وكفى أصحاب هذه المقالة كفرآ

ثامناً : أسماؤه سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين : أعلام وأوصاف ، والوصفية فيها لا تنافى العلمية ، بخلاف أوصاف العباد

تاسعا : للاسم من أسمائه ثلاث دلالات : دلالة على الذات والاسم بالمطابقة ، وعلى أحدهما بالتضمن وعلى الصفة الأخرى بالالتزام ، مثاله اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة وعلى الذات وحدها والسمع وحده بالتضمن ، ويدل على الحى وصفة الحياة بالالتزام ، وكذلك سائر أسمائه وصفاته

عاشرا : إذا كانت الصفة منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بطلاقها في أسمائه سبحانه بل يطلق عليه منها كمالها كالمرید والصانع ، فان هذه الالفاظ لا تدخل في أسمائه ، فان الصنع والارادة منقسمة إلى محمود ومذموم

الحادى عشر : لا يلزم من الاخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق وقد غلط من جعل من أسمائه الماسك والفاس والمضل ، تعالى الله عن قولهم ، ثم إنه على فهم هذا الغلط أن يجعل من أسمائه الجائى والفضبان ونحو ذلك من الاسماء التى أطلقت عليه أفعالها ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ، انتهى من كلام ابن القيم ملخصا اثنا عشر : الاسماء والصفات التى تستعمل فى حق الخالق والمخلوق ، كالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحو ذلك هى حقيقة فى الخالق والمخلوق خلافا للجهمية

قال ابن القيم : وهذا قول عامة العقلاء وهو الصواب
الثالث عشر : أسماء الله وصفته من قبيل المحكم وليست من التشابه ، فان معناها واضح معروف فى لغة العرب ، وأما السكنة والسكيفية فهو مما استأثر الله بعلمه
الرابع عشر : لا يلزم من اتحاد الإسمين تماثل معانيهما ، فان الله سمي نفسه بأسماء تسمى بها بعض خلقه ، وكذلك وصف نفسه بصفات وصف بها بعض خلقه ، فلا يلزم من ذلك التشبيه فقد وصف نفسه بالسمع والبصر والعلم والقدرة ، ووصف بذلك بعض خلقه ، فليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير فصفات كل موصوف تناسب ذاته وتليق به ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق

خامس عشر : ذكر الشيخ تقي الدين فى كتابه (التدمرية) أصليين عظيمين

من غير تحريف

نافعين في هذا الباب (الاول) القول في الصفات كالقول في الذات ، فكما أننا ثبتت لله ذاتاً لا تشبه الذوات فيجب أن نثبت له صفاتاً لا تشبه الصفات ، فالصفات فرع الذات يحدى فيها حدوها .

الثاني : القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر إذ لا فرق ، فن أثبت بعض الصفات ونفى البعض الآخر كالأشاهرة فقد تناقض ، إذ الدليل الذي ثبتت به الصفات التي أقروا بها يوجد مثله أو أقوى منه يثبت البعض الآخر ، إلى غير ذلك من الأصول العظيمة التي ذكرها الشيخ تقي الدين وابن القيم وغيرهم من المحققين في كتبهم ، وقد أفردنا تلك الأصول في رسالة مفردة فارجع إليها .

قوله (من غير تحريف) أى تغيير لألفاظ الاسماء والصفات أو تغيير لمعانيها ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى الذين يحرفون الكلام عن مواضعه ، كما قال الله سبحانه وتعالى عن اليهود (من الذين هادوا يحرفون الكلام عن مواضعه) أى يغيرونه ويفسرونه بغير معناه ، فالتحريف لغة التغيير وإمالة الشيء عن وجهه ، يقال انحرف عن كذا أى مال وعدل ، واصطلاحاً هو التغيير لألفاظ الاسماء والصفات أو معانيها كقول الجهمية في قوله سبحانه (الرحمن على العرش استوى) أى استولى ، وقوله (وجاء ربك) أى أمره ، فالتحريف ينقسم إلى قسمين (الاول) تحريف اللفظ كقولهم (وكلم الله موسى تكليماً) بنصب لفظ الجلالة وكقولهم فى استوى استولى ، وجاء ربك أى أمره ويروى أن جهياً طلب من أبى عمرو بن العلاء أحد القراء يقرأ (وكلم الله موسى تكليماً) بنصب لفظ الجلالة فقال له :هبنى فمات ذلك فما تصنع بقوله (وكلمه ربه) فهبت الجهمى .

(الثانى) التحريف المعنوى : كقولهم فى قوله سبحانه وتعالى (وكلم الله موسى تكليماً) أى جرحه بأضافير الحكمة تجريحاً .

قال ابن القيم رحمه الله . والتحريف نوعان تحريف اللفظ وتحريف المعنى ، فتحريف اللفظ المدول عن جهته إلى غيرها ، إما بزيادة أو نقصان ، وإما بتغيير حركة إعرابية أو غير إعرابية ، فهذه أربعة أنواع ، وأما تحريف المعنى فهو المدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته ، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما .

قوله (ولا تعطيل) وهو لغة الإخلاء ، يقال حيد عطل ، أى خال من الزينة ، قال الشاعر :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هى نصته ولا بمعطل
وأما معناه هذا فهو جحد الصفات وإنكار قيامها بذاته سبحانه ونفى مادلت عليه
من صفات الكمال . وأول من قال بالتعطيل فى الإسلام الجعد بن درهم قتلته خالد بن عبد
الله القسرى بعد استشارة علماء زمانه . قال ابن القيم رحمه الله فى النونية :

ولذا ضحى بجمد خالد الـ قسرى يوم ذبائح القربان
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخى قربان
وتلقى عن الجعد مقالة التعطيل الجهم بن صفوان الترمذى فنشرها وفاضل عنها ،
فلذا نسب المذهب إليه ، فيقال جهمية بفتح الجيم ، والجهم قتله سلم بن أحوز أمير
خراسان ، والتعطيل ينقسم إلى ثلاثة أقسام كما ذكره ابن القيم رحمه الله :

(الأول) تعطيل المصنوع من صانعه كتعطيل الفلاسفة الذين زعموا قدم هذه
المخلوقات وأنها تتصرف بطبيعتها (الثانى) تعطيل الصانع من كماله المقدس بتعطيل
أسمائه وصفاته كتعطيل الجهميه وأشباههم من المعتزلة وغيرهم (الثالث) تعطيل حق
معاملته بترك عبادته أو عبادة غيره معه .

قال ابن القيم رحمه الله : والتعطيل شر من الشرك فإن المعطل جاحد للذات أو
لكمالها وهو جحد لحقيقة الألوهية ، فإن ذاتا لا تسمع ولا تبصر ولا تفض ولا ترضى
ولا تفعل شيئا وليست داخل العالم ولا خارجه ولا متصلة بالعالم ولا منفصلة ولا فوق

ولا تكيف

ولا تحت ولا يمين ولا شمال ، هو والعدم سواء ، والمشارك مقر بالله ، لكن عبد معه غيره ، فهو خير من المعطل للذات والصفات .

قوله (ولا تكيف) وهو تعيين كنه الصفة ، يقال كيف الشيء : أى جعل له كيفية معلومة ، وكيفية الشيء صفته وحاله ، فالتكيف تعيين كنه الصفة وكيفيةها ، وهذا مما استأثر الله به ، فلا سبيل إلى الوصول إليه ، إذ الصفة تابعة للموصوف ، فكما لا يعلم كيف هو إلا هو ، فكذلك صفاته ، فالصفات يحذى فيها حذو الذات وقد سئل مالك رحمه الله تعالى فقيل له (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وكذلك روى عن ربيعة نحوه من هذه الإجابة ، وكذلك روى عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

فقلوه : الاستواء معلوم ، أى فى لغة العرب ، قوله : والكيف مجهول ، أى كيفية استوائه سبحانه وتعالى لا يعلم كنهها وكيفيةها إلا هو سبحانه ، وقوله : والإيمان به واجب لتكاثر الأدلة من الكتاب والسنة فى إثبات ذلك ، والسؤال عنه ، أى عن الكيفية بدعة ، ففرق مالك رحمه الله بين المعنى المعلوم من هذه اللفظة وبين الكيف الذى لا يعقله البشر .

وإجابة مالك رحمه الله تعالى وغيره جواب كاف شاف فى جميع مسائل الصفات ، فإذا سئل إنسان عن المجيء أو النزول أو السمع أو البصر أو غير ذلك ، أجاب بجواب مالك رحمه الله ، فيقال مثلاً : المجيء معلوم والكيف مجهول ، وكذلك من سئل عن الغضب والرضا والضحك وغير ذلك فمانيها كلها مفهومة ، وأما كيفيةها فغير معقولة ، إذ تعقل الكيفية فرع العلم بكيفية الذات وكنهها ، فإذا كان ذلك غير معقول للبشر فكيف يعقل لهم كيفية الصفات .

قوله (ولا تمثيل) التمثيل هو التشبيه ، يقال مثل الشيء بالشيء سواء وشبهه به وجمله مثله وعلى مثاله ، فالشبيه والمثيل والنظير ألفاظ متقاربة فلا تمثل صفاته بصفات خلقه فإنه لا مثل له ولا شبه له ولا نظير ، لا في ذاته وأسمائه ولا في صفاته وأفعاله كما قال سبحانه وتعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) والتشبيه ينقسم إلى قسمين :-

الاول : تشبيه المخلوق بالخالق ، كنشبيه النصارى عيسى بالله ، وكنشبيههم العزيز وتشبيه المشركين أصنامهم بالله ، وهذا النوع هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب في النهي عنه ، وهو أعظم الذنوب على الإطلاق ومحبط لجميع الأعمال .

الثاني : تشبيه الخالق بالمخلوق كقول المشركية لله يد كأيدينا ، وسمع كأصماعتنا ، وهذا هو الذي صنف كذب التوحيد للرد على قائله ، وكلا النوعين كفر ، وكل مشبه معطل وبالعكس ، فإن المعطل لم يفهم من صفات الله إلا ما يليق بالمخلوق ، فأراد بزعمه الفاسد تنزيهه عن ذلك فوقع في التعطيل ، فشبه أولا وعطل ثانياً وشبهه ثالثاً بالعدومات والناقصات ، تمالى الله عن قولهم .

وكذلك المشبه عطل الصفة التي تليق بالله ووصفه بصفات المخلوق ، فعطل أولا وشبهه ثانياً ، فشكل معطل مشبه وبالعكس .

قال الشيخ تقي الدين في الحجية : وكل واحد من فريق التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل ، أما المطلقون فانهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ، ثم شرعوا في نفي تلك المفاهيم فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل ، مثلوا أولا وعطلوا آخرأ ، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم ، وتعطيل لما يستحقه هو من الصفات اللائقة بالله سبحانه ، ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون

بل يؤمنون بأن الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير

ذاته بذوات خلقه ، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فيعطلون أسماء الحسنى وصفاته العليا ، ويحرفون الكلام عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته ، انتهى .

قوله (بل يؤمنون بأن الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) كما قال سبحانه (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) أى أنه سبحانه لا مثل له في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله ، فقوله (ليس كمثل شيء) رد على المشبهة الممثلة ، وقوله (وهو السميع البصير) رد على المعطلة النفاة .

والكاف في قوله ليس كمثل شيء ، أصح الأقوال إنها زائدة ، وهذا معروف في لغة العرب كقول الشاعر :

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل

في هذه الآية المتقدمة فوائد (الاول) إثبات السمع والبصر والرد على من زعم أن السمع والبصر بمعنى العلم ، وفيها الرد على المعطلة الذين ينفون الصفات بالكلية كالجهمية ، والذين يشتبئون الأسماء دون المعانى كالمعتزلة الذين يقولون سميع بلا سمع بصير بلا بصر ، وتصور هذا القول يكفى في رده واستهجانه .

وفيها الرد على الأشاعرة الذين يشتبئون بعض الصفات ويؤولون البعض الآخر وهم متناقضون أعظم تناقض ، وفيها النفي المجمل والإثبات المفصل ، وفيها الجمع بين النفي والإثبات ، وفيها تقديم النفي على الإثبات ، لأن الاول من باب التحلية ، والثانى من باب التحلية .

وفيها الجمع بين صفة السمع والبصر فكثيراً ما يقرن بينهما لعموم متعلقهما فسمعه سبحانه محيط بجميع المسوعات ، وبصره محيط بجميع المبصرات ، وسمعه سبحانه ينقسم إلى قسمين :

الاول : سمع عام وهو سمعه سبحانه لكل مسموع ، كقوله سبحانه (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) الثاني : سمع خاص وهو سمع الاجابة والاثابة ، كما قال سبحانه (إن ربي لسميع الدعاء) الآية ، ومنه قول العبد (سمع الله لمن حمده) أى استجاب سبحانه لمن حمده وأثنى عليه ، وفيها إثبات الصفات لله على ما يليق بجلاله وعظمته ، وفيها أن صفاته ليس كصفات خلقه ، والخلق وإن كان يوصف بأنه مسموع بصير فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره ، فصفات الخالق كما يليق به وصفات الخلق كما يليق به إذ لا مناسبة بين الخالق والخلق ، فصفات كل موصوف تناسب ذاته وحقيقته ، فلا يعلم كيف هو إلا هو .

قال بعض السلف : إذا قال الجهمي : كيف استوى كيف ينزل إلى السماء الدنيا ونحو ذلك ، قل له كيف هو بنفسه ، فإذا قال لا يعلم كيف هو إلا هو ، وكنه الباري غير معلوم للبشر ، قل له فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن أن يعلم كيفية صفة الموصوف لم تعلم كيفية ، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة فلا سبيل إلى العلم بالكنه والكيفية ، فإذا كان في المخلوقات ما لا يعلم كنهه فكيف بالباري سبحانه ، فهذه الجنة ورد عن ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الاسماء ، وهذه الروح نجزم بوجودها وأنها تخرج إلى السماء وأنها تسلم منه وقت النزاع ، وقد أمسكت النصوص عن بيان كيفيةها ، فإذا كان ذلك في الخلق فكيف بالخالق سبحانه وتعالى .

وفيها أعظم دلالة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله ، وإنها لكثرتها وعظمته لم يكن له فيها مثل . وإلا فلو أريد نفي الصفات لكان المدم المحض أولى بهذا المدح مع أن كل عاقل يفهم من قول القائل : فلان لا مثل له أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه بها ، وهذا واضح من معنى الآية أن معناها إثبات الصفات لا نفيها خلافاً لأهل البدع من الجهمية وغيرهم .

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه

وفي الآية متمسك لمن فضل السمع على البصر

قوله (فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه) ووصفه به رسوله ﷺ بل يشككون له
الاسماء والصفات وينفون عنه مشابهة المخلوقات .

رضوا الربهم ما رضىه لنفسه ورضيه له رسوله ﷺ فانه سبحانه أعلم بنفسه
وبغيره ، وكذلك رسله فانهم أعلم بالله وأصدق وأنصح من جميع خلق الله ،
وأقدر على البيان والتبليغ ، وقد بلغوا البلاغ المبين ، وقد سار على منهاجهم أصحاب
النبي ﷺ والتابعون لهم بإحسان والخير في اتباعهم .

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع
وأما أهل البدع من الجهمية وغيرهم فنفوا أسماء الله وصفاته وعطلوها زعماً منهم
أن إثباتها يقضى التشبيه أو التجسيم أو التحيز ونحو ذلك من أقوال أهل الضلال
الذين نبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراه ظهورهم ، ورضوا بالتفنية على اليهود
والمجوس والصابئين وأضرابهم من ضلال الأمم ، فان أصل مقالة التعطيل مأخوذة عن
هؤلاء كما ذكر ذلك الشيخ تقي الدين وابن القيم وغيرهم ، فان الجهم بن صفوان تلقى
مقالة التعطيل عن الجعد بن درهم ، والجعد أخذها عن أبان بن سحمان ، وأبان أخذها
عن طلوت بن أخت لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ ، كما أن الجهم قابل قوماً
من السمنية وسألوه عن الله فتحمير ومكث أربعين يوماً لا يصلي . ويروى أنه دخل
حران وقابل قوماً من الصابئة وباحثهم ، فقال له هذه مصادرها لا شك أنها أخبت مقالة
وكفى بقوم أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله وتفلنوا على هؤلاء الضلال
كفراً وضلالاً .

وما عوض لنا منهاج جهم بمنهاج ابن آمنة الأمين

قوله (ولا يحرفون الكلم عن مواضعه) أى يغيرونه ويفسرونه بغير معناه ، قال
تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه)

ولا يلحدون في أسماء الله وآياته

قال ابن كثير رحمه الله : أى يتأولونه على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله قصداً منهم واقتراء ، قال فى شرح الطحاوية : والتحريف على مراتب ، منه ما يكون كفراً ومنه ما يكون فسقاً ، وقد يكون معصية وقد يكون خطأ . انتهى قوله (ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته) أى يميلون ويمدولون عن الحق الثابت ، فالإلحاد معناه لغة الميل والمدول عن الشيء ، ومنه اللحد فى القبر لأنحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر

قال ابن القيم : الإلحاد هو المدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت ، وقال فى النونية :

أسماءه أوصاف مدح كلها	مشتقة قد حلت لمعاني
إياك والإلحاد فيها إته	كفر معاذ الله من كفرانى
وحقيقة الإلحاد فيها المي	لربالإشراك والتعطيل والكرانى
فالملحدون إذاً ثلاث طوائف	فعليلهم غضب من الرحمن

وقال أيضاً : والإلحاد فى أسماء الله وصفاته أنواع (أحدها) أن يسمي الملائم بها ، كتسمية اللات من الإله والعزى من العزيز ونحوه

(الثانى) تسميته سبحانه بما لا يليق بجلاله ، كتسمية النصارى له أباً ، وتسمية الفلاسفة له موجباً أو علة فاعلة

(الثالث) وصفه بما يتعالى ويتقدس عنه من النقائص ، كقول أخبث اليهود إن الله قنبر ، وقولهم يد الله مغولة

(الرابع) تعطيل الاسماء الحسنى عن معانيها وجحد حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معانى ، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي ويقولون لا سمع له ولا بصر ولا حياة ونحو ذلك

(الخامس) تشبيه صفاته بصفات خلقه ، تعالى الله عن قول الملحدين علواً كبيراً

ولا يكفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ، لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه

فجمعهم الإلحاد وفرقت بهم طرقة وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله ، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ، ولم يعدلوا بها عما أنزلت له لفظاً ولا معنى ، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات ، فكان إثباتهم بريثاً من التشبيه ، ونزهيهم خلياً من التعطيل ، لا كن شبه حتى كأنه يعبد صنماً ، أو عطل حتى كأنه يعبد عدماً . انتهى قوله (ولا يكفون) شيئاً من صفاته سبحانه وتعالى ، فانه الموصوف بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول الخلائق . قال تعالى (ولا يحيطون به علماً) فيجب الايمان بصفات الله واعتقاد أنها حقيقة تليق بجلال الله وعظمته ، أما كنهها وكيفيتها فهو مما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى معرفته وقد تقدم الكلام على هذا الموضوع . قوله (ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه) فذهب أهل السنة لإثبات الاسماء والصفات مع نفى مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تمثيل ونزهيها بلا تعطيل ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

قوله (لأنه سبحانه لا سمي له) أي لا نظير له كما قال سبحانه (هل تعلم له سمياً) أي من يساميه أو يماثله . ويروى عن ابن عباس مثيلاً أو شديداً .

قوله (ولا كفؤ له) أي لا مثل له سبحانه قال تعالى (ولم يكن له كفواً أحد)

قوله (ولا ند له) أي لا شبه له ولا نظير قال تعالى (فلا تجملوا لله أنداداً)

وفي قوله : ولا ند له إلخ رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه .

قوله (ولا يقاس بخلقه) أي لا يمثل بهم ولا يشبه والقياس في اللغة التمثيل . قال

تعالى (فلا تضربوا الله الأمثال) فلا يقاس سبحانه بخلقه في أفعاله ولا في صفاته كما

لا يقاس بهم في ذاته خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فانهم قاسوه سبحانه بخلقه فشبهوه بهم فوضعوا له شريعة من قبل أنفسهم فقالوا يجب على الله كذا ويحرم عليه

فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره . وأصدق قيلاً

كذا بالقياس على المخلوق ، فامتزلة ومن وافقهم مشبهة في الأفعال معطلة في الصفات ، جحا وا بعض ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال وسموه توحيداً ، وشبهوه بمخلقه فيما يحسن ويقبح من الأفعال وسموا ذلك عدلاً ، فعدلهم إنكار قدرته سبحانه ومشيئته العامة الكاملة التي لا يخرج عنها شيء من الموجودات ذواتها وصفاتها وأفعالها ، وتوحيدهم إلحادهم في أسماء الله الحسنى وتحريف معانيها عما هي عليه ، فكان توحيدهم في الحقيقة تعطيلاً وعدلهم شركاً . انتهى من كلام ابن القيم بتصرف

قوله (فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره) قال الله تعالى (والله بكل شيء عليم) وقال (ولا يحيطون به علماً) أى لا يحيط الخلائق به سبحانه علماً ، فهو الموصوف بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول الخلائق ، كما في الصحيح (لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) فاجاء في الكتاب والسنة من صفاته سبحانه وجب الإيمان به وتلقيه بالقبول والتسليم وترك التعرض له بالرد والتشبيه والتمثيل ، فهو الذى وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ فعلمنا أن نرضى بما رضىه لنفسه فانه أعلم بما يجوز ويمتنع ويليق بجلاله .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ، وعلى هذا أدرج السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وقد أمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم كما قال ﷺ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)

وقال ابن مسعود رضى الله عنه « اتبعوا ولا تباعدوا فقد كفيتم » وقال الشعبي « عليكم بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول »

قوله (وأصدق قيلاً) قال تعالى (ومن أصدق من الله قيلاً) ونبت في الصحيح

وأحسن حديثاً من خلقه . ثم رسله صادقون

من حديث جابر أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته يوم الجمعة « إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ » الحديث ، فما أخبر به الله سبحانه فهو حق وصدق ، علينا أن نصدقَه ولا نعارضه ولا نمرض عنه ، فمن عارضه بعقله لم يصدق به ، وكذلك من أقر بلفظه مع جحد معناه أو حرّفه إلى معاني أخر غير ما أريد به لم يكن مصداقاً .

قوله (وأحسن حديثاً من خلقه) قال الله تعالى (ومن أحسن من الله حديثاً) لفظه لفظ استفهام ومعناه لا أحد أحسن حديثاً منه سبحانه ، فالفاظه أفصح الالفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها ومعانيه أشرق المعاني ، فلا نجد كلاماً أحسن تفسيراً ولا أتم بياناً من كلامه سبحانه ولهذا سماه الله بياناً ، وأخبر أنه يسره للذكر ، يسر الفاظه للحفظ ويسر معانيه للفهم ، فحالاً أن يترك باب الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ملتبساً ، وهو أشرف العلوم على الإطلاق ، بل قد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطماً للعدر ، لا لبس فيه ولا إشكال ، فأيات الصفات واضحة المعنى وضوحاً تاماً ، بحيث يشترك في فهم معانيها العام والخاص ، أى فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية كما أنها مفيدة للعلم اليقيني الكامل .

قوله (ثم رسله صادقون) أى فيما جاءوا به عن الله ، والصدق هو مطابقة الخبر للواقع ، فرسله عليهم السلام صادقون في جميع ما أتوا به إذ هو الحق الصدق المطابق للواقع ، فلا يصح لإنسان قول ولا عمل إلا باعتقاد صدقهم وأمانتهم ، وإنهم بلغوا البلاغ المبين بأبلغ عبارة وأوضح أسلوب ، ليس في كلامهم لغز ولا أحاجى وليس له باطن يخالف ظاهره ، وأن لديهم من القدرة على التعبير وكمال العلم وتمام الشفقة والنصح ما ليس عند غيرهم ، فيجب أن يكون بيانهم للحق أكمل من بيان كل أحد فن الحال أن يتركوا باب الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ملتبساً وهو أشرف العلوم على الإطلاق وأجلها وأوجبها قد بينوه غاية البيان ولم يبق فيه شك ولا إشكال .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : ومعلوم أنه ﷺ قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئاً ، فان كتمان ما أنزله الله عليه يناقض موجب الرسالة ، كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ، قال : ومن المعلوم في دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها ، والآية تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله وبين ما أنزل إليه من ربه ، وقد وجب على كل مسلم تصديقه في كل ما أخبر به .

قوله (مصدوقون) أي فيما يأتهم من الوحي الكريم ، قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وما أتى موسى وعيسى وما أتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) فيجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين ، وأن لا يفرق بين أحد منهم وتصدقهم فيما أخبروا به واتبعهم في كل ما جاءوا به فهو حق وصدق ، وقد اتفق العلماء على كفر من كذب نبياً معلوم النبوة ، وكذا من سبه أو انتقصه ويجب قتله ، لأن الإيمان واجب بجميع المرسلين واتباعهم واتباع ما أنزل إليهم ، وقد ختمهم الله بمحمد ﷺ وأنزل عليه الكتاب والحكمة وجعل دعوته عامة لجميع الثقلين باقية إلى يوم القيامة ، وانقطعت به حجة العباد على الله سبحانه ، وقد بين الله به كل شيء وأكمل له ولايته الدين خبراً وأمرأ ، وأقسم بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه فيما شجر بينهم ، قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية ، وفي حديث أنس أن النبي ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »

وأعظم ما جاء به ﷺ هو وإخوانه من الرسل هو الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ومعرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأنه لا شبيه له ولا نظير ، فهذا هو مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم من أولهم إلى آخرهم ، فدينهم واحد وإنما اختلفت الشرائع كما قال النبي ﷺ « نحن مأمرون بالدينين واحد » الحديث

بِخِلَافَ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ . وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

قوله (بِخِلَافَ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ)

أى بِخِلَافَ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ فِي شَرْعِهِ وَدِينِهِ أَوْ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، بَلْ بِمَجْرَدِ عَقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَتَخْيِيلِهِمُ الْكَاسِدَةِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، قَالَ تَعَالَى (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) وَقَالَ (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَنفَعُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ) فَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِلَا عِلْمٍ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَلِهَذَا جَعَلَهُ فِي أَعْظَمِ مَرَاتِبِ التَّحْرِيمِ فَانْهَ بَدَأَ بِأَسْهَلِهَا وَخَتَمَ بِأَشَدِّهَا وَأَعْظَمَهَا تَحْرِيمًا وَهُوَ الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ ، وَتَوَاتَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ »

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : فَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ سَوَاءٌ كَانَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، أَوْ فِي أَحْكَامِهِ وَتَقْدِيمِ الْخَيَالِ الْمُسَمًّى بِالْعَقْلِ وَالسِّيَاسَةِ الظَّالِمَةِ وَالْعَوَائِدِ الْبَاطِلَةِ وَالْأَرَاءِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْكَشُوفَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِتَصْرِفِ

قوله وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ دَلِيلًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِبْتِهَاتِ صَدَقِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَصَحَّةِ مَا جَاءُوا بِهِ ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَلَّغُوا الرِّسَالََةَ وَأَدَّوْا الْأَمَانَةَ وَوَصَفُوا اللَّهَ بِمَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَنَزْهَوْهُ عَنْ صِفَاتِ النُّقْصِ وَالْعَيْبِ ، وَأَنَّ مِنْ قَالٍ بِخِلَافِ مَا جَاءُوا بِهِ فَهُوَ كَاذِبٌ عَلَى اللَّهِ قَائِلٌ عَلَيْهِ بِدُونِ عِلْمٍ .

قوله (سُبْحَانَ رَبِّكَ) أَى تَنْزِيهِاً لِلَّهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ : التَّسْبِيحُ تَنْزِيْهُهُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ سُوءٍ ، وَأَصْلُ اللَّفْظَةِ مِنَ الْمُبَاعَدَةِ

قولهم : سبحت في الارض إذا تباعدت فيها ، انتهى ، وتأتى سبحانه للتعجب .
 قوله (رب العزة) أى القوة والغلبة ، وأضافها إليه لاختصاصها به ، والعزة يراد
 بها عزة القوة وعزة الامتناع وهزة الغلبة والقهر ، فله سبحانه العزة التامة بالاعتبارات
 الثلاث ، يقال من الاول عز يميز بفتح العين في المستقبل ، وفي الثانى بكسر العين
 وفي الثالث بضمها .

قوله (عما يصفون) أى ثنوه سبحانه وتقدم عما يصفه به المخالفون للرسل من
 النقائص والعيوب .

قوله (وسلام على المرسلين) أى سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه
 في ربهم وصحته وأحقيته .

قوله (والحمد لله رب العالمين) قوله (رب) هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ،
 ولا يطلق إلا على الله سبحانه وتعالى إلا إذا أضيف ، فيطلق على غيره كرب الدار
 ورب الامة ونحو ذلك ، ولفظه رب وإله فيها دلالة الاقتران والانفراد ، فاذا أفرد
 أحدهما دخل فيه الآخر ، وإذا ذكرا معاً فسر الرب بما تقدم ، وفسر الإله بأنه
 المعبود المطاع .

قوله (العالمين) العالم كل من سوى الله ، ممي بذلك لأنه علامة على وجود خالقه
 وموجده ووحدانيته وأنه المستحق للعبادة كما قيل :

فوا هجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
 وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ويروى أن اعرابياً سئل عن الله فقال : يا سبحان الله إن البعرة لتدل على البعير
 وإن الاثر ليدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحر ذات
 أمواج ، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ، ففي هذه الآية نزه نفسه سبحانه
 عما لا يليق بجلاله ، ثم سلم على المرسلين ، وهذا يقتضى سلامتهم من كل ما يقوله

فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه

المكذبون لهم ، وإذا سلّموا من ذلك لزم سلامة كل ما جاءوا به من الكذب والفساد وأعظم ما جاءوا به هو التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى ، ووصفه بما يليق بجلاله مما وصف به نفسه على ألسنتهم ، وإذا سلم ذلك من الكذب والمحال فهو الحق المحض وما خالفه فهو الباطل والكذب والمحال .

قال ابن كثير رحمه الله : ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ، ويستلزم إثبات الكمال ، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه عن النقص ، قرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن ، ولهذا قال (سبحانه ربك رب العزة عما يصفون) الآية . انتهى

وفي هذه الآية إثبات أنواع التوحيد الثلاثة ، فإن الحمد يتضمن إثبات أنواع التوحيد الثلاثة ، فإن الحمد مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه والخضوع له ، ومن المعلوم أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهاً ولا مدبراً ، بل هو مذموم معيب ليس له الحمد وإنما الحمد لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا جلالاً يستحق الحمد ، واشتملت هذه الآية على وصفه سبحانه بالعزة المتضمنة للقوة والقدرة وعدم النظير والحمد المتضمن لصفات الكمال والتنزيه عن أضعافها وعلى إثبات صفة الكلام وعلى الرد على جميع المخالفين وإثبات أن ما جاء به المرسلون هو الحق الذي يعين اعتقاده لسلامة ما قالوه في ربهم من النقص والعيب . انتهى من كلام ابن القيم ملخصاً

قوله (فسبح نفسه) أي نزهها عما يصفه به العباد إلا ما وصفه به المرسلون وأتباعهم ، فإن هذه الكلمة : أي سبحانه ربك ، تنزيه للرب وتمظيمه وإجلاله عما لا يليق به من النقائص والعيوب ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم وصفوه سبحانه وتعالى بصفات الكمال ونزهوه عما لا يليق به من الشبه والمثال ، وأما أعداء الرسل فوصفوه بضد ذلك من النقائص والعيوب وألحدوا في أسماء الله وصفاته وآياته وحرفوا الكلام عن مواضعه ، فالحق هو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه

من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وصي به نفسه بين النفي والإثبات

وما جاء به علماً وعملاً واعتقاداً في باب صفات الرب وأسمائه، وتوحيده وأمره ونهيه ووعدته ووعيده، وكل ذلك مسلم إلى رسول الله دون آراء الرجال وأوضاعهم وأفكارهم واصطلاحاتهم، فكل ما خالف ما عليه الرسول وأصحابه فهو باطل مردود على صاحبه كائناً من كان.

قوله (لسلامة ما قالوه) أى أن ما قالوه في ربهم سالم من النقص والعيب، فإنهم أعلم الخلق بالحق وأنصح الخلق وأفصحهم وأقدرهم على البيان والتبليغ، فما بينوه من أسماء الله وصفاته وغير ذلك هو الغاية في الكمال، وهو الحق الذي يجب اعتقاده واتباعه، ولا فجل مخالفته.

قال في القاموس: السلامة البراءة من العيوب اه، والعيب والنقص مترادفان.

قوله (جمع) الجمع في اللغة الضم، والاجتماع الانضمام، والتفريق ضده.

قوله (وصف) الوصف لغة نعت بما فيه. وصف الشيء نعتاً بما فيه وحلاه، والصفة النعت، والصفة ما يقوم بالوصف كالعلم والجمال، وأسمائه سبحانه تنقسم إلى قسمين أعلام وأوصاف، والوصفية فيها لا تنافي العلمية بخلاف أوصاف العباد، وصفاته سبحانه وتعالى دالة على معان قائمة بذاته فيجب الإيمان بها والتصديق وإثباتها لله حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته، وهى بالنظر إلى الذات من قبيل المترادف وبالنظر إلى الصفات من قبيل المتباين، وهى تنقسم كما مضى إلى قسمين: صفات ذات وصفات فعل قوله (بين النفي والإثبات) فالنفي كقوله (ليس كمثل شيء) وقوله (ولم يكن له كفواً أحد) وقوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) وقوله (ولا يؤوده حفظهما) والإثبات كقوله (وهو السميع البصير) وقوله (وهو الحكيم الخبير) وقوله (قل هو الله أحد الله الصمد)

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله: ومعاني التنزيه ترجع إلى هذين الأصلين إثبات الكمال ونفي التشبيه والمثال، وقد دل عليها سورة الإخلاص، فاسمه الصمد

فلا عدول لأهل السنة والجماعة مما جاء به المرسلون

بجمع معاني صفات الكمال ، والأحد يتضمن أنه لا مثل له ولا نظير ، من
المنهاج بتصرف .

والنفي ليس مقصوداً لذاته وإنما هو مقصود لغيره إذ النفي المحض ليس بمدح ولا
ثناء بل هو عدم محض ولا مدح في ذلك .

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في كتابه التدمرية : وينبغي أن يعلم أن
النفي ليس فيه كمال ولا مدح إلا إذا تضمن إثباتاً ، وكل ما نفي الله عن نفسه من
التقائس ومشاركة أحد له في خصائصه فانها تدل على إثبات ضدها من أنواع
الكالات ، انتهى .

وطريقة أهل السنة والجماعة في النفي الإجمال ، وفي الإثبات التفصيل كما جاء في
الكتاب والسنة : فأثبتوا له سبحانه الاسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات ،
ومن خالفهم من المعطلة والمتفلسفة وغيرهم عكسوا القضية فجاءوا بنفي مفصل وإثبات
جمل ، فيقولون ليس كذا ليس كذا . ذكر معناه في التدمرية وغيرها .

قوله (فلا عدول) أى فلا ميل ولا انحراف لأهل السنة والجماعة مما جاء به
المرسلون ، بل هم مقتفون آثارهم مستضيئون بأنوارهم مؤمنون بجميعهم ، مصدقون لهم
في كل ما أخبروا به من الغيب ، إذ هو الحق والصدق الذي يجب اعتقاده واتباعه ،
ولا تجوز مخالفته ، وأعظم ما جاء به المرسلون هو الدعوة إلى توحيد الله وعبادته
وحده لا شريك له ، ومعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأنه لا شبيه له ولا نظير ،
فهذا دينهم من أولهم إلى آخرهم قال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) أى إن الدين
الذى جاء به محمد ﷺ هو دين الانبياء من أولهم إلى آخرهم ، ليس لله دين سواه
فلا سلام دين أهل السموات ودين أهل التوحيد من أهل الارض ، لا يقبل الله من
أحد ديناً سواه .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : فأهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من رسل الله يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله ومحبه ورحمته وسائر ماله من الاسماء والصفات ، وينزهونه عن مشابهة الاجساد التي لا حياة فيها ، وأما أهل البدع من الجهمية ونحوهم فانهم سلكوا سبيل أعداء الرسل إبراهيم وموسى ومحمد الذين أنكروا أن الله كلم موسى تكليماً ، واتخذ إبراهيم خليلًا ، وقد كلم الله محمدًا واتخذ خليلًا ورفعه فوق ذلك درجات ، وتابعوا فرعون الذي قال : يا هامان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وتابعوا المشركين الذين إذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن . الآية . وتابعوا الذين ألحدوا في أسماء الله فهم يجحدون حقيقة الرحمن أو أنه يرحم أو يكلم ، وزعموا أن من أثبت له هذه الصفات فقد شبهه بالاجسام الميتة وأن هذا تشبيهه الله بخلقه ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

قوله (فانه الصراط المستقيم) أى أن ما جاء به المرسلون هو الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة الابدية ، وهو الذى لا طريق إلى الله ولا إلى جنته سواه ، والصراط فى اللغة الطريق الواضح . قال الشاعر :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوجَّ الموارد مستقيم
والمستقيم الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف . قال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيماً ، فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال خط رسول الله خطاً بيده ثم قال « هذا سبيل الله مستقيماً » ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال « وهذه السبل ليس من سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) » الآية . رواه الإمام أحمد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه ، والمراد بالصراط قيل الإسلام وقيل القرآن وقيل طريق السنة والجماعة .

صراط الذين أنعم الله عليهم

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ولا ريب أن ما كان عليه رسول الله وأصحابه علماء وعاملاً وهو معرفة الحق وتقديمه وإثارة على غيره هو الصراط المستقيم ، وكل هذه الأقوال المتقدمة دالة عليه جامعة له . انتهى

والصراط المذكور في الكتاب والسنة ينقسم إلى قسمين : معنوى وحسى ، فالمعنوى هو ما تقدمت الإشارة إليه ، والحسى هو الجسر الذى ينصب على متن جهنم يوم القيامة يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، فبحسب استقامة الإنسان على الصراط المعنوى الذى نصبه الله لعباده فى هذه الدار تكون استقامته على ذلك الصراط الحسى حذو القذة بالقذة جزاءً وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : أفرد الصراط لأن الحق واحد ، وهو صراط الله المستقيم الذى لا صراط يوصل إليه سواه ، وهو عبادة الله بما شرع على لسان رسوله ﷺ ، وهذا بخلاف طرق الباطل فانها متعددة متشعبة ، ولهذا يجمعها كقوله سبحانه وتعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الآية . ولا يناقض هذا قوله سبحانه (يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) فإن تلك هى طرق مرضاته التى يجمعها سبيله الواحد .

قوله (صراط) يدل من الصراط الأول ، أى طريق النعم عليهم ، قال تعالى فى سورة الفاتحة (اهتدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) وهؤلاء هم المذكورون فى قوله سبحانه وتعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) والنعمة بكسر النون الإحسان وبالضم المسرة وبالفتح المتعة من العيش اللين .

قوله (أنعم الله عليهم) أى أنعم عليهم الإناعام المطلق التام ، وهى النعمة المتصلة بمادة الأبد وهى نعمة الإسلام والسنة وهى التى أمرنا الله أن نسأله أن يهدينا صراط

أهلها ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى كما قال تعالى (من يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية ، فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة وأصحابها هم المعنيون بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) فأضاف إليهم الدين إذ هم المحضون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم ، وأما مطلق النعمة فعلى المؤمن والكافر ، فكل الخلق في نعمته ، فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان ، ومطلق النعمة يكون للمؤمن والكافر . انتهى ، ذكره ابن القيم .

وفي قوله (صراط الذين أنعم الله عليهم) تنبيه على الرفيق في هذا الطريق وانهم هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ليزول عن سالك هذا الطريق وحشة التفرد عن أهل زمانه وبني جنسه إذا استشعر أن رفيقه في هذا الصراط هم الأنبياء والشهداء والصالحون .

قال بعض السلف : لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ، ولا تغتر بالباطل لكثرة المالكين ، وقال تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه في مسائل التوحيد : وفيه عمق علم السلف وهو هدم الاعتزاز بالكثرة وعدم الزهد في القلة . انتهى

والصراط تارة يضاف إلى الله سبحانه وتعالى ، إذ هو الذي شرعه ونصبه كقوله (وأن هذا صراطي مستقيماً) وتارة يضاف إلى العباد لكونهم أهل سلوكه ، أفاده ابن القيم .

وفي قوله (صراط الذين أنعم الله عليهم) إشارة إلى أنهم إنما استحقوا هذا الإنعام المطلق بسبب سلوكهم هذا الصراط ، وفيه إشارة إلى وجوب توحيد هذا الصراط بالسلوك ، وأن لا صراط موصل للسعادة سوى هذا الصراط .

قال ابن القيم في السكافية الشافية :

فلواحد كن واحداً في واحد أعنى سبيل الحق والإيمان
قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين : والهدى التام يتضمن
توحيد المطلوب وتوحيد الطلب وتوحيد الطريق الموصلة والانعطاف وتختلف الوصول
يقع من الشركة في هذه الأمور أو في بعضها ، فالشركة في المطلوب تنافي التوحيد
والإخلاص ، والشركة في الطلب تنافي الصدق والعزيمة ، والشركة في الطريق تنافي
اتباع الأمر ، فالاول يوقع في الشرك والرياء ، والثاني يوقع في المعصية والبطالة ،
والثالث يوقع في اتباع البدعة ومفارقة السنة فتأمل ، فتوحيد المطلوب يعصم من
الشرك والرياء ، وتوحيد الطلب يعصم من المعصية ، وتوحيد الطريق يعصم من
البدعة . والشيطان إنما ينصب فخه بهذه الطرق الثلاثة

قوله (من النبيين) الذين اختصهم من خلقه وشرفهم برسالته ونبوته ، وقد تقدم
المكلام على الانبياء .

قوله (والصديقين) الذين صدقوا أقوالهم بأفعالهم ، فالصديق المبالغ في الصدق
كما في الحديث « إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً »
أو المبالغ في التصديق كما سمي أبو بكر الصديق .

قال ابن القيم : الصديق أبلغ من الصدوق ، والصدوق أبلغ من الصادق ، فأعلى
مراتب الصدق الصديقية وهي كمال الاقياد لرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للرسول
قوله (والشهداء) والشهيد هو المقتول في سبيل الله ، قيل سمي بذلك لأن الله
وملائكته شهدوا له بالجنة ، أو لأن ملائكة الرحمة تشهد ، أي تحضره ، قال العلماء
والشهيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الاول : شهيد في الدنيا والآخرة وهو المقتول في سبيل الله في حرب الكفار .

والصالحين . وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي

الثاني : شهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا وهو الفريق والحريق والمطعون والمبطون ومن قتل دون ماله أو دون نفسه أو دون حرمة .

الثالث : شهيد في الدنيا دون الآخرة ، وهو من غل من الغنيمة أو قتل مديراً . قوله (والصالحين) الصالح هو القائم بحقوق الله وحقوق عباده .

قال الشيخ تقي الدين في كتاب الإيمان : ولفظ الصالح والشهيد يذكر مفرداً فيتناول النبيين والصديقين والشهداء ، ويذكر مع غيره فيفسر بحسبه ، اهـ

وقدم النبيين على الصديقين لشرفهم ، ولكون الصديق تابعاً للنبي فاستحق اسم الصديق بكمال تصديقه للنبي فهو تابع محض ، وقدم الصديقين على الشهداء لفضل الصديقين عليهم ، وقدم الشهداء على الصالحين لفضلهم عليهم ، انتهى من البدائع بتصرف قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : وأفضل الخلق النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ، وأفضل كل صنف أرقام انتهى .

قوله (وقد دخل في هذه الجملة) أي المقدمة من قوله « وقد جمع فيها وصف ومعى به نفسه » .

قوله (في سورة الإخلاص) أي سورة قل هو الله أحد ، فانها اشتملت على النفي والإثبات : إثبات صفات الكمال ونفي التشبيه والمثال ، ومعاني القزیه ترجع إلى هذين الاصلين ، وهذا عكس ما عليه أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، فانهم ينفون صفات الكمال ، ويشبّهون ما لا يوجد إلا في الخيال .

قوله (الجملة) وهي انة : جماعة الشيء وما تركب من مسند ومسند إليه ، جمعه جمل قوله (سورة) السورة القطعة من القرآن معاومة الاول والآخر .

قوله (الإخلاص) أي سورة قل هو الله أحد سميت بسورة الإخلاص لأنها أخلصت في صفة الله ، ولأنها تخلص قارئها من الشرك العلي الاعتقادي .

تعديل ثلث القرآن

قوله (تعديل) عدل الشيء بالفتح ما سواه من غير جنسه ، وبالكسر ما سواه من جنسه .

قوله (ثلث القرآن) وذلك لأن معاني القرآن ثلاثة أنواع : توحيد وقصص وأحكام وهذه السورة صفة الرحمن فيها التوحيد وحده ، وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا مع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك ، وكان الرجل يتقلمها ، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن ، الحديث . والأحاديث بكونها تعديل ثلث القرآن تكاد تبلغ مبلغ التواتر ، انتهى من كلام ابن القيم رحمه الله .

قال القسطلاني : وذلك لأن القرآن على ثلاثة أنحاء : قصص وأحكام وصفات الله وقل هو الله أحد متضمنة للتوحيد والصفات فهي ثلثة . قال : وفيه دليل على شرف علم التوحيد ، وكيف لا والعلم يشرف بشرف المعلوم ، ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز ، فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله ، انتهى . وفي هذا الحديث دليل على تفاضل القرآن وكذلك تفاضل آيات الصفات ، وإن علم التوحيد أفضل العلوم إذ شرف العلم بشرف موضوعه .

وسبب نزول هذه السورة هو ما رواه أحمد عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ أنسب لنا ربك ، فأنزل الله « قل هو الله أحد » وأخرجه الترمذي والطبري ، فالمشركون سألوا رسول الله عن حقيقة ربه من أي شيء ، فدلهم على نفسه بصفاته فلم يجعل لهم سبيلا إلى معرفة الذات والكنه ، فحقيقة الذات والكنه غير معلومة للبشر ، فقال سبحانه وتعالى « قل » يا محمد هؤلاء المشركين « الله أحد » أي منفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لا شريك له ولا مثيل ولا نظير ، وأحد بمعنى واحد ، ولا يطلق هذا اللفظ في الإثبات إلا عليه سبحانه ، لأنه الكامل في جميع

حيث يقول (قل هو الله أحد الله الصمد

صفاته وأحكامه ، وفي هذا دليل على أن القرآن كلام الله ، إذ لو كان كلام النبي أو غيره لم يقل « قل » ففيه الرد على المعتزلة القائلين إن القرآن كلام محمد أو جبريل . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فدل على أن النبي ﷺ مبلغ عن الله ، فكان مقتضى البلاغ العام أن يقول « قل هو الله أحد » ففيه الرد على الجهمية والمعتزلة وإخوانهم ممن يقول هو كلامه ابتداء من قبل نفسه ، ففي هذا أبلغ رد لهذا القول ، وأنه ﷺ بلغ ما أمر بتبليغه على وجهه ولفظه فقل له « قل » فقال « قل » لأنه مبلغ محض فما على الرسول إلا البلاغ المبين ، وفيه دليل على الجهر بالعقيدة والتصريح بها . قوله (الله الصمد) قال أبو وائل الصمد السيد الذي انتهى سؤده والعرب تسمى أشرافها الصمد لكثرة الأوصاف المحمودة للسمي به ، قال الشاعر :

ألا بكر الناعي بغير بني أسد بمر بن مسعود وبالسيد الصمد
فإن الصمد من تصمد إليه القلوب بالرغبة والرهبة ، وذلك لكثرة خصال الخير فيه انتهى . وقال عكرمة عن ابن عباس : معنى الصمد هو الذي يصمد إليه الخلاق في حوائجهم ومسائلهم .

وقال الربيع بن أنس : هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيراً له ، وهو تفسير جيد ، وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبي بن كعب في ذلك وهو صريح في ذلك انتهى من ابن كثير .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : ومن قال أن الصمد هو الذي لا جوف له ، فقله لا يناقض هذا التفسير ، فإن اللفظة من الاجتماع ، فهو الذي اجتمعت فيه صفات الكمال ولا جوف له ، فانما لم يكن أحد كفواً له لما كان صمداً كاملاً في صمدانيته ، فلو لم يكن له صفات كمال ونعمت جلال ولم يكن له علم ولا قدرة ولا متمع ولا بصر ، ولا يقوم به فعل ولا يفعل شيئاً البتة ، ولا له حياة ولا كلام ولا وجه ، ولا يد ، ولا

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

فوق عرشه ولا يرضى ولا يفضى ولا يرى ، ولا يمكن أن يُرى ولا يشار إليه ،
لكان العدم المحض كفواً له ، فان هذه الصفة منطبقة على المعدوم ، فلو كان ما يقوله
المعطون هو الحق لم يكن صمداً وكان العدم كفواً له ، فاسمه الأحد دل على نفى
المشاركة والمائلة ، واسمه الصمد دل على أنه مستحق لصفات الكمال ، فصفات
التنزيه ترجع إلى هذين المعنيين : نفى النقائص عنه وذلك من لوازم إثبات صفات
الكمال ، فمن ثبت له الكمال التام انتفى عنه النقصان المضاد له ، والكمال من
مدلول اسمه الصمد .

والثاني : أنه ليس كمثل شيء في صفات الكمال الثابتة له ، وهذا من مدلول اسمه
الأحد ، فهذان الاسمان العظيمان يضمنان تنزيهه عن كل نقص وعيب ، وتنزيهه في
صفات الكمال أن يكون له مماثل في شيء منها ، فالسورة تضمنت كل ما يجب نفيه
عن الله وما يجب إثباته لله من وجهين : من جهة اسمه الصمد ومن جهة أن كل ما نفى
عنه من الأصول والفروع والنظير ، استلزم ثبوت صفات الكمال ، فان ما يمدح به
من النفي فلا بد أن يتضمن ثبوتاً وإلا فالنفي المحض عدم محض ، والعدم المحض ليس
بشيء فضلاً عن أن يكون صفة كمال ، انتهى من كلام الشيخ تقي الدين بن
تيمية بتصرف .

قوله (لم يلد) فيه الرد على اليهود والنصارى والمشركين ، فان اليهود قالوا هزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ومشركو العرب زعموا أن الملائكة بنات
الله ، تعالى الله عن قولهم .

قوله (ولم يكن له كفواً أحد) الكفو المثل والشبيه ، فهذه السورة تضمنت
توحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب إثباته للرب من الأحدية المنافية لمطلق المشاركة
بوجه من الوجوه ، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه فيها

وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله ، حيث يقول : الله لا إله إلا هو
الحى القيوم

نقص بوجه من الوجوه ، ونفى الولد والوالد الذى هو من لوازم صديقه وغناه
وأحديته ، ونفى الكفو المتضمن لنفى التشبيه والتمثيل ، فتضمنت هذه السورة
إثبات كل كمال ، ونفى كل نقص عنه ، ونفى إثبات مثل له أو شبيه له فى كماله ونفى
مطلق الشريك عنه ، فهذه الأصول هى مجامع التوحيد العلمى الاعتقادى الذى يباين
به صاحبه جميع فرق الضلال والشرك ، ولهذا كانت تمدل ثلث القرآن ، فأخلصت
سورة الإخلاص الخبير عنه وعن أمثائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن ، وخلصت قارئها
المؤمن بها من الشرك العلمى ، اه ، من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى ملخصا

وفى هذه السورة الجمع بين النفى والاثبات ، وفيها الإجمال فى النفى ، والتفصيل
فى الاثبات ، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل الكلام المذموم ،
وتضمنت هذه السورة أنواع التوحيد الثلاثة .

قوله (وما وصف به نفسه فى أعظم آية فى كتاب الله) وهى آية الكرسي ، وذلك
لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف ، كما فى الصحيح أن النبى ﷺ قال لأبى بن
كعب : يا أبا المنذر أتدرى أى آية فى كتاب الله أعظم ؟ فقال الله ورسوله أعلم ،
فرددها مراءاً ثم قال أبى : هى آية الكرسي « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » فقال
ليهنك العلم يا أبا المنذر .

قوله (آية) هى لغة : العلامة ، واصطلاحاً طائفة من كلمات القرآن متميزة بفصل
سميت هذه الآية آية الكرسي لذكر الكرسي فيها ، وفيه دليل على فضل هذه الآية
وإنها أعظم آية فى كتاب الله ، وفيه دليل كما تقدم على فضل علم التوحيد وأن القرآن
يفاضل بل آيات الصفات تتفاضل .

قوله (الله لا إله إلا هو) أى لا معبود بحق إلا هو ، قوله (الحى) أى الدائم
الباقى الذى لا سبيل للفناء عليه ، قوله (القيوم) أى القائم بنفسه المقيم لما سواه ،

لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض ، من ذا الذي يشفع عنده
إلا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع
كرسيه السموات والارض

فهذان الامعان عليهما مدار الاسماء الحسنى وإليهما ترجع معانيها جميعها ، فان الحياة
مستلزمة لصفات الكمال ، والقيوم متضمن لكمال غناه وكمال قدرته ، فانه القائم
بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه ، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه
وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته ، وهذا من كمال قدرته وعزته . انتهى من
كلام ابن القيم بتصرف .

قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة النعاس وهو النوم الخفيف ، والنوم ثقل في
الرأس والسنة في العين والنوم في القلب ، وهو تأكيد للقيوم ، أي أنه سبحانه
لا يمتريه قص ولا غفلة ولا ذهول ولا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية ، كما
في الصحيح من حديث أبي موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات (فقال
إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل
قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النار — أو النور — لو كشفه
لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، له ما في السموات وما في
الارض ملكا وخلقاً وعبداً .

قوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) أي ليس لاحد أن يشفع عنده لعظمته
وكبريائه إلا بأذنه أي بأمره قوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) أي
لا يحيط الخلق بشيء من علمه إلا بما شاء أن يعلمهم إياه ويطلعهم عليه كما قال سبحانه
عن الملائكة (سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا)

قوله (وسع كرسيه السموات والارض) أي ملا وأحاط ، والكرسي مخلوق
عظيم وهو موضع القدمين لله سبحانه وتعالى ، كما يروى عن ابن عباس وغيره ، وقد
قيل إنه العرش ، والصحيح أنه غيره ، كما روى ابن أبي شيبه والحاكم وقال إنه على
شرط الشيخين عن ابن عباس في قوله « وسع كرسيه السموات والارض » انه قال

الكرسى موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله ، وقد روى مرفوعاً ، والصواب أنه موقوف على ابن عباس ، وذكر ابن جرير عن أبي ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » وأما ما زعمه بعضهم أن معنى « كرسيه » علمه ونسبه إلى ابن عباس فليس بصحيح ، بل هو من كلام أهل البدع المذموم ، وإنما هو كما قال غير واحد من السلف : الكرسي بين العرش كالمراقبة إليه .

قوله (ولا يؤوده حفظهما) أى لا يكرنه ولا يثقله ولا يمجزه حفظهما ، أى حفظ السموات والارض وما بينهما ، بل ذلك عليه سهل يسير ، وهذا النفي في قوله ولا يؤوده حفظهما لثبوت كمال ضده ، وكذلك كل نفي يأتى في صفات الله ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك .

قوله (وهو العلي العظيم) « ال » في قوله وهو العلي للشمول والاستغراق ، فله سبحانه العلو الكامل من جميع الوجوه : علو القدر وعلو القهر وعلو الذات كما توارثت بذلك الأدلة وطابق على ذلك دليل العقل ، فدليل العلو عقلى وقلى ، وهو من الصفات الذاتية كصفة الفوقية ، فوصفه سبحانه بالعلو يجمع معانى العلو جميعها : علو القهر أى أنه سبحانه علا كل شيء ، بمعنى أنه قاهر له قادر عليه متصرف فيه ، كما قال سبحانه (إذا لذهب كل إله بما خلق ولملا بعضهم على بعض) وعلو القدر ، أى أنه عال من كل عيب ونقص ، فهو عال عن ذلك منزّه عنه كما قال سبحانه (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) الآية ، وفى دعاء الاستفتاح (وتعالى جدك) وعلو الذات ، أى أنه سبحانه عال على الجميع فوق عرشه ، فتبين أن أنواع العلو ثلاثة ، وأن اسمه العلى يتضمن اتصافه بجميع صفات السكّال والتنزيه له سبحانه عما ينافيه من صفات النقص انتهى من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية .

قوله (العظيم) أى الذى لا أعظم منه ولا أجل ، لا فى ذاته ولا فى أسمائه وصفاته

وأفعاله ، فهذه الآية اشتملت على فوائد عظيمة : (الأولى) إثبات ألوهيته سبحانه وانفراده بذلك ، وبطلان ألوهية كل من سواه :

الثانية : إثبات صفة الحياة له سبحانه وتعالى ، الحياة التامة الدائمة التي لا يلحقها فناء ولا اضطلال فهي صفة ذاتية تواطأ على إثباتها النقل والعقل .

الثالثة : إثبات صفة القيوم ، أى قيامه بنفسه وقيامه بتدبير أمور خلقه كما قال سبحانه وتعالى (أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وهذان الاسمان أعنى الحى والقيوم ذكرا معاً فى ثلاثة مواضع من القرآن ، وهما من أعظم أسماء الله وصفاته وورد أنهما الاسم الاعظم ، فانهما متضمنان لصفات الكمال أعظم تضمن ، فالصفات الذاتية كلها ترجع إلى اسم الحى ، والصفات الفعلية ترجع إلى اسم القيوم ، ويدل القيوم على معنى الازلية والابدية ، وعلى قيامه بذاته وعلى قيام كل شىء به ، وعلى أنه موجود بنفسه ، وهذا معنى كونه واجب الوجود .

الرابعة : تنزيهه سبحانه عن صفات النقص كالسنة والنوم والمعجز والفقر ونحو ذلك وهو تأكيد للقيوم ، لأن من جاز عليه السنة والنوم استحال أن يكون قيوماً .
الخامسة : سمة ملكه سبحانه وتعالى ، له ما فى السموات والارض ملكاً وحيداً تحت قهره وسلطانه .

السادسة : فيه دليل على عظمته وسلطانه ، وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بمذإذنه سبحانه ورضاه عن المشفوع له .

السابعة : فيه إثبات الشفاعة بقيودها ، وهو إذن الله للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له .

الثامنة : فيه الرد على المشركين الذين يزعمون أن أصنامهم تشفع لهم ، فظهر أن الشفاعة تنقسم إلى قسمين : شفاعة منفية وشفاعة مثبتة .

التاسعة : فيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه وأنه يتكلم متى شاء إذا شاء ، وأنه يتكلم سبحانه بحرف وصوت يليقان بجلاله وعظمته ، وأن كلامه سبحانه يسمع لقوله

(إلا باذنه) — العاشر : فيها إثبات صفة العلم لله سبحانه وإحاطته بكل معلوم وأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون .

الحادى عشر : فى ذكر إحاطة علمه سبحانه بالماضى والمستقبل إشارة إلى أنه لا ينسى ولا ينفل ولا يحدث له علم ولا يتجدد .

الثانى عشر : فيه الرد على القدرية والرافضة ونحوهم الذين يزعمون أن الله لا يعلم الاشياء إلا بعد وقوعها ، والرد على من زعم أن الله لا يعلم إلا الكلمات ، تعالى الله عن قولهم .

الثالث عشر : فيها اختصاصه بالتعليم ، وأن الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم كما قالت الملائكة (سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا)

الرابع عشر : فيه إثبات عظمته سبحانه بعظمة مخلوقاته ، فإذا كان عظمة كرسيه هذه العظمة التى جاءت بها الأدلة ، فمن باب أولى أن يكون الخالق أعظم وأجل .

الخامس عشر : فيها إثبات الكرسى وعظمته وأنه مخلوق لله سبحانه وتعالى والرد على من زعم أن كرسيه علمه .

السادس عشر : فيه إثبات صفة المشيئة لله سبحانه

السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر : فيه إثبات عظمته واقتداره ، وفيه إثبات السموات وتمدها وإثبات علوه سبحانه على خلقه وإثبات عظمته سبحانه ذاتاً وصفاتاً وأفعالا .

قال ابن القيم رحمه الله قرن بين هذين الإسمين الدالين على علوه وعظمته سبحانه فى آخر آية الكرسى وفى سورة الشورى وفى سورة الرعد وسورة سبأ .

فى آية الكرسى ذكر الحياة التى هى أصل جميع الصفات وذكر معاقبوميته المتضمنة لدوامه وبقائه وانتفاء الآفات جميعها عنه من السنة والنوم والمعز وغيرها ثم ذكر كمال ملكه ثم عقبه بذكر وحدانيته فى ملكه وأنه لا يشفع عنده أحد إلا باذنه ، ثم ذكر سعة علمه وإحاطته ، ثم عقبه بأنه لا سبيل للمخلوق إلى علم شيء من

ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ، ولم يقربه شيطان)

الاشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه ، ثم ذكر سعة كرسيه منبهاً على سمعته سبحانه وعظمته وعلوه وذلك توطئة بين يدي علوه وعظمته . ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعالم العلوى والسفلى من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب ، ثم ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين الدالين على علو ذاته وعظمته . انتهى من الصواعق .

قوله (ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ، ولم

يقربه شيطان)

هذا الحديث في صحيح البخارى عن أبى هريرة قال : وكفى رسول الله ﷺ يحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحمئ من الطعام فأخذه وقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال دعنى فانى محتاج وعلى عيال ، لا أعود فرحمته وخليت سبيله ، فأصبحت فقال لى رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله شكاه حاجة وعيالا فرحمته وخليت سبيله ، قال أما إنه قد كذبتك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول النبى ﷺ انه سيعود فرصدته فجاء يحمئ من الطعام فأخذه فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال دعنى فانى محتاج وعلى عيال لا أعود فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال رسول الله ﷺ ما فعل أسيرك البارحة ؟ فقلت يا رسول الله شكاه عيالا وحاجة فرحمته فخليت سبيله ، قال أما إنه قد كذبتك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحمئ من الطعام فأخذه فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذه آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود ، فقال دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت وما هى ؟ فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شئ على الخير ، فقال النبى ﷺ : أما أنه قد صدقتك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ؟ قلت لا . قال ذاك الشيطان » كذا رواه البخارى معلقاً بصيغة الجزم وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن إبراهيم بن يعقوب

عن عثمان بن الهيثم فذكره ، وقد روى عن أبي هريرة بسياق آخر قريب من هذا . قوله (لم يزل عليه من الله حافظ) أى يحفظه من الشياطين وغيرهم ، وفى رواية « إذا قلتم لم يقربك ذكر ولا أنثى من الإنس ولا من الجن » وفى حديث على رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ من قرأها (يعنى آية الكرسي) حين يأخذ مضجعه آمنة الله على داره ودار جاره وأهل دويرات حوله . رواه البيهقي فى شعب الإيمان .

قوله (شيطان) الشيطان يطلق على كل متمرعات من الجن والإنس ، من شطن إذا بهد لبعد عن رحمة الله أو من شاط يشيط إذا هلك واحترق .

فى هذا الحديث فضل آية الكرسي وعظم منفعتها وتأثيرها العظيم فى التحرز من الشيطان وذلك لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف ولذلك إذا قرأها الإنسان هند الأحوال الشيطانية بصديق أبطالها ، مثل من يدخل الدار بحال شيطاني أو يحضر المكاء والتصدية وتنزل عليه الشياطين ، وتتكلم على لسانه كلاماً لا يعلم ، وربما لا يفتقه ، وربما كاشف بعض الحاضرين بما فى قلبه إلى غير ذلك من الأحوال الشيطانية فأهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي ، أشار إلى ذلك الشيخ تقي الدين فى كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

قوله (هو الأول) أى الذى ليس قبله شيء كما فسر به ذلك رسول الله ﷺ فقال (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، رواه مسلم . فهو سبحانه أول ليس له بداية . وأما القديم فقد ذكره بعض المتكلمين فى أسماء الله ، والصواب أنه ليس من أسمائه سبحانه لأنه لم يرد دليل فى تسميته سبحانه بذلك ، ولأن القدم ينقسم إلى قسمين :

قدم حقيقى وقدم نسبى ، فالقدم الحقيقى هو الذى لم يسبقه عدم ، والنسبى هو

والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم

قدم بعض المخلوقات على بعض كما قال سبحانه (حتى عاد كالجرجون القديم) وقد قدم الاصل الذي ذكره ابن القيم أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه سبحانه ، وذكر أن باب الاخبار عنه سبحانه أوسع من باب الاسماء والصفات وذكر أنه يخبر عنه سبحانه بالقديم ولا يسمى به وقال في النونية :

وهو القديم فلم يزل بصفاته سبحانه متفرغاً بل دائم الاحسان
قوله (والآخر) أى الذى ليس بعده شيء . قوله (والظاهر) أى العالى المرتفع
الذى ليس فوقه شيء ، ولا ريب أنه ظاهر بذاته فوق كل شيء ، فالظهور هنا هو
العلو كما قال تعالى (فما استطاعوا أن يظهروه) ولا يصح أن يحمل الظهور على الغلبة
لأنه قابله بقوله وأنت الباطن .

قوله (والباطن) أى الذى ليس دونه شيء كما فسرہ الرسول : بطن سبحانه بعلمه
فلا يحجبه شيء . قال ابن القيم : فهذه الاسماء الاربعة متقابلة اسمان لازليته وأبديته
سبحانه ، واسمان لعلوه وقربه ، فأوليته سبحانه سابقة على أولية كل ما سواه ،
وآخريته سبحانه ثابتة بعد آخريه كل ما سواه ، فأوليته سبقه لكل شيء وآخريته
بقاؤه بعد كل شيء ، وظاهريته فوقيته وعلوه على كل شيء ، ومعنى الظهور يقتضى
العلو وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه ، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء
بمحيط يكون أقرب إليه من نفسه ، وهذا قرب الإحاطة العامة . وأما القرب المذكور
في الكتاب والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وهو ثمرة التعبد باسمه الباطن .
ذكر البيهقي عن مقاتل قوله تعالى (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) هو الاول
قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء ، والظاهر فوق كل شيء ، والباطن أقرب من
كل شيء ، وإنما يعنى القرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه وهو بكل شيء عليم اهـ .
قوله (عليم) جاء على بناء فاعيل للمبالغة في وصفه بكل العلم والإحاطة بكل شيء
علماً فهو من الصفات الذاتية ، فهذه الآية أفادت أوليته سبحانه وسبقه لكل مخلوق

وقوله سبحانه وتوكل على الحى الذى لا يموت

وأنه لا شيء قبله ، كما أفادت دوامه وبقائه وآخريته ، وأنه لا شيء بعده ، وأفادت علوه وارتفاعه وفوقيته سبحانه ، وأفادت قربه ودنوه وإحاطته سبحانه وسعة علمه وأنه لا يخفى عليه شيء ، وفيه الرد على المعتزلة والرافضة الذين يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها ، والرد على من يزعم أنه يعلم الكلليات دون الجزئيات .

قوله (وتوكل على الحى الذى لا يموت) الآية ، أى فوض أمورك إليه فمن توكل عليه كفاه وشفاه ويسر له كل شديد وقرب له كل بعيد ، قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) والتوكل لغة التفويض ، يقال وكلت أمري إلى فلان أى فوضته وحقيقته شرعاً هو صدق اعتماد القلب على الله فى جلب ما ينفع ودفع ما يضر ، ومن أسمائه سبحانه الوكيل ، ومعناه الكافى لعبده والقائم بأمره ومصالحه ، وأما حكم التوكل فهو فرض لهذه الآية ولغيرها من الأدلة ، وهو لا ينافى الأخذ بالأسباب بل يجامعه كما فى حديث عمر رضى الله عنه الذى رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم أن النبی ﷺ قال « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافاً وتروح بظاناً » رواه الترمذى وقال حسن صحيح وخرج الترمذى من حديث أنس قال : قال رجل يا رسول الله « أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟ فقال إعقلها وتوكل » وذكر عن يحيى القطان إنه قال : هو عندى حديث منكر .

ففيه إشارة إلى أن التوكل لا ينافى الإتيان بالأسباب ، بل قد يكون جميعاً أفضل كما روى أن عمر لقي أناساً من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ فقالوا نحن المتوكلون ، قال بل أنتم المتأكلون ، إنما المتوكل الذى يلقى خبءه فى الأرض ويتوكل على الله ، ذكره ابن رجب .

قال ابن القيم فى المدايح : أجمع القوم على أن التوكل لا ينافى القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد ، وقال سهل بن عبد الله

وقوله : وهو الحكيم الخبير

من طمن في الحركة فقد طمن في السنة ، ومن طمن في التوكل فقد طمن في الإيمان ،
فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سفته ، فمن عمل على حاله فلا يتركن سفته .
والتوكل ينقسم إلى قسمين : الأول توكل على الله فهو من أشرف أعمال القلوب
وأجلها ، والثاني التوكل على غيره سبحانه وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : التوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كالتوكل على
الأموات والطواغيت في رزق أو نصر أو نفع أو ضر ونحو ذلك فهذا شرك أكبر .
الثاني : التوكل في الأسباب الظاهرة ، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره
الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهذا النوع شرك أصغر .

الثالث : توكل الإنسان غيره في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه ، فهذه الوكالة
الجائزة لكن ليس له أن يعتمد عليه بل يتوكل على الله في تيسير أمره ، وذلك من
جملة الأسباب الجائزة ، فهذه الآية أفادت الحث على التوكل على الله وتعليق الأمل
به سبحانه دون غيره ، كما أفادت وجوب التوكل على الله ، إذ مطلق الأمر يقتضى
الوجوب ، وأفادت إثبات صفة الحياة الكاملة لله سبحانه وتعالى .

قوله (الحكيم) أى الحاكم بين خلقه بأمره الدينى الشرعى وأمره الكونى القدرى
الذى له الحكم فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى (وما اختلافكم فيه من شئ فحكمه إلى
الله) وقال تعالى (فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول) فهو سبحانه الحكم
والحاكم بين خلقه فى الدنيا والآخرة ، يحكم سبحانه وتعالى فى الدنيا بوحىه الذى أنزله
على الانبياء والرسل ، ويحكم يوم القيامة إذا نزل لفصل القضاء بين العباد ، والحكيم
الحكم المتقن للأشياء الذى يضع الأشياء مواضعها والذى له الحكمة التامة فى خلقه
وأمره ، فعليه يكون للحكيم معنيان . الأول بمعنى الحكم المتقن للأشياء والإحكام
يكون فى شرعه وأمره وفى خلقه وقدره ، وكل منهما محكم من وجهين : الأول وجوده
على صورته المعينة . الثانى فى غايته المحمودة التى يترتب عليها .

وأما حكمه سبحانه وتعالى فينقسم إلى قسمين : الأول حكم كوني قدرى كقوله
(فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله)
الثاني حكم ديني شرعي كقوله (أحلت لكم بهيمة الأنعام — إلى قوله — إن الله
يحكم ما يريد)

والحكمة وضع الأشياء مواضعها .

قال ابن القيم في المدايح : الحكمة حكمتان علمية وعملية ، فالعلمية الاطلاع على
بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الاسباب بمسبباتها خلقاً وأمرأ ، قدراً وشرعاً ،
والعملية وضع الشيء في موضعه . انتهى

وحكمته سبحانه صفة قائمة به كسائر صفاته من سمعه وبصره وعلمه وقدرته ونحو
ذلك ، وهي تنقسم إلى قسمين : إحداها حكمة في خلقه وهي نوعان : الاول إحكام هذا
الخلق وإيجاده في غاية الإحكام والاتقان ، الثاني صدوره لأجل غاية محدودة مطلوبة له
سبحانه التي أمر لأجلها وخلق لأجلها .

الثانية : الحكمة في شرعه وتنقسم أيضاً إلى قسمين : الاول كونها في غاية
الإحسان والاتقان ، الثاني : كونها صدرت لغاية محدودة وحكمة عظيمة يستحق
عليها الحمد .

قال في المنهاج : أجمع المسلمون على وصفه سبحانه بالحكمة وتنازعوا في تفسير ذلك
فقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم هو حكيم في خلقه وأمره ، والحكمة تتضمن ما في
خلقه وأمره من العواقب الحمودة والغايات المحبوبة ، والجمهور يقولون لام التعليل
داخلة في أفعال الله وأحكامه . انتهى

فاسمه الحكيم فيه إثبات الحكمة ، والحكمة تتضمن كمال علمه وخبرته ، وأنه
أمر ونهى وخلق وقدر لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها
كمال الحمد ، والإحكام الذي في مخلوقاته دليل على علمه ، وإنما يدل إذا كان الفاعل
حكيماً يفعل الحكمة . انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

وقوله سبحانه (يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وقوله سبحانه (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر

والحكم معناه لغة المنع وشرعاً هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييراً ، وينقسم الحكم بالنسبة إلى الرضا به وعدمه إلى أقسام : قسم يجب الرضا به والالتقياد والاستسلام له ، وهو الحكم الديني الشرعي ، قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمون فيما شجر بينهم) الآية ، وأما الحكم الكوني القدرى فنه ما يستحب الرضا به ، كالرضاء بالفقر والعاهة والامراض ونحو ذلك ، ومنه ما يحرم الرضا به كالرضا بالكفر والمصيبة ونحو ذلك .

وأما اسمه سبحانه الخبير ، فعنه الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الاشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها . انتهى من الصواعق .

يقال : خبرت الامر أخبره إذا عرفته على حقيقته .

قوله (يعلم ما يلج) أى يدخل ، يقال ولج يلج ، أى دخل يدخل ، أى يعلم ما يدخل فيها ، أى فى الارض من القطر والبذور والكنوز والموتى وغير ذلك .

قوله (وما يخرج منها) أى من الارض من النبات والمعادن . قوله (وما ينزل من السماء) من المطر والملائكة . قوله (وما يرج فيها) أى يصعد فى السماء .

قوله (وهو معكم) سيأتى الكلام على المعية .

قوله (وعنده مفاتيح الغيب) أى خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه .

قوله (لا يعلمها إلا هو) قال المناوى رحمه الله : فن ادعى علم شيء منها كفر ، ومفاتيح الغيب هى الخمسة المذكورة فى قوله سبحانه وتعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت) كما رواه البخارى فى صحيحه .

قوله (ويعلم ما فى البر) أى القفار من النبات والدواب وغير ذلك

والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين

قوله (والبحر) أى يعلم ما فيه من الحيوانات والجواهر ونحو ذلك . قوله (وما تسقط من ورقة) أى من أشجار البر والبحر وغير ذلك . قوله (إلا يعلمها) سبحانه قوله (ولا حبة في ظلمات الأرض) من حبوب الثمار والزرع وغير ذلك .

قوله (ولا رطب ولا يابس) هذا عموم بعد خصوص

قوله (إلا في كتاب مبين) أى مكتوب في اللوح المحفوظ ، لأن الله كتب علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والأرض ، فجميع الأشياء صغيرها وكبيرها مثبتة في اللوح المحفوظ على ما هي عليه ، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم ، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر ، فانها أربع مراتب : علمه سبحانه الشامل لجميع الأشياء ، وكتابه المحيط بجميع الموجودات ، ومشيئته العامة الشاملة لكل شيء خلقه لجميع المخلوقات ، وسيأتي الكلام على هذا إن شاء الله في الكلام على القدر .

ففي هذه الآية إثبات صفة العلم لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته وهي من الصفات الذاتية ، وفيها الرد على المعتزلة حيث قالوا إنه عالم بلا علم ، وفيها إثبات إحاطة علمه بكل شيء فلا يخفى عليه خافية وأنه يعلم الكلليات والجزئيات ، ويعلم كل شيء ، ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، كما قال سبحانه (ولو علم الله فيهم خيراً لأصمهم) وقال تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وفي هذه الآية الرد على من زعم أن رسول الله ﷺ يعلم الغيب ، فهي صريحة في أن هذه الخمس لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى كما تقدم الحديث الذي في الصحيحين أنه ﷺ قال « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله : لا يعلم ما في الأرحام إلا الله ، الحديث . » وقال القرطبي رحمه الله : لا مطمع لأحد في علم شيء من هذه الأمور الخمسة ، اهـ والمراد بالغيب المشار إليه هو الغيب المطلق وهو ما لا يعلمه إلا الله ، لا الغيب المقيد ، وهو ما علمه بعض المخلوقات دون بعض فهو غيب بالنسبة لمن لم يعلمه دون

قوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) وقوله (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما

من علمه فيكون غيباً عن غاب عنه من المخلوقين لا عن شهوده ، فتخلص أن الغيب ينقسم إلى قسمين مطلق ومقيد .

قوله (وما تحمل من أنثى) ما مصدرية أى أنه سبحانه يعلم فى أى يوم تحمل وفى أى يوم تضع ، وهل هو ذكر أو أنثى ، فى هذه الآية إثبات صفة العلم كما تقدم ، وقد تواطأت الأدلة على إثبات هذه الصفة عقلاً ونقلاً ، وفيها سعة علمه سبحانه وأنه منفرد بعلم ما فى الارحام وعلم مدة إقامته فيه ، وهذا أحد أنواع الغيب الذى لا يعلمها إلا الله .

قوله (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) هذه الآية فيها إثبات صفة القدرة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله ، فجميع الاشياء منقادة لقدرته تابعة لمشيئته سبحانه ، وقدير فعيل ، بمعنى فاعل بمعنى القادر وهى من الصفات الذاتية ، كما ذكره فى الفتح . قال ابن البطال : القدرة من صفات الذات والقوة والقدرة بمعنى واحد انتهى . وأما المقدر فعناه التام القدرة الذى لا يمتنع عليه شيء . قال أحمد رحمه الله : القدر قدرة الله ، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد ، والمعنى أنه لا يمنع من قدرة الله شيء ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله سبحانه ، وقد قال بعض السلف : ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا ، وإن جحدوه كفروا ، وقد استدلل العلماء على إثبات القدر بشمول القدرة والعلم ، فقوله سبحانه (وهو على كل شيء قدير) عام يتناول كل شيء فيدخل فيه أفعال العباد من الطاعات والمعاصى فإنها داخلة تحت قدرة الله ومشيئته ، وكما أنه المريد لها القادر عليها فانهم هم الفاعلون لها الواقعة بقدرتهم ومشيئتهم كما قال سبحانه وتعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم) وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين .

والقدرة تنكر دخول أفعال خلقه تحت قدرته ومشيئته وخلقته ، فهم فى الحقيقة

منكرون لكمال عزته وملكه ، قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية :
 وهو القدير لكل شيء فهو مقدر له طوعاً وبلاً عصياناً وعموم قدرته تدل بأنه هو خالق الافعال للحيوان
 هي خلقه حقاً وأفعالهم خطأ ولا يتناقض الأمران
 فحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن
 واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد لما حكاه عن الرضى الربانى
 قال الامام شفى القلوب بلفظة ذات اختصار وهي ذات معنى
 فهو سبحانه خالق كل شيء وربّه ومليكه لا خالق غيره ولا رب سواه ما شاء الله
 كان وما لم يشأ لم يكن ، فكل ما فى الوجود من حركة أو سكون فبقضائه وقدره
 ومشينته وخلقّه ، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسوله ، ونهى عن معصيته
 ومعصية رسوله ، ولا يتناقض الأمران خلافاً لأهل البدع .
 قوله تعالى (إن الله قد أحاط بكل شيء علماً)

فلا يخرج حادث من الاعيان والافعال عن قدرته وخلقّه كما لا يخرج عن علمه ومشينته
 تنبيه : يجىء فى كلام بعض الناس « وهو على ما يشاء قدير » وليس ذلك بصواب
 بل الصواب ما جاء فى الكتاب والسنة « وهو على كل شيء قدير » لعموم قدرته
 ومشينته خلافاً لأهل البدع من المعتزلة وغيرهم .

قوله (الرزاق) فعال من أبنية المبالغة ومعناه الذى أعطى الخلائق أرزاقها وعاقبا
 إليهم ، والرزق بالفتح العطاء وبالكسر لغة الحظ والنصيب ، وشرهاً هو ما يدفع من
 حلال أو حرام .

وينقسم الرزق إلى قسمين : الاول الرزق المطلق وهو المستمر نفعه فى الدنيا والآخرة
 وهو رزق القلوب العلم والإيمان والرزق الحلال .

الثانى : مطلق الرزق وهو الرزق العام لسائر الخليفة برها وفاجرها وبهائها وخيرها

ذو القوة المتين) وقوله (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) وقوله (إن الله ينما يعظكم به إن الله كان سمياً بصيراً)

وهو سوق القوت لكل مخلوق ، وهذا يكون من الحلال والحرام ، والله رازقه ، قال تعالى « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » الآية .

قوله (ذو القوة) أى صاحب القوة التامة الذى لا يعتره ضعف وهو بمعنى العزيز انتهى ، والقوة من صفات الذات ، وهو بمعنى القدرة لم يزل سبحانه ذا قوة وقدرة ، والمعنى فى وصفه بالقوة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء ، انتهى من الفتح . قوله (المتين) أى الذى له كمال القوة ، قال البيهقي : القوى التام القدرة لا ينسب إليه عجز فى حال من الاحوال ، انتهى . فهذه الآية فيها إثبات صفة الرزاق ، وهى من الصفات الفعلية ، وفيها إثبات صفة القوة ، وهى من الصفات الذاتية .

قوله (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) هذه الآية قد تقدم الكلام عليها . قوله (ينما يعظكم به) نعم من أفاض المدح و « ما » قيل فكرة موصوفة كأنه قيل نعم شيئاً يعظكم به أو موصولة ، أى نعم الشيء الذى يعظكم به .

قوله (يعظكم) أى يأمركم به من أداء الامانات والحكم بين الناس بالعدل . قوله (إن الله كان سمياً بصيراً) أى أنه سبحانه مسمي لما تقولون وبصير بما تفعلون . فهذه الآية وما قبلها من الايات تدل على إثبات السمع والبصر لله حقيقة كما يليق بجلال الله وعظمته ، وفيه دليل على أن صفة السمع غير صفة البصر ، إذ العطف يقتضى المغايرة ، فالصفات بالنظر إلى الذات مترادفة ، لأنها كلها صفة لذات واحدة وبالنظر إلى الصفات متباينة لان كل صفة غير الصفة الاخرى ، فالسمع غير البصر وكذلك العلم وهلم جرا .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ويضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول : هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع أصبعيه . رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه . وعمل النبي

قوله (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وقوله (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد)

هذا دليل على إثبات هاتين الصفتين وإثباتهما غير صفة العلم وإلا لأشار إلى صدره ، ووضعه إيهاميه تحقيقاً لصفة السمع والبصر وإثبات حقيقة لا يجاز خلافاً لأهل البدع .

قوله (ولولا) أى وهلا ، قوله (إذ دخلت جنتك) أى هلا قلت حين دخلت بستانك ، قوله (ما شاء الله) ما موصولة ، أى الامر ما شاء الله إقراراً بمشيئته ، أى أنه إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها واعتراقاً بالمعجز وأن القدرة لله سبحانه .
قال بعض السلف : من أعجبه شيء فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وفي هذه الآية وصفه سبحانه بالقوة وإثبات المشيئة له الشاملة العامة ، فما وقع من شيء فقد شاءه وأراد لا راد لآمره ولا معقب لحكمه .

قوله (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) أى لو شاء سبحانه هدم اقتتالهم لم يقتتلوا ، إذ لا يجرى فى ملكه إلا ما شاء سبحانه ، فهذه الآية فيها إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى ، وأن ما شاءه لا بد من وقوعه ، فكل ما وجد فهو بمشيئته سبحانه لا راد لآمره ولا معقب لحكمه ، وهذا يبطل قول المعتزلة ، لأنه أخير أنه لو شاء أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا ، وهم يقولون شاء أن لا يقتتلوا فافتعلوا ، والادلة على بطلان قول المعتزلة كثيرة جداً ، ومن أضل سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر والكافر شاء الكفر ، فنلبث مشيئة الكافر مشيئة الله (تعالى الله عن قولهم) وفيها إثبات الفعل حقيقة لله كما يليق بجلاله ، وأن القدرة عليه صفة كمال وأنه سبحانه لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال ، والفعل من لوازم الحياة ، والرب لم يزل حياً فلم يزل فعالاً ، وأفعاله سبحانه كصفاته قائمة به ولولا ذلك لم يكن فعالاً ولا موصوفاً بصفات الكمال ، فأفعاله سبحانه نوعان لازمة ومتعدية كما دلت على ذلك النصوص التى لا تحصى وهى أفعال حقيقة وليست

وقوله سبحانه (أحلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد)

مجازاً ، وليست كأفعال خلقه ، فصفاته تليق به سبحانه ، انتهت من كلام شيخ الاسلام باختصار .

قال ابن القيم رحمه الله ، قوله « فعال لما يريد » دليل على أمور . أحدها أنه سبحانه يفعل بإرادته ومشينته ، الثاني أنه لم يزل كذلك لانه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه وأن ذلك من كماله فلا يجوز في وقت من الاوقات أن يكون عادماً لهذا السكال ، وما كان من أوصاف كماله ونموت جلاله لم يكن حادثاً بعد ان لم يكن ، الثالث انه إذا أراد شيئاً فعله ، فان ما موصولة عامة ، أى يفعل كل ما يريد أن يفعله ، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله ، وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فلها شأن آخر ، فان هنا إرادتين : إرادة أن يفعل العبد ، وإرادة أن يجعله الرب فاعلاً ، وليستا متلازمتين وإن لزم من الثانية الاولى من غير عكس ، الرابع إن إرادته وفعله متلازمان ، فإ أراد أن يفعله وما فعله فقد أراده ، بخلاف الخلق ، فإثم فعال لما يريد إلا الله .

الخامس إثبات إرادات متعددة بحسب الافعال وأن كل فعل له إرادة تخصه ، هذا هو المعقول في الفطر .

السادس : إن كل ما صلح أن تتعلق به إرادته جاز فعله .

قوله (أحلت) أى أبيحت . قوله (بهيمة الانعام) أى الإبل والبقر والغنم سميت بهيمة لأنها لا تتكلم وأما النعم فهى الإبل خاصة . قوله « الا ما يتلى عليكم » أى الا ما يتلى عليكم تحريم ، فى قوله سبحانه « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » الآية . قوله « غير محلي الصيد وأنتم حرم » غير نصب على الحال ، ومعنى الآية أحلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما كان منها وحشياً فانه صيد لا يحل لكم فى حال الاحرام قوله (إن الله يحكم ما يريد) أى يحكم ما يريد من التحليل والتحريم لا اعتراض

عليه ، فهو الحكم سبحانه والحكيم لا حاكم غيره ، فكل حكم سوى حكمه فهو باطل ومردود ، وكل حاكم بغير حكمه وحكم رسوله فهو طاغوت كافر بالله ، قال تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وهذا عام شامل لما من غرضية إلا والله فيها حكم « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ولا شك أن من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله واعتاض عنها بالقوانين الوضعية أنه كافر بالله .

وكذلك من زعم أنه يسمع الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ، أو زعم أن هدى غير محمد أفضل من هديه ﷺ أو أحسن أو زعم أنه لا يسع الناس في مثل هذه المصوّر إلا الخروج عن الشريعة وأنها كانت كافية في الزمان الأول فقط ، وأما في هذه الأزمنة فالشريعة لا تسير الزمن ولا بد من تنظيم قوانين بما يناسب الزمن ، لا شك إن اعتقاد هذا الاعتقاد أنه قد استهان بكتاب الله وسنة رسوله وتنقصهما فلا شك في كفره وخروجه عن الدين ، وكذلك من زعم أنه محتاج للشريعة في علم الظاهر دون علم الباطن أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، أو أن الإنسان حر في التدبير في أي دين شاء من يهودية أو نصرانية أو غير ذلك أو إن هذه الشرائع غير منسوخة بدين محمد ، أو استهان بدين الإسلام أو تنقصه أو هزل به أو بشيء من شرائعه أو بمن جاء به ، وكذلك ألحق بعض العلماء الاستهانة بحملته لأجل حله ، فهذه الأمور كلها كفر ، قال تعالى « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » الآية

قوله (إن الله يحكم) فيها إثبات صفة الحكم لله سبحانه وتعالى ، وقد تقدم أن حكمه ينقسم إلى قسمين كوني كما في قوله « أو يحكم الله لي » وشرعي كما في هذه الآية قوله (ما يريد) فيه إثبات الإرادة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وأنه لم يزل مريداً بأرادات متعاقبة ، فنوع الإرادة قديم ، وأما إرادة الشيء المعين إنما

يريده في وقته ، فالإرادة من صفات الفاعل ، وهي تنقسم إلى قسمين إرادة كونية قدرية وهذه مرادفة للمشيئة ، وما أرادته سبحانه كوناً وقدرآ فلا بد من وقوعه ، فهذه الإرادة هي المتعلقة بالخلق وهو أنه يريد سبحانه أن يفعل هو .

الثاني : إرادة شرعية دينية ، وهذه الإرادة المتعلقة بالامر ، وهي أن يريد من عبده أن يفعل ، وهذه مرادفة للمحبة والرضا ، فتجتمع الارادتان في حق المخلص الطيع ، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي ، ومن لم يفرق بين النوعين فقد ضل كالجهمية والقدرية ، فالإرادة الكونية كقوله « فمن يرد أن يهديه يشرح صدره للإسلام » والدينية كقوله « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » الآية ، فالمحبة والرضا أخص من الإرادة خلافاً للمعتزلة وأكثر الأشاعرة القائلين إن المحبة والرضا والإرادة سواء ، فأهل السنة يقولون : إن الله لا يحب الكفر والفسوق ولا يرضاه وإن كان قد أراد كونا وقدرآ ، كما دخلت سائر المخلوقات لما في ذلك من الحكمة ، وهو وإن كان شرآ بالنسبة الى الفاعل فليس كل ما كان شرآ بالنسبة الى شخص يكون عديم الحكمة ، بل لله في بعض المخلوقات حكم قد يعلمها بعض الناس وقد لا يعلمها ، انتهي من كلام الشيخ تقي الدين ابن تيمية بتصرف .

قوله « فمن يرد الله أن يهديه » أى من شاء سبحانه أن يهديه ويرشده ويوفقه ويجعل قلبه قابلاً للخير هـداه سبحانه وتعالى ووفقه ، فهداية القلوب اليه سبحانه يهدي من يشاء بفضلته ويضل من يشاء بعدله ، فلا تطلب الهداية إلا منه سبحانه فهو الهادى كما قال سبحانه « من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له » وفى الحديث « كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهديكم » وليست هذه الآية معارضة لحديث عياض ابن حمار عن النبی ﷺ يقول الله : خلقت عبادى حنفاء ، وفى رواية مسلمين فاجتالهم الشياطين۔ فان الله خلق بنى آدم وفطرهم على قبول الاسلام والميل اليه دون غيره والتهيؤ لذلك والاستعداد له بالقوة ، لكن لا بد للمعبد من تعليم

يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصمد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون »

الاسلام بالفيل ، فانه قبل التعليم جاهلاً لا يعرف شيئاً ، كما قال سبحانه « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً » الآية ، فان هداه الله سبب له من يمامه الاسلام فصار مهدياً بالفيل بعد أن كان مهدياً بالقوة ، وإن خذله قبض له ما ينير له فطرته ، كما قال ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » الحديث .

قوله « يشرح صدره للاسلام » أى يوسع قلبه للايمان بأن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ويقبله .

قوله « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » أى ومن شاء سبحانه أن يضله عن الهدى يجعل صدره ضيقاً ، أى عن قبول الايمان ، وحرجاً أى شديد الضيق فلا يبقى فيه منفذ للخير ، ومكان حرج أى ضيق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية والحرج أيضاً الانهم .

قوله « كأنما يصمد في السماء » أى إذا كلف الايمان كأنما يصمد في السماء لشدة علمه قوله « كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » يقول الله سبحانه : كما يجعل صدر من أراد إضلاله ضيقاً كذلك يسلط عليه الشيطان وعلى أمثاله ممن أبى الايمان بالله ورسوله فينوي به ويصده عن سبيل الله ، قال ابن عباس : الرجس الشيطان ، وقال مجاهد الرجس كل مالا خير فيه وقيل المذاب ، ففي هذه الآية ان الهداية والاضلال بيد الله ، وفيها أن العبد مفتقر إلى ربه في كل شيء ، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، وأن من تفرد بخلق العبد ورزقه هو المستحق أن يفرد بالالوهية والعبادة والسؤال ، وأنه ليس عند أحد من هداية القلوب وتفريج الكرب شيء من ذلك لا الانبياء ولا الملائكة ولا غيرهم ، ففيه الرد على من زعم ذلك للنبي ﷺ فضلاً عن غيره . اهـ

وفي هذه الآية كفيها دليل على إثبات العلة والحكمة في أفعال الله ، إذ لا يعقل صريد إلا إذا كان المرید قد فعل لحكمة يقصدها بالفعل ، وإثبات الحكمة في أفعاله سبحانه هو قول السلف وجمهور المسلمين وجمهور العقلاء ، وقالت طائفة كجهم وأتباعه انه لم يخلق شيئاً لشيء ، وواقفه أبو الحسن الأشعري ومن اتبعه وهم يثبتون أنه صريد وينكرون أن له حكمة يريد بها وهذا تناقض ، انتهى من كلام الشيخ تقي الدين ابن تيمية بتصرف .

وفي هذه الآية كسوابقها إثبات الإرادة لله كما يليق بجلاله ، وعلم مما تقدم أن الإرادة تنقسم إلى قسمين ، وأن المشيئة لا تنقسم وإنما مرادفة للإرادة الكونية كما علم أن المحبة والرضا أخص من مطلق الإرادة ، وأن الأدلة دلت على الفرق بين المشيئة والمحبة والرضا ، وأن من جمع بينهما فقد ضل ضلالاً مبيناً وصادم أدلة الكتاب والسنة وجمع بين ما فرق الله .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : فالإرادة الكونية هي المشيئة لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية ، والإرادة الدينية الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا المتناولة لجميع ما أمر به وجعله شرعاً وديناً ، وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح ، قال ومنشأ ضلال من ضل هو من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا ، فسوى بينهما الجبرية والقدرية ، فقالت الجبرية الكون كله بقضائه وقدره ، فيكون محبوباً مرضياً ، وقالت القدرية النفاة : ليست المعاصي محبوبة له ولا مرضية ، فليست مقدرة ولا مقتضية ، فهي خارجة عن مشيئته وخلقها وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة ، أما نصوص المشيئة والإرادة فكقوله سبحانه (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ولو شاء ربك لآمن من في الأرض) وأما نصوص المحبة والرضا فكقوله (والله لا يحب الفساد) وقوله (ولا يرضى لعباده الكفر) الآية ، انتهى

قال ابن القيم رحمه الله في المدايح : ومراده سبحانه نوعان : مراد يحبه ويرضاه

ويمدح فاعله ويواليه ، فوافقته في هذا المراد هي عين محبته ، وإرادة خلافه رعوته ومعارضة واعتراض ، ومراد ينفذه ويكرهه ويمقت فاعله ، فوافقته في هذا المراد عين مشاقته ومعاداته ، فهذا الموضع موضع فرقان ، فالواقفة كل الموافقة في معارضة هذا المراد واعتراضه بالدفع والرد . انتهى .

وفي الآية إثبات الهداية لله سبحانه وتعالى وأنه الهادي لا سواء ، ومن أمهاته سبحانه الهادي ، وهو الذي بهر عباده وعرفهم طريق معرفته ، وهدي كل مخلوق إلى ما لا يذله منه ، وتنقسم الهداية إلى قسمين : الأول هداية خاصة بالله سبحانه وتعالى لهادي غيره ولا تطلب إلا منه وهي هداية التوفيق والقبول والإلهام ، وهي المستلزمة للاهتمام ، وهي المذكورة في قوله سبحانه وتعالى (إنك لا تهدي من أحببت) — الثاني : الهداية العامة وهي هداية الدلالة والإرشاد والبيان ، وهي المذكورة في قوله (وإنك تهدي إلى صراط مستقيم) فالنبي ﷺ هو المبين عن الله والدال على دينه وشرعه ، وكذلك الأنبياء وأتباعهم ، وهذه الهداية لا تستلزم الاهتمام ، ولهذا يفتنى بها الهدى ، كما في قوله تعالى (وأما نمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) أي بينا لنمود وأرشدناهم فلم يهتدوا .

فالهداية المنفعية عن النبي ﷺ وغيره هي هداية التوفيق والقبول ، وأما المثبتة له كغيره من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم فهي هداية الدلالة والإرشاد .

وفي الآية المتقدمة إثبات الصفات الفعلية وإنها تنقسم إلى قسمين : متعدية ولازمة فالمتعدية ما تعدى إلى مفعول مثل خلق ورزق وهدي وأضل ، واللازمة كقوله (ثم استوى إلى السماء . ثم استوى على العرش . وجاء ربك والملك صفاصفا) إلى غير ذلك مما لا يحصى من النوعين ، ذكر ذلك الشيخ تقي الدين وابن القيم رحمهم الله

ذكر المصنف رحمه الله تعالى الآيات في إثبات المشيئة والإرادة ثم ذكر الآيات في إثبات المحبة والرضا ، إشارة إلى الرد على من زعم التسوية بين ما ذكر ، وأن المحبة والرضا والمشيئة متلازمان ، ولا شك في بطلان هذا القول وفساده ، فالادلة

قوله سبحانه (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وقوله (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)

الكثيرة دلت على الفرق بين محبته ورضاه وإرادته .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في المنهاج : فأهل السنة والجماعة يقولون إن الله يحب ويرضى ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، ويقولون إن المحبة والرضا أخص من الإرادة ، فيقولون إن الله لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يرضاه ، وإن كان داخلًا في مراده ، كما دخلت سائر المخلوقات لما في ذلك من الحكمة . انتهى

قوله (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) لما حث على الصداقة والإففاق في وجوه الخير أمر بالإحسان وهو أعلى مقامات الطاعة وهو الإتيان بالعمل على أحسن أحواله وأكملها ، وهذا أمر عام بالإحسان في معاملة الله وفي معاملة خلقه ، إذ حذف المعمول يؤذن بالعموم .

عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله كتب الإحسان على كل شيء . فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » ، رواه مسلم . فهذا الحديث كآلية فيهما دليل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال ، لكن إحسان كل شيء بحسبه ، وفي هذه الآية وأمثالها دليل على أن الله موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة ومحبة سبحانه كما يليق بجلاله ، وفيها دليل على أنه يحب مقتضى أفعاله وصفاته وما يوافقها ، فهو محسن يحب المحسنين ، ومؤمن يحب المؤمنين ، وفي هذه الآية وأمثالها دليل على أن محبته سبحانه وتعالى تتفاضل فيحب بعض المؤمنين أكثر من بعض ، وفيها إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل وأن الإحسان أعظم سبب لمحبة الله سبحانه وتعالى للعبد ، وفيها أدلة واضحة على إثبات فعل العبد وكسبه ، وأنه يثاب على حسنه ويعاقب على سيئه ، فتضمنت هذه الآية الرد على القدرية والجبرية ، وفيها إثبات العلة والحكمة .

قوله (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أي اعدلوا في معاملاتكم وأحكامكم مع القريب والبعيد ، يقال أقسط بمعنى عدل ، وقسط بمعنى جار ، قال تعالى (فأما القاططون

وقوله سبحانه (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) وقوله (إن الله يحب التوابين)

فكانوا لجهنم خطبا) ومن أعمائه سبحانه : المقسط أى العادل ، ففي هذه الآيه الحث على العدل وفضله وأنه سبب لمحبة الله ، وأن العدل فى الرعية من أفضل القرب سواء كانت رعية عامة كالحاكم أو خاصة كعدل آحاد الناس فى بيته وولده كما فى الحديث « كلكم راع ومسئول عن رعيته » وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال « إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » وفى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلسا إمام عادل) .

قوله (فما استقاموا) ما شرطية ، أى ما استقام لكم المشركون على العهد ولم ينقضوه فاستقيموا لهم على الوفاء به . قوله (إن الله يحب المتقين) أى المتقين للذنوب والمعاصى والتقوى هى التحرز بطاعة الله عن معصيته ، فهى كلمة جامعة لفعل المسامرات وترك المنهيات . قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعبد الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله . فى هذه الآيه الحث على الوفاء بالعهد وتحريم الغدر ، وفيها فضل التقوى والحث عليها ، وفيها إثبات محبة الله . قوله (إن الله يحب التوابين) أى من الذنوب والمعاصى ، والتواب هو الذى كلما أذنب تاب ، يقال تاب يتوب أى رجع ، وتواب كثير التوبة ، وتواب من أعماء الله سبحانه وتعالى أى كثير التوبة على عباده ، وتاب على العبد ألهمه التوبة وقبل توبته قال ابن القيم رحمه الله : والعبد تواب والله تواب ، فتوبة العبد رجوعه الى سيده بعد إباق ، وتوبة الله نوعان : اذن وتوفيق ، وقبول واعتداد . اهـ

فالتوبة لئلا الرجوع يقال : تاب وآب وأتاب وتاب ، كلها بمعنى رجع وشرعا : الرجوع عن الذنب وهى واجبة من جميع الذنوب على الفور قال الله تعالى (وتوبوا الى

الله جميعاً أيها المؤمنون) والايات والأحاديث في الأمر بالتوبة والحث عليها كثيرة جداً ، وتصح التوبة من بعض الذنوب دون بعض ، وللتوبة ثلاثة شروط :

الأول الندم على ما فات والثاني العزم على أن لا يعود والثالث الإفلاع عن الذنب

فإن كانت التوبة من حقوق الادميين اشترط شرط رابع وهو الخروج عن تلك المظلمة واستحلاله ان كانت غيبية ، وللتوبة أيضاً شرط خامس وهو أن يتوب قبل الفرغرة ، كما في الحديث الصحيح « ان الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ » وأما في حالة الفرغرة وهي حالة النزاع فلا تقبل توبته ، وأما التوبة النصوح فهي الخالصة التي لا يختص بها ذنب دون ذنب ، وقيل ان التوبة النصوح هي أن يترك الذنب ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن في الضرع .

قوله (ويجب المتطهرين) أي عن الذنوب والمعاصي ، وعن الأحداث والنجاسات فالطهارة لغة النظافة والنزاهة والنظافة عن الأقدار حسية كانت أو معنوية ، فالحسية كالطهارة عن الأحداث والنجاسات ، والمعنوية كالطهارة عن الذنوب والمعاصي ، والاية شاملة عامة حاتمة على الطهارتين ، وفي حديث أبي مالك الأشعري الذي رواه مسلم « الطهور شطر الإيمان » الحديث . وتقديم التوايين على المتطهرين من باب تقديم السبب على المسبب لأن التوبة سبب الطهارة . أفاده ابن القيم في بدائع الفوائد .

ففي هذه الايات المتقدمة اثبات محبته سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته خلافاً للمبتدعة من جهمية ومعتزلة الذين أنكروا محبته سبحانه ، وهم في الحقيقة منكرون للالهية فان الإله هو المألوه الذي تألمه القلوب محبة واجلالاً وخوفاً وتعظيماً .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : في هذه الايات اثبات محبة الله وهي على حقيقتها عند سلف الأمة ومشائخها . وأول من أنكر حقيقتها شيخ الجهمية الجعدي درهم ، فهو أول من ابتدع هذا في الإسلام في أوائل المائة الثانية ، فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط . خطب الناس يوم الاضحى فقال : يا أيها

قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)

الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضى بالجعد بن درهم فانه زعم أنه لم يتخذ ابراهيم خليلا ولا كلم موسى تسليما ثم نزل وذبحه ، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضى الله عنهم ، وأخذ هذا المذهب عن الجعد بن درهم : الجهم بن صفوان فأظهره وناظر عليه ، وإليه أضيف قول الجهمية قتلته سلم بن أجور أمير خراسان بها ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن حبيد وظهر قولهم في أننا خلافة المأمون حتى امتحن أئمة الإسلام ودعوم إلى الموافقة على ذلك ، وأصل ذلك مأخوذ عن المشركين والصابئة ، وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلا ، لأن الخلقة هي كال المحبة المستفردة للمحب كما قيل :

قد فخلت مسلك الروح منى وبذا صمي الخليل خليلا
ولكن محبته وخلته كما يليق به كسائر صفاته . اهـ

والذي يوصف به سبحانه وتعالى من أنواع المحبة : الإرادة والود والمحبة والخلقة كما ورد النص . من شرح الطحاوية

قوله سبحانه وتعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) قال الحسن : ادعى قوم أنهم يحبون الله فأُنزل الله هذه الآية محبة لهم ، فهذه الآية فيها دليل على أن من ادعى ولاية الله وحضته وهو لم يتبع ما جاء به رسوله ﷺ فليس من أولياء الله ، بل من أولياء الشيطان ، وفيها أن علامة ودليل محبة الله هو اتباع رسوله ، وأن من اتبع الرسول حصلت له محبة الله . قال بعض السلف : ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب ، وفيها إثبات المحبة من الجانبين ، فمحبة الله لأنبيائه ورسله وعباده الصالحين صفة زائدة على رحمته وإحسانه وإعطائه ، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها فإن الله لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه . أتم نصيب .

هذا قول أهل السنة والجماعة . وأما الجهمية والمعتزلة فمكس هؤلاء ، فانه عندهم لا يجب ولا يجب . ولم يمكنهم تكذيب النصوص المتكاثرة في إثبات المحبة من

قوله تعالى (من یرتد منكم عن دينه فسوف یأتی الله بقوم یحبهم ویحبونه أذلة على المؤمنین أհزة على الكافرین یجاهدون فی سبیل الله ولا یخافون لومة لائم

الجانبین ، فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته ، وأولوا نصوص محبته لهم بأحسنه إلیهم وإعطائهم الثواب ونحو ذلك من التأویلات الفاسدة المصادمة لأدلة الكتاب والسنة الكثيرة فی إثبات المحبة من الجانبین .

قال ابن القيم رحمه الله : وجميع طرق الأدلة عقلا ونقلا وفطرة وقياساً وذوقاً واعتباراً ووجداناً تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده . وقد ذكرنا لذلك قریباً من مائة دليل فی کتابنا الكبير فی المحبة . اهـ

قوله (من یرتد منكم عن دينه) أى یرجع والرد لغة : الرجوع وشرعاً : هو الذى یکفر بعد إسلامه قطعاً أو اعتقاداً أو شكاً أو فعلاً .

قوله (فسوف یأتی الله بقوم یحبهم ویحبونه) أى من تولى عن نصرة دينه وإقامة شریعته فان الله یستبدل به من هو خيراً منه وأقوم سبیلاً كما قال تعالى (وإن تتولوا یستبدل قوماً غیرکم ثم لا یكونوا أمثالکم) الاية ، والقوم الجماعة من الناس .

قوله (أذلة على المؤمنین) أى أهل رقة وتواضع للمؤمنین . قال عطاء : للمؤمنین كالولد لوالده والعبد لسيده ، وعلى الكافرین كالأسد على فريسته .

قوله (أہزة على الكافرین) أى أهل غلظة وشدة على الكافرین ، وهذه من صفات المؤمنین ، كما قال سبحانه (محمد رسول الله والذین معه أشداء على الكفار رحماء بینهم) وفى صفة رسول الله أنه الضحوك القتال ، فهو ضحوك لأولیائه قتال لأعدائه قوله (یجاهدون فی سبیل الله) أى بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم وذلك تحقیق دعوى المحبة والجهاد لغة بذل الطاقة والوسع ، وشرعاً قتال الكفار ، وقد تكاثرت الأدلة على فضل الجهاد والحث علیه .

قوله (ولا یخافون لومة لائم) أى لا تأخذهم فی الله لومة لائم ، وهذا علامة صحة المحبة ، أى لا یردم عن مام فیہ من طاعة الله ورسوله راد ولا یصدم عنهم صاد

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)

ولا يخافون في ذلك لوم لائم ، ولا عذل عاذل كما روى الإمام أحمد من حديث أبي ذر قال : أمرني خليلي ﷺ بسبع : أمرني بحب المساكين والفقير منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوق ، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً ، وأمرني أن أقول الحق وإن كان صراً ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانهن من كنز تحت العرش .

قوله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) أى من اتصف بهذه الصفات فانما هو فضل الله عليه وتوفيقه له . قوله (والله واسع عليم) أى واسع الفضل عليم بمن يستحق ذلك ممن يجرمه إياه . أفادت هذه الآية إثبات المحبة حقيقة من الجانبين خلافاً للمبتدعة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم ، وأفادت هذه الآية التحذير عن معصية الله سبحانه وتعالى وأن الكافر والعاصى لم يضر إلا نفسه ، وأفادت عظم قدرته سبحانه وتعالى في أن من تولى عن دينه وأعرض عنه فانه يستبدل به غيره وأفادت أن هذه الأربع من صفات المؤمنين ، وهى : الحب في الله والبغض في الله والجهاد في سبيل الله والقيام بأمره على الكبير والصغير والقريب والبعيد ، وأفادت أيضاً إثبات فعل العبد حقيقة كما أفادت أن الأعمال الصالحة سبب للسعادة كما قال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) وأن ذلك من فضله سبحانه وتوفيقه كما في الصحيح « ليس أحد منكم يدخل الجنة بعمله . قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » وفيها أيضاً وجوب إفراده سبحانه بالمحبة ، فان محبته سبحانه وتعالى هى أصل دين الإسلام ، فبكمالها يكمل دين العبد وينقصها ينقص .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : وقد علم أن العبادة إنما تنبغي على ثلاثة أصول : الخوف والرجاء والمحبة ، وكل منها فرض لازم والجمع بين الثلاثة حتم واجب ، ولهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها دون الآخر . انتهى

وقوله سبحانه وتعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وقوله (وهو الغفور الودود)

قوله (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله) أى يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم في إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى .

قوله (صفا) أى يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم كأنهم بنيان مرصوص قد رص بعضه ببعض ، أى ألزق بعضه ببعض أو أحكم ، فليس فيه فرجة ولا خلل . روى الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » رواه ابن ماجه .

أفادت هذه الآية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه ، وأفادت الندب إلى الصفوف في القتال ، وأفادت إثبات المحبة لله سبحانه وتعالى وهو قول جميع السلف وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين زعماء منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة ، وهذا القول باطل ترده أدلة الكتاب والسنة المتكاثرة .

قوله (الغفور) من أبفية المبالغة أى كثير المغفرة ، وأصل الغفر السستر ، ومنه المغفر فهو سبحانه وتعالى يغفر لمن تاب إليه ، أى يستر ذنوبه ويتجاوز عن خطاياهم . قال ابن رجب رحمه الله تعالى : المغفرة محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره ، ومنه المغفر لما بقى الرأس من الأذى لا كما ظنه بعضهم السستر ، فالعامة لا تسمى مغفراً مع سترها فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية . انتهى . والغفور أبلى من الغافر لأن فِعْل موضوع للمبالغة ، والغفار أى الستار للذنوب عباده أبلى من الغفور ، لأنه للتكثير من غير حصر ، وقد جاء في التنزيل الغفور والغفار والغافر .

قوله (الودود) من الود وهو خالص الحب وأرقه والودود من صفات الله سبحانه وتعالى أصله من المودة ، أى المتودد إلى عباده بنعمه الذى يؤد من تاب إليه

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم)

وأقبل عليه ، وهو أيضاً الودود أى المحبوب . قال البخارى فى صحيحه : الودود الحبيب ، والتحقيق أن اللفظ يدل على الأسرين على كونه واذاً لأولياؤه ومرئوداً لهم انتهى من كلام ابن القيم باختصار .

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم) الباء فى بسم الله للاستعانة وهى متعلقة بمحذوف والتقدير أبتدىء أو أولف على حسب ما يضره المتكلم ، والاسم مشتق من السمو وهو العلو أو من السمه وهى الملامه ، ولفظ الجلالة مشتق من أله ، ومعنى كونه مشتق أنه دال على صفة هى الألوهية كسائر أسمائه الحسنى ، كالعليم والسميع والبصير ونحو ذلك ، وهو جامع لمعانى الاسماء الحسنى والصفات العليا وراجعة إليه .

قوله (الرحمن الرحيم) هما صفتان لله سبحانه وتعالى مشتقتان من الرحمة وهما من أبنية المبالغة والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، والرحمن خاص بالله سبحانه وتعالى لا يسمى به غيره ولا يوصف بخلاف الرحيم فيوصف به غيره سبحانه وتعالى فيقال رجل رحيم ، والرحمة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى اللاتمة بجلاله وعظمته فيجب أن يوصف بها كما وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ بخلاف ما عليه أهل البدع الذين نفوا هذه الصفة وأولوها كمن يؤوطها بالانعام أو بارادة الانعام إلى غير ذلك من التأويلات الفاسدة ، فالرحمة ثابتة لله سبحانه وتعالى كميرها من الصفات ، سواء كانت ذاتية كالعلم والحياة أو فعلية كالرحمة التى رحم بها عباده ، فكما صفات قائمة به سبحانه ليست قائمة بغيره ، فيوصف بها سبحانه وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله .

وقد اجتمع فى بسم الله الرحمن الرحيم أنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية وتوحيد الاسماء والصفات ، وكذلك قد اجتمع فيها أنواع الخفض الثلاثة فبسم مخفوض بالحرف ، ولفظ الجلالة مخفوض بالاضافة ، والرحمن الرحيم مخفوضان بالتبعية .

قوله تعالى (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) وقوله (وكان بالمؤمنين رحيما) وقوله (ورحمتي وسعت كل شيء)

قال ابن القيم رحمه الله : وتضمنت بسم الله الرحمن الرحيم إثبات النبوات من جهات عديدة (الاول) من اسم الله وهو المألوه المعبود : ولا سبيل إلى معرفة عبوديته إلا من طريق رساله (الثاني) من اسمه الرحمن ، فان رحمته تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية السعادة ، فمن أعطى هذا الاسم حقه عرف انه متضمن لارسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه علم إنزال الغيث وإنبات الكلا وإخراج الحب فاقضاء الرحمة لما يحصل به حياة القلوب والارواح أعظم من اقتضاها ما يحصل به حياة الابدان والاشباح انتهى مدارج .

وقال في البدائع (الرحمن) دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم كما قال تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) ولم يجيء قط رحمن بهم فكان الاول للوصف والثاني للفعل ، فالاول دال على أن الرحمة وصفه والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته انتهى .

قوله (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلتك كل شيء ، فما من مسلم ولا كافر إلا وهو متقلب في نعمته ، فهذه الآية فيها دليل على إثبات رحمته سبحانه وتعالى ودليل على سمعتها وشموها . روى الإمام أحمد عن أبي عثمان عن النبي ﷺ قال « إن لله مئة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة » انفراد باخراجه مسلم .

وقوله سبحانه وتعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) وقوله (ورحمتي وسعت كل شيء) أي أن رحمته سبحانه همت وشملت كل شيء . قال الحسن وقتاده : وسعت رحمته سبحانه في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة . فهذه الآية فيها إثبات الرحمة وشموها ، ودلت هذه الآية وما قبلها على أن الرحمة تنقسم إلى قسمين الاول رحمة عامة وهي الرحمة المشتركة بين المسلم والكافر ، فإيصل إليه من رزق وصحة

ونحو ذلك فكله من رحمة الله كما في هذه الآية . الثاني رحمة خاصة بالمؤمنين كما في الآية التي قبلها وكان بالمؤمنين رحماً .

قوله سبحانه (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى أوجبها على نفسه الكريمه تفضلاً منه وإحساناً ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ « إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي » الحديث ، فالكتب المذكور في الآية هو الإيجاب على نفسه سبحانه وتعالى وكذلك ما ورد في الحديث « وحق العباد على الله » تفضل منه سبحانه وتعالى وإحسان وإلا فليس للعباد حق واجب كحق الخلق على الخلق كما تزعم المعتزلة ، فان المعتزلة تزعم أنه واجب عليه بالقياس على الخلق ، والأداة ترد قولهم عليهم وتبطل قولهم وتدل على ما عليه أهل السنة والجماعة وهو أن العبد لا يستوجب على الله بسميه نعمة ولا فلاحاً ولا يدخل أحد الجنة بعمله ويقولون إن الله سبحانه هو الذى كتب على نفسه الرحمة وأوجب الحق لم يوجب عليه مخلوق خلافاً للمعتزلة قال بعضهم :

ما للعباد حق عليه واجب كلا ولا سمي لديه ضائع
إن عذبوا فبعضله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع
قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق أنتهى .

وهذا كما في حديث « لو عذب الله أهل سمواته وأهل أرضه لمذبهم وهو غور ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم » والحديث المتقدم « ليس أحد منكم يدخل الجنة » الحديث ، وهذا الحديث لا ينافي قوله (جزاء بما كانوا يعملون) فان الرسول ﷺ نفى بآء المقابلة والمعادلة ، والقرآن أثبت بآء التسبب ، فالمنفى استحقاقها بمجرد الاعمال وكون الاعمال ثمناً وعوضاً لها كما تزعم المعتزلة ، والمثبت كونها سبباً لدخول الجنة بتوفيقه وهداه .

(وهو الغفور الرحيم) وقوله (فأله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين)

وقوله (وهو الغفور الرحيم) وقوله (فأله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) أى أن حفظه سبحانه وتعالى خير من حفظكم ، فمن توكل عليه سبحانه وتعالى وغوض أموره إليه كفاه وقاه وحفظه وحماه فلا سبيل لأحد عليه ولا قدرة لأحد أن يصل إليه بما يؤذيه .

ومن أسمائه سبحانه وتعالى الحفيظ وهو نوحان : أحدهما حفظه على عباده جميع ما عملوه من خير وشر وطاعة ومعصية ، والثانى أنه الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون وهذا نوحان : أحدهما عام والثانى خاص .

فالاول حفظه لجميع المخلوقات بتيسير ما يقيتها ونحو ذلك :

الثانى حفظ خاص وهو حفظه لأوليائه سوى ما تقدم عما يزلزل إيمانهم ويضعف يقينهم وحفظهم عما يضرهم فى دينهم ودنياهم ، انتهى من كلام ابن رجب .
أفادت هذه الآية كغيرها إثبات صفة الرحمة وأنها أكل رحمته ، وأنها حقيقة لا مجاز ، وهذا عكس ما عليه الجهمية وأضرابهم الذين نفوا رحمته سبحانه وزعموا أنها مجاز وأن رحمة المخلوق حقيقة ، ولا شك أن هذا من أعظم الإلحاد فى أسماء الله وصفاته ، فإن الله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه هذه الصفات ووصف نفسه بها كما وصف بعض خلقه بهذه الصفات ، ولكن ليست رحمته سبحانه وتعالى كرحمة المخلوق ولا سمعه ولا بصره فإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثل شئ ، فاتفق الاصحاح لا يقضى باتحاد المسمى . فانه سبحانه وتعالى وصف نفسه بهذه الصفات ووصف بها بعض خلقه فأثبت سبحانه الاسم ونفى المائلة فقال (ليس كمثل شئ . وهو السميع البصير) قال ابن القيم رحمه الله : وفى هذا أظهر دليل على أن أسماء الرب مشتقة من أوصاف ومعانى قامت به ، وأن كل اسم يناسب ما ذكر معه واقترب به من فعله وأمره . انتهى .

فهذه الآيات أفادت إثبات صفة الرحمة ، وأنها حقيقة لا مجاز ، كما أفادت أن

وقوله سبحانه وتعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه)

الرحمة المضافة إليه سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين : قسم يضاف إليه سبحانه وتعالى من إضافة الصفة إلى الموصوف كما قال سبحانه (ورحمى وسعت كل شيء) وكما في الحديث برحمتك أستغيث . والثاني يضاف إليه سبحانه وتعالى من باب إضافة المخلوق إلى خالقه ، وهي الرحمة المخلوقة كما في الحديث « إن الله خلق مائة رحمه » والحديث الآخر أنه قال الله سبحانه وتعالى للجنة « أنت رحمى أرحم بك من أشاء »

قوله (رضى الله عنهم ورضوا عنه) لما ذكر أعمالهم الصالحة ذكر أنه أثابهم عليها رضاء الذى هو أعظم وأجل من كل نعيم ، قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) أفادت هذه الآية إثبات صفة الرضاء لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله ، ولا يقال الرضاء لإرادة الإحسان والغضب لإرادة الانتقام كما تزعمه المبتدعة ، فإن هذا نقي للصفة وصرف للقرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب وهذا لا يجوز .

وفي هذه الآية دليل على إثبات أفعال الله الاختيارية وأدلة ذلك من الكتاب والسنة لا تحصر وفيها دليل على إثبات فعل العبد وأن له فعلاً اختيارياً .

وفيها دليل على أن الجزاء من جنس العمل وفيها فضل الرضاء عن الله ، والرضاء ضد السخط والكراهة ، وقال بعضهم هو سكون القلب تحت مجارى الأحكام ، قال فى فتح المجيد هو أن يسلم العبد أمره إلى الله ويحسن الظن به ويرضى عنه فى ثوابه . قال ابن القيم رحمه الله : الرضاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الرضاء بالله والرضاء عن الله والرضاء بقضاء الله ، فالرضاء بالله فرض والرضاء عنه وإن كان من أجل الأمور وأشرفها فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه ومشقته عليهم ، وأوجبهم بعضهم ، وأما الرضاء بكل مقضى فلا يجب بل المقضى ينقسم إلى ما يجب الرضاء به وهو المقضى الدينى ، قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية ، ومقضى كونه قدرى ، فإن كان قرأً أو مرضاً ونحو ذلك استحب الرضاء به ولم يجب وأوجبهم بعضهم ، وإن

وقوله سبحانه وتعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)

كان كفراً أو معصية حرم الرضا به ، فان الرضا به مخالفة لربه ، فانه سبحانه لا يرضى بذلك ولا يحبه ، قال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) الآية ، وأما القضاء الذي هو صفة الله وفعله فالرضا به واجب . انتهى بتصرف

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في تائيدته :

فترضى من الوجه الذي هو فعله ونسخط من وجه اكتساب بحيلتي وقال السفاريني في الدرة المضيه :

وليس واجبا على العبد الرضا بكل مقضى ولكن بالقضاء قوله (ومن يقتل مؤمناً) احترز بذلك عن قتل الكافر (متعمداً) العمد لغة التقصد وشرعاً أن يقصد من يعله آدمياً معصوماً فيقتله بما يغلب على الظن موته به واحترز بقوله متعمداً عن قتل الخطأ . قوله (فجزاؤه) أى عقابه . قوله (جهنم) علم على طبقة من طبقات النار .

قوله (خالداً فيها) أى مقبياً والخلود هو المكث الطويل ، قوله (ولعنه) أى طرده من رحمته ، فاللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله . قوله (وأعد له عذاباً عظيماً) أى هيأ له ذلك لمعظم ذنبه .

في هذه الآية الوعيد الشديد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم ، ويروى عن ابن عباس أنه قال : قاتل المؤمن متعمداً لا تقبل له توبة ، ويقول هذه الآية من آخر ما نزل ولم ينسخها شيء ، ومن ذهب إلى قوله زيد بن ثابت وأبو هريرة وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقتادة والضحاك ، قله ابن أبي حاتم ، والذي عليه الجمهور سلفاً وخلفاً أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله ، فان تاب وأناب وعمل صالحاً بدل الله سيئاته حسنات وعوض المقتول عن ظلامته ، قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) الآية

وهذا عام في جميع الذنوب ، وقال تعالى (إن الله لا ينفِر أن يشرك به ويفتر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية ، وهذه الآية عامة في جميع الذنوب عدا الشرك بالله إلى غير ذلك من الأدلة ، وما يروى عن ابن عباس وغيره فهو مبالغة وتشديد في الزجر عن القتل . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى « والتحقيق في المسألة أن القتل تنعلق به ثلاثة حقوق : حق الله وحق المقتول وحق الولي ، فإذا سلم القاتل نفسه طوعاً واختياراً ندماً على ما فعله وخوفاً من الله وتوبة نصوحاً سقط حق الله بالتوبة وحق الأولياء بالاستيفاء أو الصلح أو العفو وبقي حق المقتول يعوضه الله عنه يوم القيامة عن عبده النائب المحسن ويصلح بينه وبينه فلا يضيع حق هذا ولا يبطل حق هذا . انتهى ، وبقتدير دخول القاتل النار فليس بمخلد فيها أبداً بل الخلود هو المكث الطويل ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فدخول النار على قسمين : دخول مطلق ومطلق دخول ، فالأول هو دخول المشركين والكفرة فهؤلاء يدخلونها ولا يخرجون منها أبداً .

والثاني : هو دخول الموحيدين الذين عليهم ذنوب ومعاصي ، فهؤلاء يعضدون فيها بقدر سيئاتهم ثم يخرجون منها إن لم يحصل سبب للخروج منها قبل ذلك من شفاعة أو غيرها من الأسباب ، فالناس ينقسمون بحسب ما تقدم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : المشركون والكفار كافر يخرج عن الملة الإسلامية ، فهؤلاء يدخلون النار ويخلدون فيها دائماً ولا يخرجون منها أبداً . النوع الثاني من مات على التوحيد وليس عليه ذنوب فهذا يدخل الجنة من أول وهلة . الثالث من مات موحداً وعليه ذنوب ومعاصي فهذا تحمت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة ، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة ، وهو الذي تواترت به الأدلة من الكتاب والسنة ، عكس ما عليه المرجئة والخوارج والمعتزلة قال السفاريني في الدرة المضيئة :

وقوله سبحانه وتعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه)

ومن يمت ولم يتب من الخطأ فأمره مفوض لذي العطا
فإن يشأ يضر وإن شاء انتقم وإن شاء أعطى وأجزل النعم
وفي هذه الآية دليل على إثبات الغضب ، وأنه سبحانه يفض ويرضى كما يليق
بجلاله وعظمته .

قوله (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) أى ذلك الضرب
والقبض لأرواحهم بهذه الشدة بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر وعداوة
الرسول وبسبب كراهتهم رضوانه ، أى ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح .
فهذه الآية أفادت إثبات صفة السخط والرضا ، وأنه سبحانه وتعالى يسخط
ويرضى حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته ، فيجب إثبات ذلك على الوجه اللائق بجلاله
وعظمته ، هذا قول أهل السنة والجماعة وكل ما ورد في الكتاب والسنة يجب إثباته
على الوجه اللائق بجلاله وعظمته ، والباب كله واحد .

وفي هذه الآية إثبات العلل والأسباب وأن الأعمال الصالحة سبب للسعادة والأعمال
السيئة سبب للشقاوة ، وفيها الرد على من زعم أنه لا ارتباط بين العمل والجزاء انتهى
وفيها أيضاً ذم من أحب ما كرهه الله أو كره ما أحبه ، فالواجب على كل مؤمن
أن يحب ما أحبه الله محبة توجب الاتيان بما وجب عليه منه ، فإن زادت المحبة حتى
أتى بما نذب إليه منه كان ذلك فضل ، وأن يكره ما كرهه الله كراهة توجب له
الكف عما حرم الله عليه منه ، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه
تنزيهاً كان ذلك فضلاً ، وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال « لا يؤمن أحدكم
حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين » فلا يكون العبد
مؤمناً حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله
والمحبة الصحيحة تقتضى المتابعة والمواقفة في حب المحبوبات وبغض المكروهات قال
تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم وأموال اقربتموها وتجارة

وقوله تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقوله (ولكن كره الله انبئائهم فنبطهم) وقوله (كبير مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)

تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) الآية ، انتهى من كلام ابن رجب .

قوله (آسفونا) أى أغضبونا ، وأسف لها معنيان تأتى بمعنى غضب كهذه الآية وتأتى بمعنى حزن كقوله سبحانه عن يعقوب أنه قال (يا أسفى على يوسف) الآية .

وقوله (انتقمنا منهم) أى عاقبهم سبحانه بالفرق وغيره من العقوبات ، والانتقام هو أن يبلغ فى العقوبة حداً ، ومن أسمائه سبحانه المنتقم كما جاء فى حديث أبي هريرة

الذى رواه الترمذى فى جامعه فى عدد الأسماء الحسنى ومعناه المبالغ فى العقوبة لمن يشاء وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله : المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبی

ﷺ وإنما جاء فى القرآن مقيداً كقوله سبحانه (إنا من المجرمين منتقمون) وقوله والله عزيز ذو انتقام) والحديث الذى فى عدد الأسماء الحسنى الذى يذكر فيها المنتقم ليس

هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبی ﷺ بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه وهذا لم يورده أحد من أهل الكتب المشهورة إلا الترمذى . انتهى

قوله (كره الله انبئائهم) أى أبغض خروجهم معكم إلى الغزو .

قوله (فنبطهم) أى كسلهم ، والتنبيط رد الإنسان عن الشيء الذى يفعله ، أى أنه سبحانه وتعالى كسلهم عن الخروج للغزو قضاءً وقدرًا وإن كان قد أصرهم بالغزو وأقدرهم عليه ولكن ما أراد إغاثتهم بل خذلهم ونبطهم لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى لا يستل مما يفعل وهم يستلون .

قوله (كبير) أى عظم .

قوله (مقتاً) منصوب على التمييز ، والمقت أشد البغض .

وفى الآية الحث على الوفاء بالعهود والنهي الأكيد عن الخلف فى الوعد وغيره ، وبها استدل بعض العلماء على أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً ، سواء ترتب عليه عزم

قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة

للموعود أم لا ، واحتجوا بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » وفيها دليل على إثبات صفة البغض لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته ، وفيه دليل على أن بغضه سبحانه وتعالى يتفاوت فبعضه أشد من بعض كما في الحديث « إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله » .

وفيه دليل على أن الشخص قد يكون عدواً لله ثم يصير ولياً ويكون الله سبحانه وتعالى يبغضه ثم يحبه ، وهذا مذهب الفقهاء والعامة وهو قول المأذونة والكرامية والحنفية طائفة ، والمالكية والشافعية والحنابلة ، وعلى هذا يدل القرآن ، قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال (وإن تشكروا يرضه لكم) وقوله (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وغيرها من الآيات والأحاديث . انتهى ملخصاً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

فهذه الآيات المتقدمه دليل على صفة الغضب والرضا والولاية والحب والبغض والسخط والكراهة ونحو ذلك ، وهذا مذهب السلف الصالح وسائر الأئمة يثبتون جميع ما في الكتاب والسنة على المعنى اللائق به ، كما يقولون ذلك في السمع والبصر والعلم والكلام وسائر الصفات وقد تقدم ذلك .

قوله (هل) حرف استفهام . قوله (ينظرون) أى ينتظر الكفار ، يقال نظرت وانتظرته وانتظرته بمعنى واحد إلا إذا عدى بأى أو ذكر الوجه فعناه النظر أو عدى بى فعناه التفكير والاعتبار .

قوله (إلا أن يأتيهم الله) أى لفصل القضاء بينهم يوم القيامة فيجزى كل عامل بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . قوله (فى ظلل) جمع ظلة والظلة ما أظلك واستررك . قوله (من الغمام) أى السحاب الأبيض الرقيق ، ممى غمام لأنه يغم أى يستر . قوله (والملائكة) أى والملائكة يجيئون فى ظلل من الغمام ، ففيه إثبات

وقضى الأمر (إلى الله ترجع الأمور) وقوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وقوله (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك

مجيء الملائكة يوم القيامة لأنهم يحيطون بالإنس والجن ، ثم ينزل الله سبحانه لفصل القضاء بينهم .

قوله (وقضى الأمر) أى تم أمر هلاكهم . قوله (والى الله ترجع الأمور) أى تصير أمور العباد إلى الله فى الآخرة .

قال محمد بن جرير حيث ذكر إتيان الملائكة فهو محتمل لإتيانهم لقبض الأرواح وبمحتمل أن يكون نزولهم لعذاب الكفار وإهلاكهم ، وأما إتيان الرب فهو يوم القيامة لفصل الخطاب . وقال ابن القيم رحمه الله : نزوله سبحانه إلى الأرض يوم القيامة تواترت به الأحاديث والآثار ودل عليه القرآن صريحاً كما فى هذه الآيات ، انتهى . قوله (إلا أن تأتيهم الملائكة) أى لقبض أرواحهم . قوله (أو يأتي ربك) أى يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد . قوله (أو يأتي بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها ، وطلوعها من مغربها هو أحد أشراط الساعة الكبار ، وإذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة ، وإذا رآها الناس طلعت من مغربها آمنوا أجمعون ولكن لا يقبل لأحد توبة ما لم يكن آمن من قبل ذلك كما فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل .

قوله (كلا) هى حرف ردع وزجر ، قوله (دكت الأرض) أى زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم ، قوله (دكا دكا) أى دكا بعد دكا أى كرر الدك عليها حتى عادت هباء منبثاً .

قوله (وجاء ربك) أى لفصل القضاء بين عباده ، قوله (والملك) أى جنس

صفا صفا) وقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلا)

الملائكة . قوله (صفا صفا) أى يصفون صفا بعد صف قد أهدقوا بالجن والإنس كما روى أن الملائكة كلهم يكونون صفوا حول الأرض .

قوله (ويوم تشقق) المراد باليوم يوم القيامة ، وتشقق السماء أى انفتارها .
قوله (بالغمام) أى يخرج منها الغمام وهو السحاب الأبيض وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ثم يحىء الرب لفصل القضاء بين عباده فهذه الآيات أفادت إثبات الحجى ، والنزول والإتيان لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته ، وهذه من صفاته سبحانه الفعلية فيجب إثبات جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة كما أثبتنا الله سبحانه لنفسه وأثبتنا له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ودلت هذه الآيات أيضا على أن نزوله سبحانه وتعالى وإتيانه وبحيثه ونحو ذلك من أفعاله أنه حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته ، إذ الأصل الحقيقة ولا صارف عن ذلك خلافاً لأهل البدع ، ودلت على أنه نزول وإتيان وحجى بذاته سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته خلافاً لأهل البدع الذين ينفون ذلك ويؤولون بحيشه بمجىء أمره ونزوله بنزول رحمته أو بعض ملائكته ونحو ذلك ، ويقولون هذا مجاز حذف والتقدير فى « وجاء ربك » أى أمره وينزل ربنا أى أمره أو بعض ملائكته أو رحمته ونحو ذلك من التأويلات الفاسدة ولا شك فى بطلان هذه التأويلات ومصادمتها أدلة الكتاب والسنة الصريحة وما عليه أهل السنة والجماعة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى الصواعق المرسلة : وما ادعوا فيه المجاز قوله « وجاء ربك » هل ينظرون إلا أن يأتهم الله ، قالوا هذا من مجاز الحذف تقديره وجاء أمر ربك ، وهذا باطل من وجوه :

(أحدها) أنه إضمار 'ملا' بدل عليه اللفظ بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم وادعاء حذف بلا دليل يرفع الوثوق من الخطاب ، وساق وجوها عديدة فى إبطال دعواهم

وقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى

المجاز ، وساق الأدلة الكثيرة الصريحة الدالة على أنه مجيء حقيقة بذاته سبحانه . اهـ
والإتيان والمجيء المضاف إليه سبحانه نوعان : مطلق ومقيد ، فإذا كان مجيء
رحمته أو عذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما في الحديث « حق جاء الله بالرحمة والخير »
وقوله (واقد جثنام بكتاب فصلناه على علم)

النوع الثاني : الإتيان والمجيء المطلق فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله (هل
ينظرون إلا أن يأتيهم الله) وقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) انتهى من
الصواعق ملخصا .

وأفادت هذه الآيات إثبات أفعاله سبحانه الاختيارية ، فالإتيان والذلول والمجيء
والاستواء ، الارتفاع والصعود كلها أنواع أفعاله وهو فعال لما يريد ، وأفعاله كصفاته
قائمة به سبحانه ، ولولا ذلك لم يكن فعالا ولا موصوفاً بصفات كماله ، وأفعاله سبحانه
نوعان : لازمة ومتعمدية كما دلت النصوص التي هي أكثر من أن تحصر على إثبات
النوعين وأنها حقيقة ليست بمجاز وليست كأفعال المخلوق ، فصفاته سبحانه تليق به
أما المبتدعة فانهم نفوا أفعاله فزعموا أنها مجاز فوقعوا في محذورين : محذور التشبيه
ومحذور التعطيل ، انتهى من كلام شيخ الإسلام .

وفي هذه الآيات دليل على إثبات علو الله على خلقه لأنه لا يمكن أن يأتي إلا من
جهة العلو ، وذكره ابن القيم أحد الطرق في إثبات العلو .

قوله (كل من عليها فان) أى كل من على الأرض يعدم ويموت ويبقى وجهه
سبحانه ، قال الشعبي رحمه الله : إذا قرأت قوله (كل من عليها فان) فلا تسكت حتى
تقرأ بقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وهذا من فقههم في القرآن وكال
علمهم إذ المقصود الإخبار بفناء من عليها مع بقاء وجهه ، فإن الآية سيقت لبيان
تمدحه سبحانه بالبقاء وحده ، وبمجرد فناء الخلق ليس فيه مدح ، إنما المدح في بقاءه
سبحانه بعد فناء خلقه فهي نظير قوله سبحانه كل شيء هالك إلا وجهه ، انتهى من

وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله (كل شيء هالك إلا وجهه)

كلام ابن القيم . قوله « وجه ربك » فيه إثبات صفات الوجه لله وهو من الصفات الذاتية كالسمع والبصر واليد وغير ذلك من الصفات ، فعلى العباد الإيمان بها والتسليم واعتقاد انها حقيقة تليق بجلال الله وعظمته ، وعلى هذا مضى الصحابة والتابعون والأئمة .
قوله « ذو الجلال والاكرام » أى ذو العظمة والكبرياء

قوله « والاكرام » أى المكرم لأنبيائه وعباده الصالحين ، وقيل ذو الجلال أى هو المستحق لأن يحل ولا أن يكرم ، والإجلال يتضمن التعظيم ، والإكرام يتضمن الحمد والمحبة ، وقد قال بعض السلف لا يهدين أحدكم الله ما يستحي أحدكم أن يهديه لكرمه فان الله أكرم السكراء ، أى هو أحق من كل شيء بالإكرام إذ كان أكرم من كل شيء ، وقال أيضاً وإذا كان مستحقاً للإجلال والاكرام لزم أن يكون متصفاً فى نفسه بما يوجب ذلك ، كما إذا قال الإله هو المستحق لأن يؤله أى يعبد كان هو فى نفسه مستحقاً لما يوجب ذلك ، والإجلال من جنس التعظيم ، والإكرام من جنس الحب والحمد ، وهذا كقوله له الملك وله الحمد ، فله الإجلال وله الإكرام والحمد انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

قوله « كل شيء هالك إلا وجهه » أى أن جميع أهل الارض وأهل السماء سيموتون ويذهبون إلا من شاء الله ولا يبقى إلا وجهه سبحانه وتعالى ، والمستثنى من الهلاك والفناء ثمانية نظمها السيوطي بقوله :

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون فى حيز العدم
هى العرش والكرسى ناز وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم
وأما قوله « كل شيء هالك » وقوله « كل من عليها فان » فان المراد كل شيء كتب عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ، وكذا العرش فانه سقف الجنة والكرسى إلى آخرها فان عموم « كل » فى كل مقام بحسبه ، ويعرف ذلك بالقرائن كقوله « تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم »

ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء لأن المراد تدبر كل شيء يقبل التدبير بالريح عادة وكقوله عن بلقيس (وأوتيت من كل شيء) فالمراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك ، وهذا القيد يفهم من قرآن الكلام إذ المراد أنها ملكة تامة الملك .

ففي هذه الآيات كثيرها من أدلة الكتاب والسنة إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته ، وإثبات أنه وجه حقيقة لا يشبه وجوه خلقه ليس كمثل شيء ، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة خلافاً للبتدعة من الجهمية وأشباههم ممن نفى الوجه وعطله وزعم أنه مجاز عن الذات أو الثواب أو الجهة أو غير ذلك ، وهذه تأويلات باطلة من وجوه عديدة ، منها أنه فرق بين الذات والوجه وعطف أحدهما على الآخر يقتضى المفارقة كما في حديث إذا دخل أحدكم المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ، ومنها أنه أضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه ، ولو كان ذكر الوجه صلة ولم يكن صفة للذات لقال ذى الجلال ، فلما قال ذو الجلال تبين إنه نعت للوجه وأن الوجه صفة للذات كما ذكر معنى ذلك البيهقي والخطابي ، وروى مسلم في صحيحه حديث « إن الله لا ينام ولا يفنى له أن ينام ، حجاباه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » ومنها أن الوجه حيث ورد فانما ورد مضافاً إلى الذات في جميع موارد ، والمضاف إلى الرب نوعان : أعيان قائمة بنفسها كبيت الله وناقة الله وروح الله وعبد الله ، فهذه إضافة تشريف وتخصيص وهي إضافة مملوك إلى مالكه .

الثاني : صفات لا تقوم بنفسها كعلم الله وحياته وقدرته وسمعه وبصره ونوره ، فهذه إضافتها إليه سبحانه وتعالى إضافة صفة إلى موصوف بها ، إذا عرف ذلك فإضافة السمع والبصر والوجه ونحو ذلك إضافة صفة إلى موصوف لا إضافة مخلوق إلى خالقه وفي سنن أبي داود عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال : أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، فتأمل كيف قرن بين الاستعاذة بالذات وبين الاستعاذة بوجهه الكريم ، وهذا صريح في إبطال قول من

وقوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)

قال إنه الذات نفسها ، وقول من قال إنه مخلوق إذ الاستعاذة لا تجوز بمخلوق إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرها ابن القيم رحمه الله بالصواعق في إثبات الوجه صفة لله سبحانه وتعالى وأنه وجه حقيقى يليق بجلاله وعظمته ، وإبطال قول من زعم غير ذلك .

قوله (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى يقول سبحانه وتعالى مخاطباً لإبليس لما امتنع من السجود لآدم ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أى أنه سبحانه باشر خلقه بيده كما فى الحديث « لم يخلق الله بيده إلا ثلاثاً خلق آدم بيده » الحديث ، ففيه إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى وأنهما يدان حقيقة لا ثقتان بجلاله وعظمته ، وفيها الرد على من زعم غير ذلك ممن صادم أدلة الكتاب والسنة واتبع هواه وعطل هذه الصفة ، وزعم أن المراد باليد القدرة أو النعمة كما تقولوا الجهمية والمعتزلة وأشباههم ، وهذا التأويل الذى زعموه تأويل فاسد مصادم لأدلة الكتاب والسنة المتكاثرة الصريحة فى إثبات اليدين صفة لله سبحانه وتعالى ، فلو كان المراد باليد القدرة لوجب أن يكون له سبحانه قدرتان ، وقد أجمع المسلمون على أنه لا يجوز أن يكون له قدرتان ، وكذلك لا يجوز أن يقال خلق الله آدم بنعمتين ، لأن نعم الله على آدم وغيره لا تحصى .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ورد لفظ اليد فى الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين فى أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والعطى والقبض والبسط والنضح باليد والخلق باليدين والمباشرة بهما ، وكتب التوراة بيده ، وأُغرس جنة عدن بيده ، وقوله « بل يدها مبسوطتان » قطع بالضرورة أن المراد يد الذات لا يد القدرة والنعمة ، فإن السياق والتركيب لا يحتمله البتة ، انتهى

وقد رد ابن القيم رحمه الله على المبتدعة الذين عطلوا صفة اليد وزعموا أن المراد

قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقوله (واصبر لحكم ربك

باليَد القدرة أو النعمة أو غير ذلك من التأويلات الفاسدة من وجوه عديدة أنهاها إلى عشرين وجهاً ، وساق الأدلة الكثيرة الصريحة في إثبات اليد لله سبحانه وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته .

قوله (يد الله مغلولة) قال ابن عباس : المراد بخله فالغل كناية عن البخل قوله (غلت أيديهم) أي أمسكت عن الخير . وقوله (بل يداه مبسوطتان) أي بالفضل والعطاء ، فهذه الآية كسابقتها فيها إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته ، فعلينا أن تثبت له سبحانه وتعالى ذلك كما أثبتته لنفسه وكما أثبتته له رسوله ﷺ ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ، وفي حديث عبد الله بن عمرو أن الله لم يباشر بيده أو لم يخلق بيده إلا ثلاثاً : خلق آدم بيده وغرس جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : هل يصح في عقل أو نقل أو فطرة أن يقال لم يخلق بقدرة إلا ثلاثاً أو لم يخلق بنعمته إلا ثلاثاً ؟ وأيضا فلو كان المراد به ها هنا القدرة لبطل تخصيص آدم فانه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوقا بقدرته ، فأى مزية لآدم على إبليس في قوله « أن تسجد لما خلقت بيدي » اهـ

وقال البيهقي في كتاب الأسماء والصفات « باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة) فذكر الآيات ثم قال : قال بعض أهل النظر قد تكون اليد بمعنى القوة كقوله « ذو الأيد والأبصار » أي ذو القوة وبمعنى الملك والقدرة والنعمة وتكون صلة أي زائدة ، ثم أبطل البيهقي ذلك كله وأثبت أن اليدين صفتان تعلقتا بخلق آدم تشريفا له دون إبليس تعلق القدر بالمقدور لا من طريق المباشرة ولا من حيث الماسة وليس لذلك التخصيص وجه غير ما بينه بقوله « لما خافت بيدي » قوله (واصبر) الصبر لغة الحبس والمنع ، وهو حبس النفس عن الجزع وحبس

اللسان من التشكى والنسخط وحبس الجوارح عن لعن الحدود وشق الجيوب ، ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى ، أفادت الآية وجوب الصبر . قال ابن القيم رحمه الله تعالى هو واجب بالإجماع ، انتهى ، وينقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام :

صبر على طاعة الله ، وصبر عن معصية الله ، وصبر على أقدار الله المؤلمة .

زاد الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : وصبر على الأهواء المضلة ، والنوعان الأولان أفضل من الأخير ، وهو الصبر على أقدار الله المؤلمة ، صرح بذلك السلف منهم سعيد بن جبير وميمون بن مهران وغيرها ، والنوع الأول أفضل من الثاني . قال ابن رجب رحمه الله : وأفضل أنواع الصبر الصيام فانه يجمع أنواع الصبر الثلاثة قال ابن القيم رحمه الله في كتابه المدارج : وتنام الصبر أن يكون كما قال الله « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم » الآية ، وأقواه أن يكون بالله معتمداً عليه لا على نفسه ولا على غيره من الخلق ، انتهى .

وقد تكررت الأدلة في الحث على الصبر والفرغيب فيه والثناء على أهله ، قال الامام أحمد : ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من كتابه ، وفي الآية إثبات صفة الحكم لله سبحانه وتعالى ، وقد تقدمت الإشارة إلى تقسيمه إلى قسمين : حكم شرعي ديني وحكم قدرى كونى ، فالشرعى متعلق بأمره ، والكونى متعلق بخلقه ، وهو سبحانه له الخلق والامر ، وحكمه الدينى الطلبي نوعان بحسب المطلوب ، فان المطلوب إن كان محبوباً له فالمطلوب فعله إما وجوباً وإما استحباباً ، وإن كان مبغوضاً له فالمطلوب تركه إما تحريماً وإما كراهة ، وذلك أيضاً موقوفاً على الصبر ، فهذا حكمه الدينى الشرعى ، وأما حكمه الكونى وهو ما يقضيه وما يقدره على العبد من المصائب التى لا صنع له فيها ، ففرضه الصبر عليها ، وفي وجوب الرضا به قولان للعلماء أحدهما إنه مستحب فرجع الدين كله إلى هذه القواعد الثلاث : فعل المأمور وترك المحذور والصبر على المنذور ، انتهى من كلام ابن القيم .

فانك بأعيننا) وقوله (وحملناه على ذات ألواح ودُسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر) وقوله (وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني)

قوله (فانك بأعيننا) أى برأى منا وتحت حفظنا وكلاءنا والله يعصمك من الناس قال ابن القيم رحمه الله : وهذا يتضمن الحراسة والكلالة والحفظ للصابر لحكمه سبحانه وتعالى ، وفيها معية الله سبحانه وتعالى للصابر لحكمه سبحانه وحفظه ، وفيها إثبات فعل العبد حقيقة وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر .
قوله (وحملناه) أى نوح عليه الصلاة والسلام .

قوله « على ذات ألواح » أى على سفينة ذات ألواح ، والمراد خشب السفينة العريض . قوله « ودسر » أى المسامير التى تشد بها الألواح ، يقال دسرت السفينة إذا شدتها بالمسامير .

قوله « تجري بأعيننا » أى بأمرنا برأى منا وتحت حفظنا وكلاءنا والنون للتعظيم . قوله « جزاء لمن كان كفر » أى جزاء لهم على كفرهم وانتصاراً لنوح عليه السلام عليهم . قوله « وألقيت » أى وصنعت « عليك محبة مني » أى أن الله أحبه وحببه إلى خلقه . قوله « ولتصنع على عيني » أى برأى ومنظر مني ، والمعنى أن الله أحب موسى وحببه إلى خلقه ورباه برأى منه سبحانه .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : والفرق بين قوله ولتصنع على عيني وقوله تجري بأعيننا أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفياً وإبداء ما كان مكتوماً ، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يتغذون ويصنمون سرّاً ، فلما أراد أن يصنع موسى ويفضد ويربى على حال أمن وظهور دخلت على في اللفظ تنذيرها على المعنى لأنها تعطى الاستعلاء والاستعلاء ظهور وإبداء ، فكأنه يقول : وتصنع على أمن لا تحت خوف وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلالة ، وأما قوله « تجري بأعيننا » فإنه يريد برعاية منا وحفظ ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كنتم فلم يحتج في الكلام إلى معنى على بخلاف ما تقدم . اهـ

قوله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير)

وفي هذه الآية الكريمة إثبات محبة الله سبحانه لعبد موسى وتحميبيه خلقه وفيها عناية الله سبحانه وتعالى بعبد موسى وتربيته على صراى منه ، وهذه عناية خاصة ومعية لعبد موسى تقتضى حفظه وكلائته وعنايته ، وفي هذه الآيات إثبات صفة العيين لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته ، فيجب على المؤمن أن يشبث بخالقه وبارئه ما أثبتته لنفسه من العيين والسمع والبصر وغيرها ، وغير المؤمن من ينفى عن الله ما أثبتته فى محكم تزييه ، وكذلك أثبتته له رسوله ﷺ .

قوله (قد سمع الله قول التي تجادلك فى زوجها) أى تراجعك أيها النبي فى شأن زوجها ، وهى خولة بنت ثعلبة ، وزوجها أوس بن الصامت ، وذلك حين ظأهر منها زوجها وقال لها : أنت على كظهر أمى ، فأنت النبي ﷺ فقال : قد حرمت عليه ، فقالت إن لى صبية صفاراً إن ضممتهم إلى جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا ، فقال قد حرمت عليه ، فقالت أشكو إلى الله فاقضى وجهدى ، وكما قال حرمت عليه جعلت نهتف وتشتكو .

قوله (وتشتكى) أى تظهر ما بها من المكروه .

وقوله (والله يسمع تحاوركما) أى مراجعتكما الكلام ، من حار إذا رجع

قوله (إن الله سميع بصير) أى أحاط سمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات فلا يخفى عليه خافية ، وكثيراً ما يقرن سبحانه بين هذين الاسمين (السميع والبصير) فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة والباطنة ، فالسميع هو الذى أحاط سمعه بجميع المسموعات ، والبصير هو الذى أحاط بصره بجميع المبصرات .

وفي هذه الآية الكريمة إثبات السمع لله سبحانه وتعالى وأنه سميع ويسمع ، أحاط سمعه بجميع المسموعات ، وكل ما فى العالم العلوى والسفلى من الاصوات يسمعه سبحانه وتعالى سواء السر والملائية . قالت عائشة رضى الله عنها : الحمد لله الذى وسع سمعه

الاصوات ، لقد جاءت المجادلة تشتكي إلى رسول الله وأنا في جانب الحجره يخفى على بعض كلامها فأنزل الله قوله (قد سمع الله قول التي تجادلوك في زوجها) الآية ، وقال ابن القيم في النونية :

وهو السميع يرى ويسمع ما في السكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر فليسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الاصوات لا يخفى عليه بمسدها والداني
قال البيهقي في كتاب الاسماء والصفات : السمع الذي له سمع يدرك به السموعات
والبصير من له بصير يدرك به المرئيات ، ولكل منها في حق الباري صفة قائمة
بذاته ، وقد أفادت الاحاديث الرد على من زعم أنه مسميع بصير بمعنى عليم ، كما
أخرج أبو داود بسند قوى على شرط مسلم من حديث أبي هريرة قال : رأيت رسول
الله ﷺ يقرأ قوله سبحانه « إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها — إلى
قوله — إن الله كان مميماً بصيراً » ويضع أصبعيه ، قال أبو يونس وضع أبو هريرة
لما بهامه على أذنه والتي تليها على عينه ، قال البيهقي وأراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات
السمع والبصر لله ببيان محلهما من الانسان ، يريد أن له سمعاً وبصراً ، لا أن المراد
به العلم ، فانه لو كان المراد به العلم لأشار إلى القلب لانه محل العلم ، ولم يرد الجارحة ،
فان الله منزّه عن مشابهة المخلوقين ، ثم ذكر لحديث أبي هريرة شاهداً من حديث
عقبة بن عامر سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : ربنا مسميع بصير وأشار إلى
عينيه ، وسنده حسن .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الله لا ينظر إلى صوركم
وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم . انتهى

ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدها دون الآخر

وقوله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا)
وقوله (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم

فصح أن كونه سمياً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليماً ، وكونه سمياً بصيراً يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر ، كما تضمن كونه عليماً أنه يعلم بعلم ، ولا فرق بين كونه سمياً بصيراً وبين كونه ذا سمع وبصر ، وقال وهذا قول أهل السنة قاطبة ذكره في فتح الباري .

وفي هذه الآية وخبرها دليل على ثبوت الأفعال الاختيارية لله وقيامها به كقوله سبحانه وتعالى « كل يوم هو في شأن » وقوله « فسيرى الله عملكم ورسوله » الآية وفي هذه الآية الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن الشكوى إليه سبحانه لا تنافي الصبر كهنه الآية ، وكشكاية يعقوب إلى الله ، وأما الشكوى إلى مخلوق فاتها تنافي الصبر ، والشكوى نوعان : شكوى بلسان المقال وشكوى بلسان الحال ، وفعلها أعظم وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته لم يقدح ذلك في الصبر كإخبار الطبيب للمريض ، وقد كان النهي إذا دخل على مريض يسأله عن حاله ويقول : كيف تجدك ، انتهى من كلام ابن القيم بتصرف .

وقوله (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا) الآية سبب نزول هذه الآية أن اليهود حين سمعوا قوله « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) قالوا إن إله محمد يستقرض منا فنحن إذا أغنياء وهو فقير .

وقوله (سنكتب ما قالوا) أي سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف . أفادت هذه الآية كنهها من الآيات والاحاديث إثبات صفة السمع لله كما يليق بجلاله ، وفي قوله (لقد سمع الله) تحذير وتخويف ، فإنه ليس المراد به مجرد الإخبار بالسمع لكن المراد مع ذلك الإخبار بما يترتب على ذلك من الجزاء بالعدل وأفادت إثبات وجود الحفظة وانهم يكتبون ما يقال ، وسيأتي الكلام على الحفظة .

وقوله (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) السر هو حديث الإنسان بينه وبين

نفسه أو غيره في خفية ، والنحوى هو ما يتحدث به الانسان مع رفيقه ويخفيه عن غيره . قوله (بلى) أى نسمع سرهم ونجواهم ، فهو سبحانه السميع الذى أحاط بمعه بجميع المسوعات .

قوله (وورسلنا) أى الملائكة الحفظة للأعمال (لديهم) أى عندهم .
قوله (يكتبون) أى يكتبون ما يقولون وما يفعلون .

فهذه الآية فيها تحذير وتخويف ، فان طريقة القرآن يذكر العلم والقدرة تهديداً وتخويفاً لتترتب الجزاء عليها كهذه الآية ، وقوله (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) الآية ، وليس المراد به مجرد الإخبار بالقدرة والعلم لكن الإخبار مع ذلك بما يترتب عليهما مع الجزاء بالعدل ، انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، وفي هذه الآية دليل على إثبات صفة السمع وإحاطته إحاطة تامة بكل مسموع ، وفيها دليل على وجود الملائكة الحفظة ، وانهم يكتبون كل ما قال العبد أو فعل أو نوى أو هم به لأن النية فمل القلب فدخلت في عموم قوله (يعلمون ما تفعلون) ويشهد لذلك قوله ﷺ إذا هم عبدي بسيرة فلا تكتبوها عليه فان عملها فكتبوها عليه ، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فكتبوها له حسنة وإن عملها فكتبوها له عشرًا .

ويجب الإيمان بالحفظة ، والادلة على إثبات وجودهم من الكتاب والسنة كثيرة ، قال تعالى « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » وقوله « وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » .

قال علماؤنا منهم ابن حمدان في نهاية المبتدئين : الرقيب والعتيد ملكان موكلان بالعبد يجب أن تؤمن بهما ونصاق بأنهما يكتبان أفعاله ، واستدل بالآيتين المذكورتين ، قال ولا يفارقان العبد بحال ، وقيل بل عند الخلاء ، وقال الحسن : إن الملائكة يجتنبون الانسان على حالين : عند غائطه وعند جماعه ومفارقتهما للكفاف حينئذ لا يمنع من كتابتهما ما يصدر منه في تلك الحال كالاغتراف القلبي بمجمل الله

وقوله (إني معكما أسمع وأرى) وقوله (ألم يعلم بأن الله يرى)

لها أمارة على ذلك . قوله (إني معكما) أى يقول سبحانه لكليهما موسى عليه السلام وأخيه هارون إني معكما ، أى بحفظي ونصري وكلاهما وتأييدي .

قوله (أسمع وأرى) أى أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه ولا يخفى على شيء من أمركم ، فأنا معكما بحفظي ونصري ، وهذه المعية الخاصة التي تقتضى الحفظ والنصر والتأييد والاعانة كقوله « كلا إن معي ربي سيهدين » وقول النبي ﷺ « ما ظنك بآيتين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا »

والمعية تنقسم إلى قسمين : معية خاصة ومعية عامة ، فالعامة هي معية العلم والاحاطة كقوله سبحانه « وهو معكم أينما كنتم »

والثانية وهي المعية الخاصة وهي معية القرب كما تقدم كقوله « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » والفرق بينهما أنها إذا جاءت المعية في سياق المحاسبة والمجازاة والتخويف فهي عامة ، وإذا أتت في سياق مدح أو ثناء فهي معية خاصة ، وكلا المعيتين منه سبحانه مصاحبة للعبد لكن هذه مصاحبة اطلاع وإحاطة ، وهذه مصاحبة مودة ونصر وحفظ ، فمع في لغة العرب للصحة اللائقة لا تشعر بامتزاج ولا اختلاط ولا مجاورة ولا مجانبة كقوله سبحانه « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وتقول زوجتي مي ، وهذه المعية لا تنافي علو الله على عرشه ، فإن قربه ومعيقه ليست كقرب الأجسام بعضها من بعض ، ليس كمثل شيء كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه ، فلو قال في قوله « إني معكما أسمع وأرى » كيف يسمع وكيف يرى ؟ قلنا السمع والرؤية معلوم والكيف مجهول ، ولو قال كيف يتكلم قلنا الكلام معلوم والكيف مجهول . وقوله « ألم يعلم بأن الله يرى » أى أما علم هذا الناهي عن الهدى أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازه على فعله أتم الجزاء وهذا وعيد .

وقوله تعالى (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم)
 وقوله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب
 والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

قوله (يراك) أى يبصرك وينظر إليك لا تخفى عليه خافية ، فتوكل عليه فانه
 سيعطفك وينصرك ويمرك ، وتضمن ذلك الوعد بالإثابة على ذلك أتم الثواب .
 وقوله (حين تقوم) أى يراك حين تقوم للصلاة وغيرها (وتقلبك في الساجدين)
 أى يرى تقلبك في الساجدين من قيام وقعود وركوع وسجود ففيه فضيلة صلاة الجماعة
 أستفيد من هذه الآيات إثبات صفة السمع والبصر وإثبات علمه المحيط واستفيد منه
 كما تقدم الإشارة إلى فضيلة السمع على البصر لتقدمه عليه .
 وقوله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب
 والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

أى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين اعملوا ما شئتم واستمروا على باطلكم ولا تحسبوا
 أن ذلك سيخفى عليه وهذا وعيد شديد لمن خالف أوامره .
 قوله (فسيرى الله عملكم) الآية ، أى سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا ، وهذا
 وعيد للمخالف أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه وعلى الرسول وعلى المؤمنين وهذا
 كائن لا محالة يوم القيامة كما قال سبحانه (ويومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) وقال
 (يوم تبلى السرائر) وقد يظهر الله ذلك للناس في الدنيا كما روى الإمام أحمد عن
 أبى سعيد مرهوماً « لو أن أحداً يعمل في صخرة ليس لها باب ولا منفذ لأخرج الله
 عمله للناس كائناً ما كان » وقد ورد أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء
 والعشائر في البرزخ .

ففي هذه الآية إثبات الكلام ، وفيها دليل على ثبوت الأفعال الاختيارية للرب
 وقيامها به وأدلة ذلك كثيرة تزيد على الآلاف كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية
 وتلميذه ابن القيم رحمهم الله تعالى . وقال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية في كتاب

الرد على المنطقيين قوله (فسيرى الله علمكم ، وقوله (الا لنعلم من يتبع الرسول) أى لنرى أو لنميز ، وهكذا قال عامة المفسرين إلا لنرى ونميز ، وكذا قال جماعة من أهل العلم قالوا لنعلمه موجوداً واقفاً بعد أن كان قد علم أنه سيكون ، ولفظ بعضهم قال العلم على منزلتين : علم بالشئ قبل وجوده وعلم به بعد وجوده والحكم للعلم به بعد وجوده لأنه يوجب الثواب والعقاب ، قال فعنى قوله إلا لنعلم أى لنعلم العلم الذى يستحق به العامل الثواب والعقاب ، ولا ريب أنه كان عالماً سبحانه بأنه سيكون لكن لم يكن المعلوم قد وجد ، والقرآن قد أخبر أنه سبحانه يعلم ما سيكون فى غير موضع وأخبر بما أخبر به من ذلك قبل أن يكون ، وقد أخبر بعلمه المتقدم على وجوده ثم لما خلقه علمه كائناً مع علمه الذى تقدم أنه سيكون ، فهذا هو السكال ، وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد أن يكون فى بضع عشرة آية من القرآن كقوله سبحانه (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول) مع اخباره فى مواضع كثيرة من أنه يعلم ما سيكون قبل أن يكون .

وفى هذه الآيات دليل واضح على أن الله موصوف بصفات السكال من العلم واقدرة والارادة والحياة والكلام والسمع والبصر والوجه واليدين والغضب والرضا والفرح والضعك والرحمة والحكمة ، وبالأفعال كالجهيـء والاتيـان والتزول إلى سماء الدنيا ونحو ذلك ، والعلم بجميع ذلك عن الرسول ﷺ ضرورى وإخباره به ضرورى فوق العلم بوجوب الصلاة والزكاة وتحريم الفواحش ، وفرض على الامة تصديقه فرضاً لا يتم أصل الإيمان إلا به خلافاً للجهمية والمعتزلة وأشباههم .

وفى هذه الايات أيضاً إشارة إلى أنه ينبغي للعبد أن يعبد الله سبحانه وتعالى على استحضار قربيه واطلاعه وأنه بين يديه ، وذلك يوجب للعبد الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ويوجب النصيح فى العبادة ، وهذا هو مقام الاحسان كما فى حديث عمر : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، وقد دل القرآن على هذا المعنى فى مواضع كثيرة ، وكذلك وردت أحاديث صحيحة بالنسب

وقوله تعالى (وهو شديد الحال) وقوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)
وقوله (ومكروا مكرآ ومكرنا مكرآ وهم لا يشعرون)

إلى استحضر هذا القرب في حال العبادات كقوله ﷺ « إذا قام أحدكم يصلي فانه يناجي ربه » انتهى من كلام ابن رجب بتصريف .

قوله (وهو شديد الحال) أى شديدة مباحلته في عقوبة من طغى عليه وهى وتمادى في كفره ، وهن على رضى الله عنه : شديد الحال أى شديد الأخذ ، وروى شديد القوة ، قال النسفى في تفسيره : والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون . انتهى .

وقوله « ومكروا » أى كفار بنى إسرائيل حين أرادوا قتل عيسى وصلبه ، والمكر فعل شئ براد به ضده .

قوله « ومكر الله » أى جازاهم على مكرم بأن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل كما روى ذلك .

قوله « والله خير الماكرين » أى أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعرون ، انتهى نسفى .

قوله « ومكروا » أى دبوا أمرهم على قتل صالح عليه السلام وأهله على وجه الخفية حتى من قومهم خوفاً من أوليائه . قوله « ومكرنا مكرآ » أى بنصر نبيينا صالح عليه السلام وإهلاك قومه المكذبين ، وقال تعالى « أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون »

هذه الآيات فيها التحذير من الأمن من مكر الله ، قال الحسن رحمه الله تعالى : من وسع الله عليه فلا يرى انه يمكر به فلا رأى له « وفي الحديث « إذا رأيت الله يعطى العبد على معاصية ما يحب فاعلم أنما هو استدراج » رواه أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم ، وهذا هو تفسير المكر فى قول بعض السلف يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه ويعمل لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وهذا معنى المكر والخديعة ونحو ذلك ، ذكره

وقوله تعالى (إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً)

ابن جرير بمعناه ، انتهى من فتح المجيد . قوله « إنهم يكيدون كيداً » أى أن كفار قريش يكيدون كيداً ، وكيدهم هو ما دبروه فى شأن رسول الله ﷺ من الاضرار به وإبطال أمره .

قوله « وأكيد كيداً » أى أجازيهم على كيدهم ، والكيد استدراجهم كما فى الآية « من استدراجهم من حيث لا يعلمون » قال ابن القيم رحمه الله تعالى : إن الله سبحانه وتعالى يكيدهم كما يكيدون دينه ورسوله وعباده ، وكيد سبحانه استدراجهم من حيث لا يعلمون والإملاء لهم حتى يأخذهم على غرة ، فإذا فعل ذلك أعداء الله بأوليائه ودينه كان كيد الله لهم حسناً لا قبيح فيه فيعلمون ويعاقبون ويستدرجهم من حيث لا يعلمون انتهى بتصريف .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى « المسكر ينقسم إلى قسمين : محمود ومذموم ، فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده فمن المحمود مكره سبحانه بأهل المسكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم من جنس عملهم قال تعالى « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » وكذلك الكيد ينقسم إلى نوعين ، قال تعالى « وأملئ لهم إن كيا متين » وقوله « وكذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » وكذلك الخداع ينقسم إلى محمود ومذموم ، فإن كان بحق فهو محمود ، وإن كان بباطل فهو مذموم . انتهى

وهذه التفسيرات المتقدمة للمكر والكيد والخداع ونحو ذلك ليست من باب التأويل الذى ينسكه أهل السنة والجماعة ، بل من باب التفسير فإن جميع الصحابة والتابعين يصفون الله سبحانه وتعالى بأنه شديد القوة وكذلك شديد المسكر وشديد الأخسار كما وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بذلك فى غير آية من كتابه كقوله « إن أخذه أليم شديد » وقوله « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وقوله « إن ربك لشديد العقاب » فيمرون هذه الآيات على ظواهرها ويعرفون معناها ولكن

وقوله تعالى (إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفو عن سوء فإن الله كان عفوا

لا يكيّفونها ولا يشبهونها بصفات المخلوقين ، وهذا مجمع عليه بين أهل السنة ، انتهى
ملخصا من رد الشيخ عبد الله بن محمد على الزبيدي .

وقال ابن القيم رحمه الله في الصواعق : والله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيّد
والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً ، لا ذلك داخل في أسمائه الحسنی ، فان هذه
الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً ، بل تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق
أفعالها على الله سبحانه وتعالى مطلقاً ، فلا يقال إن الله يكر ويخادع ويستهزئ ،
فكذلك بطريق الأولى أن لا يشتق له منها أسماء يسمي بها ، بل إذا كان لم يأت في
أسمائه الحسنی المريد ولا المتكلم ولا الفاعل ولا الصانع ، لأن مسمياتها تنقسم إلى
ممدوح ومذموم ، فكيف يكون منها الماكر والخادع والمستهزئ ، وهذا لا يقوله مسلم
ولا عاقل ، والمقصود أن الله لم يصف نفسه بالكيّد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء
لمن فعل ذلك بغير حق ، وقد علم أن المجازاة حسنة من المخلوق فكيف من الخالق
سبحانه وتعالى .

قوله (إن تبدوا خيرا) أي تظهروه . قوله (أو تخفوه) أي فتمسكوا سرا ، وهذا
عام شامل لكل خير قولي أو فلي ظاهر أو باطن . قوله (أو تعفو عن سوء) أي
تتجاوزوا عن أساء إليكم في أنفسكم أو أموالكم أو غير ذلك . فالتعفو هو التجاوز
عن الذنب والصفح عنه ، فمما تأتي في اللغة لمعاني :

الأول : عفا عن الذنب أي صفح عنه ، وعفى أسقط حقه كما قال تعالى (إلا أن
يعفون) أي يسقطوا حقوقهم ، وعفى القوم أي كثروا ، ومنه حق عفا أي كثروا
وعفى المنزل أي انطمس ، ومنه قول حسان .

• عفت ذات الأصابع فالجواء • أي زالت وزال أهلها وانطمست .

قوله (عفواً) معناه ذو العفو ، وهو ترك المؤاخذه على ارتكاب الذنب وهو أبلغ
من المنفرة فإنها مشتمة من العفو وهو الستر ، والعفو إزالة الأثر ، ومنه عفت الديار ،

قديرا) وقوله تعالى (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)

قال ابن القيم في النونية :

وهو العفو ففوه وسع الوری لولاه غار الارض بالسكان
قوله (قدیراً) أى قادراً على كل شئ . قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله :
فن جبل شيئاً من الاعمال خارجاً عن قدرته ومشيئته فقد أُلحِدَ في اسمائه وآياته
بمخلاف ما عليه القديره . انتهى

قوله (وليعفوا وليصفحوا) العفو السحر والتجاوز ، والصفح الإعراض ، مشتق
من صفحة العنق ، وهو أن يعرض عن عقاب المذنب وعتابه وكأنه ولاه صفحة عنقه
وهو أبلغ من العفو لأن الصفح لا لوم فيه ولا تهريب .

هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح
ابن خاتمه لمخوضه في أمر عائشة ، وكان مسكيناً يدرى مهاجراً ، فلما تلاها النبي ﷺ
على أبي بكر قال : بلى أحب أن يغفر الله لي ، وردّ على مسطح نفقته .

وقوله (والله غفور رحيم) غفور أى كثير المغفرة ، وقد تقدم الكلام على ذلك
في هذه الآيات وصفه سبحانه وتعالى بالعفو والغفور ، وفيها الحث على الصفح
والعفو ومكارم الاخلاق ومعالي الامور ، وفيها أن ما ذكر سبب للمغفرة ، وفيها دليل
على أن الجزاء من جنس العمل ، والادلة على ذلك في الكتاب والسنة كثيرة ، وفيها
حلم الله سبحانه وكرمه ولطفه بعباده مع ظلمهم لأنفسهم ، وفيها إثبات فعل العبد
وأنه فاعل حقيقة ، والرد على المجبرة الذين يزعمون أن العبد لا فعل له وإنما ينسب
إليه الفعل على جهة المجاز ، ولو كان الامر كما يزعمون لم يؤمر بما ذكر ولم ينسب إليه
الفعل ولم يعاقب على سوء ، وقولهم باطل نرده أدلة الكتاب والسنة بل الفطرة والعقل
وطرده يختل به النظام ولا يمكن أن تعيش عليه أمة أبداً .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ثم ختم الآية بصفيتين من صفاته سبحانه مناسبتين
لما تضمنته فقال (والله غفور رحيم) ففيه إشارة إلى أن كل اسم يناسب ما ذكر معه

واقترن به من فعله وأمره سبحانه ، وفيها أن أسماء الرب مشتقة من أوصاف ومعاني قامت به سبحانه ، فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى ، إذ لو كانت ألفاظاً لا معانى لها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على المدح ولا السكال ، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام أسماء الرحمة والاحسان ، فيقال اللهم إني ظلمت نفسي فاغفرلى إنك أنت المنتقم ونحو ذلك ، ونفى معانى أسمائه سبحانه وتعالى من أعظم الإلحاد فيها . انتهى

قوله (والله العزة) يعنى الغلبة والقدرة ، فمن يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وطاعة رسوله ، فالعزة والعلو إنما هما لأهل الايمان ، قال تعالى (وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين) فللعبد من العلو بحسب ما معه من الايمان ، قال تعالى (والله العزة لرسوله وللمؤمنين) فله من العزة بحسب ما معه من الايمان وحقائقه ، فاذا فاته حظه من العلو والعزة ففى مقابلة ما فاته من حقائق الايمان علماً وهماً ، ظاهراً وباطناً ، فالمؤمن عزيز حال مؤيد منصور مكفى مدفوع عنه بالذات أين كان ، ولو اجتمع عليه من بأقطارها إذا قام بحقيقة الايمان وواجباته ، فمن قصص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد بحسب ما نقص من إيمانه ، انتهى من كلام شيخ الاسلام بتصرف .

وفى هذه الآية إثبات العزة لله سبحانه وتعالى الكاملة من جميع الوجوه قال تعالى (وهو العزيز الحكيم) والعزة فى الاصل القوة والغلبة والشدة ، تقول عزيز بكسر الميم إذا صار عزيزاً ، وعزيز بالفتح إذا اشتد وقوى ، ومنه أرض عزاز أى صلبة وعزيز بالضم إذا غلب وقهر ، فلا يسمه العزيز سبحانه ثلاثة معانى :

الاول بمعنى الممتنع الجنب عن أن يصل إليه ضرر أو يلحقه قص أو عيب ، كقوله « وما ذلك على الله بعزيز »

الثانى : بمعنى القوة كقولهم « من عزيز »

الثالث : بمعنى غلبة الغير وقهره ، ومنه « وعزنى بالخطاب » أى غلبنى

قوله تعالى (فبِعزتك لأغوينهم أجمعين) وقوله (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام)

وكل هذه المعاني ثابتة لله سبحانه وتعالى بمقتضى اسمه العزيز كما قال (وهو العزيز الحكيم) قال تفيد الاستغراق والشمول لجميع معاني العز ، قال ابن القيم فى النونية : وهو العزيز فلن يرام جنابه أنسى يرام جناب ذى السلطان وهو العزيز القاهر الملاب لم يغلبه شيء ، هذه صفتان وهو العزيز بقوة هى وصفه فالعز حينئذ ثلاث معان وهى التى كملت له سبحانه من كل وجه عادم النقصان قال ابن القيم رحمه الله فى كتابه المدارج « فاسمه العزيز يتضمن كمال قدرته وقوته وقهره ، وهذه العزة مستلزمة للوحدانية ، إذ الشراكة تنقص كمال العزة ، انتهى

• • •

قوله (فبِعزتك لأغوينهم أجمعين) فيه دليل على الحلف بعزة الله سبحانه ، وكذا غيرها من صفاته ، وفيه دليل على أن صفات الله غير مخلوقة ، إذ الحلف بالمخلوق شرك ، وفيه إثبات العزة لله سبحانه ردّاً على من قال عزيز بلا عزة ، كما قالوا إنه عليم بلا علم ، والعزة المضافة إليه سبحانه تنقسم إلى قسمين : قسم يضاف إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه ، وهى العزة المخلوقة التى يعز بها أنبياءه وعباده الصالحين ، والثانى يضاف إليه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كما فى هذه الآية وكما فى الحديث : أهوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر .

• • •

قوله (تبارك) أى تعظم ، وهو فعل ماض لا يتصرف ، وهو خاص بالله سبحانه وتعالى ، والبركة لفة الثناء والزيادة والتبريك الدعاء بذلك ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى البركة نوعان .

أحدهما بركة هى فعله والفعل منها بارك والمفعول منها مبارك ، وهو ما جعل فيها ذلك فكان مباركاً بجملة سبحانه . والثانى بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة والفعل

منها تبارك ، ولهذا لا يقال انيره ذلك ولا يصلح إلا له سبحانه ، فهو المتبارك ورسوله مبارك كما قال المسيح : وجعلني مباركاً أينما كنت ، وأما صفته سبحانه وتعالى تبارك فمختصة به سبحانه كما أطلقها على نفسه ، انتهى ، ملخصاً من البدائع قوله (فاعبدوه) أى أفردته بالعبادة ولا تعبد معه غيره ، وهذا أمر بإفراده سبحانه بالعبادة ، ويتضمن النهي عن عبادة ما سواه ، وعبادته سبحانه وتعالى هي أعظم واجب ، والإشراك به هو أعظم محرم على الإطلاق ، والعبادة لغة الذل ، يقال طريق معبد إذا كان مذلاً قد وطئته الأقدام كما قال الشاعر :

تبارى عتاقا فاجيات واتبعت وضيفا وضيفا فوق مور معبد
والعبادة شرعا ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى ، وعرفها الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة والصوم والحج ونحو ذلك ، وفيها دليل على أن العبادة تجب على كل مكلف ، وأنه مهما بلغ فلن يصل إلى حد تسقط عنه التكاليف الشرعية ، ومن زعم ذلك فهو كافر بالله العظيم ، فان قوله فاعبدوه خطاب لذبيه ، وأمرته تبع له ، فاذا كان هذا في حق وَسَيِّدِي فقبره من باب أولى وأحرى ، والعبادة شروط لا تصح إلا بها :

الأول : الإخلاص ، وهو أن يكون العمل لله سبحانه وتعالى . الثانى : المتابعة ، وهو أن يكون العمل على سنة رسول الله ﷺ كما قال تعالى (بلى من أنتم وجهه لله وهو محسن) فقوله من إشارة إلى الإخلاص ، وقوله وهو محسن إشارة إلى المتابعة ، وقال الفضيل بن عياض فى قوله سبحانه وتعالى (ليلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه ، قيل يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟ قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصا صواباً ، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على سنة رسول الله ﷺ ،

هل تعلم له سمياً) وقوله (ولم يكن له كفواً أحد) وقوله (فلا تُجملوا لله أنداداً)

وللمباداة ثلاثة أركان وهي : المحبة والخوف والرجاء

قوله (هل تعلم له سمياً) أى هل تعلم له مسامياً ومشابها ومماثلاً من المخلوقين ؟ وهذا استغناء بمعنى النفي المعلوم بالمقل ، أى لا تعلم له مشابهاً لأنه الرب وغيره المربوب ، الغنى من جميع الوجوه ، وغيره الفخير ، الكامل الذى له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وغيره ناقص من جميع الوجوه ، فهذا برهان قاطع على أنه هو المستحق للعبادة وأن عبادة غيره باطلة ، وفى الآية دليل على أنه لا مثل له ولا شبيه ولا نظير لا فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى أسمائه ولا فى أفعاله ، وهذا النفي متضمن لإثبات جميع صفات الكمال على وجه الاجمال ، وهذا هو المعقول فى فطر الناس ، فإذا قالوا فلان لا مثل له ولا شبه له ، فانهم يريدون أنه تفرد فى الصفات والافعال والمجد فلا يلحقه فيه غيره . وفى الآية دليل على إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلال الله وعظمته . وفيه دليل على كثرة الصفات وعظمتها ، فلو كان المراد به نفي صفاته لكان ذلك وصفاً بقاية الدم ، فان النفي المحض عدم والعدم لا يمدح به أحد ، وإنما يكون النفي كمالاً إذا تضمن الإثبات كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) أى لكمال حياته وقبوميته

وفيه دليل على نفي المثلية ، فاتفق اسم الخالق واسم المخلوق لا يقضى بتماثلهما ، فصفات الخالق تناسبه وتليق بذاته ، وصفات المخلوق تناسبه .

قوله (ولم يكن له كفواً أحد) قد تقدم الكلام على ذلك .

قوله (فلا تُجملوا لله أنداداً) أى أمثالا ونظراء تعبدونهم كعبادته وتساونهم به فى المحبة والتمظيم ، فلا ند له فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ولا فى عبادته ، والند فى اللغة المثل والنظير والشبيه ، يقال فلان ند فلان ، أى شبيهه ونظيره كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه .

أتهجوه ولست له بند فشركا ظهير كما الفداء

وانخاذ القد ينقسم إلى قسمين : قسم من الشرك الأكبر كأنخاذ تد يدعو أو يرجوه أو يخافه أو يذبح له أو ينذر له ونحو ذلك ، كما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، الحديث . قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الكافية الشافية :

والشرك فاحذره فشرک ظاهر ذا القسم ليس بقابل للفساد وهو اتخاذ الند للرحمن أياً كان من حجر ومن إنسان يدعو أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الرحمن القسم الثاني : ما هو من نوع الشرك الأصغر كقول الرجل : ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت لم يكن كذا ، والحلف بنير الله ونحو ذلك كما في حديث ابن عباس أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال النبي ﷺ : « أجعلني لله نداً ؟ قل ما شاء الله وحده » أخرجه النسائي وابن ماجه .

قوله (وأنتم تعلمون) أي انه ربكم وخالقكم وخالق كل شيء ، فهو المستحق للعبادة ، فكيف تجعلون له أنداداً وقد علمتم أنه لا تد له يشاركه في فعله .

ففي هذه الآية ارد على جميع فرق الضلال ، ففيه الرد على المشبهة الذين يشبهون الله بخلافه ، والذين يشبهون خلقه به كمبتدة الاوثان ، وفيها الرد على القدرية الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه استقلالاً بدون مشيئة الله فيكون شريكاً لله سبحانه وتعالى ونداً ، وفيها الرد على المعطلة الذين نفوا صفات الله فراراً من التشبيه فشبهوه بالمعدومات والناقصات ، وفيها دليل على أن معرفة الله والإقرار به فطري ضروري فطر الله عليه العباد كما في الحديث : ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر فحصل به المعرفة كما قال تعالى « أفى الله شك » أي أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على

وقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا

وجوده ، وأنى دليل أصح وأظهر من هذا المدلول . قال ابن القيم رحمه الله : وسجنت شيخ الإسلام يقول : كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء ، وكان كثيرا يتمثل بهذا البيت :

وليس يصح في الأفهان شيء . إذا احتاج النهار إلى دليل
وقد تكلم الشيخ ابن تيمية رحمه الله على قول من قال إن أول واجب هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك ، وبين أنها كلها غلط مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة وباطلة بالعقل أيضاً ، وقرر هو وغيره أن أول واجب على العبد هو التوحيد كما في حديث معاذ رضى الله عنه حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن وقال : فليكن أول ما تدعوم إليه شهادة ألا إله إلا الله . وفي رواية إلى أن يوحدوا الله ، وكذلك جميع الرسل أول ما يفتتحون دعوتهم بالدعوة إلى التوحيد .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : أول من أنكر معرفة الله الفطرية هم أهل الكلام الذين انفق السلف على ذمه من الجهمية والقدرية ، وهم عند سلف الأمة من أجل الطوائف وأضلهم ، انتهى . وفيها الرد على من زعم أن القرآن مخلوق بقوله (إنا جعلناه قرآناً عربياً) ويزعم أن جعل بمعنى خلق ، فرد أحد عليهم بقوله سبحانه (فلا تجعلوا لله أندادا) فليست جعل بمعنى خلق هنا . وفيها أنه سبحانه يحتاج على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على إثبات توحيد الألوهية . وفيها الاستدلال بهذه المخلوقات على وجوده سبحانه ، فهي دليل وآية على توحيد الله سبحانه وإثبات أسمائه وصفاته وكاله وصدق رسله عليهم الصلاة والسلام ، ويروى أنه سئل بعض الأعراب ما الدليل على وجود الرب ؟ فقال للسائل يا سبحان الله إن البحر ليدل على البعير وإن أثر الأقدام ليدل على المسير ، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحر ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير .

قوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) أى نظراء وأمثالا يساويهم في

الله بالعبادة والمحبة والتمظيم ، وهؤلاء لا يساؤونهم بالله في الرزق والتدبير ، وإنما يسوونهم بالله في المحبة فيعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى ، فأخبر سبحانه أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا ، ففيها دليل على أنه سبحانه لا ند له وإنما المشركون جعلوا بعض الخلقات أندادا له تسمية بجمرة ولفظا فارغا من المعنى كما قال تعالى (وجعلوا لله شركاء) الآية ، والمذكور في الآية هو المحبة الشركية المستلزمة للخوف والتمظيم والإجلال والإيثار على مراد النفس ، فحبة الله سبحانه هي أصل دين الاسلام وبكاملها يكمل ، فهي أعظم الفروض ، فصرفها لغير الله شرك أكبر كما قال سبحانه (وما هم بخارجين من النار)

قال ابن القيم رحمه الله : فتوحيد المحبوب أن لا يتمدد محبوبة ، أى مع الله بمبادته له وتوحيد الحب أن لا يبقى في القلب بقية حب حتى يبذلها له .

قوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) أى من أصحاب الأنداد لأندادهم ، فحبة المؤمنين لرَبِّهم لا تساويها محبة ، والمعنى والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة أهل الأنداد لله ، لأن محبة المؤمنين لله خالصة ومحبة المشركين لله مشتركة قد أخذت أندادهم قسما من محبتهم ، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة ، ففي هذه الآيات أن من أشرك مع الله غيره في المحبة فقد جعله شريكا لله واتخذ ندا لله ، وأن ذلك هو الشرك الأكبر ، فالحبة تنقسم إلى أقسام كما ذكره ابن القيم رحمه الله وغيره :

الأول : محبة الله سبحانه ، ولا تسكن في وحدها بالنجاة من النار والفوز بالجنة ،

فإن المشركين يحبون الله سبحانه . الثاني : محبة ما يحبه الله ، وهذه المحبة هي التي تدخل في الاسلام وتخرج من الكفر ، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة .

الثالث : المحبة في الله والله ، وهي فرض كحبة أوليا الله وبغض أعداء الله ، وهي من مكالات محبة الله ومن لوازمها ، فالحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبته ومكروهه وولايته وعداوته ، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن

وقوله تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا

يبغض أعداء الله ويحب أوليائه . الرابع : المحبة مع الله ، المحبة الشريكية وهي المستلزمة للخوف والتعظيم والإجلال فهذه لا تصلح إلا لله سبحانه ، ومعنى أحب العبد بها غير الله فقد أشرك الشريك الأكبر . الخامس : المحبة الطبيعية وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه ، كحبة المال والولد ونحو ذلك ، فهذه المحبة لا تدم إلا إن أشفلت وأهت عن طاعة الله كما قال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)

قوله (وقل الحمد لله) ال للاستغراق والشمول ، أى الحمد كله لله ، فهو المستحق للحمد لما اتصف به من صفات الكمال ، والحمد هو الثناء عليه سبحانه بما هو أهله والثناء هو ذكر الصفات الجميلة مرة بعد أخرى ، وأما الثناء بتقديم النون فيكون في الخير والشر ، وأما المجد فهو ذكر صفات الجلال والعظمة ، وأما الشكر فهو فعل ينفي عن تعظيم المنعم بسبب كونه منهما ، وشرعاً هو صرف العبد جميع ما أنعم الله لما خلق لأجله .

والفرق بين الحمد والشكر أن الشكر يكون باللسان والجنان والاركان ، أما الحمد فلا يكون إلا باللسان والجنان ، وأيضاً فإن الشكر لا يكون إلا في مقابلة نعمة ، وأما الحمد فهو يكون في مقابلة نعمة وفي غير مقابلة نعمة . قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : والحمد نوعان : حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر ، وحمد لما يستحقه من نعوت كماله ، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال وهي أمور وجودية فإن الأمور العدمية لا حمد فيها ولا خير ولا كمال ، ومعلوم أن كل ما يحمد فأنما يحمد على ما له من صفات الكمال ، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق ، فثبت أنه المستحق للحمد كلها وهو أحق بالحمد من كل محمود وبالكمال من كامل . اهـ

قوله (الذي لم يتخذ ولدا) هذا رد على اليهود والنصارى والمشركين ، فإن النصارى يقولون المسيح ابن الله واليهود يقولون العزيز ابن الله والمشركين يقولون الملائكة

ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا) وقوله تعالى
(يسبح لله)

بنات الله . قوله (ولم يكن له شريك في الملك) هذا رد على الجوس والمشركن والقدرية
قوله (ولم يكن له ولي من الدن) أى ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي أو
وزير أو مشير ، لأنه سبحانه عزيز لا يفقر إلى ولي يحميه ويمنحه من الدن ، فنفى
الولاية على هذا المعنى لأنه نفى عنها ولم ينفى الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن
شاء من عباده ، فلم ينفى الولي نفياً عاماً مطلقاً ، بل نفى أن يكون له ولي من الدن ،
وأثبت في موضع آخر أن يكون له أولياء بقوله (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يمحزون) فهذه موالاة رحمة وإحسان ، والمرالاة المنفية موالاة حاجبة وفل كما
أشار إلى هذا المعنى ابن القيم رحمه الله .

وقوله (وكبره تكبيرا) أى عظمه عما يقوله الظالمون المخالفون للرسول .
نفى هذه الآية أمر نبيه بحمده لأنه المستحق أن يحمد لما أنصف به من صفات
الكمال وفيها تنزيهه سبحانه عن الولد ، وذلك لكمال صديقه سبحانه وغناه وتعبد
كل شيء له ، فافخاذ الولد يناق ذلك كما قال سبحانه (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو
الغنى ، له ما في السموات وما في الأرض) الآية .

وفيها تنزيهه سبحانه أن يكون له شريك في الملك المتضمن تفرده بالربوبية والالوهية
وتوحيده بصفات الكمال التي لا يوصف بها غيره . وهذه الآية آية عظيمة ، ونسب
آية المز . قال ابن كثير قال قتادة : ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يعلم أهل هذه الآية
الصغير والكبير .

قلت : وقد جاء في حديث أن الرسول ﷺ معي هذه الآية آية المز ، وفي بعض
الآثار أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة . انتهى من كلام ابن كثير
قوله (يسبح لله) أى يترمه عما لا يليق بجلاله وعظمته ، فالنسب يحق يقتضى التنزيه
لله سبحانه من كل سوء وعيب وإثبات صفات الكمال لله سبحانه

ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)
وقوله (تبارك الذي نزل الفرقان

وهذا التسبيح قيل بلسان الحال وقيل بلسان المقال وهو الصحيح ، والله سبحانه
قادر على خلق الإدراك في الجمادات وإنطاقها كما قال سبحانه عن الجلود (أنطقنا الله
الذي أنطق كل شيء) والأصل في الكلام الحقيقة ، وقد سمع النبي ﷺ تسبيح
الحصى ، وورد أن النبي ﷺ قال : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على ، وكأني
أجد أن النبي ﷺ لما خطب على المنبر حن الجذع الذي كان يخطب عليه سابقاً
وقال تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) الآية .

قوله (ما في السموات وما في الارض) أي جميع ما في السموات والارض يسبح لله
وحده ويثمه عما لا يليق بجلاله وعظمته ، وقدم السموات على الارض لأنها مقدمة
بالرتبة والفضل والشرف ، أفاده ابن القيم في البدائع .

قوله (له الملك) أي هو المالك وحده لجميع المخلوقات النافذة فيها أمره يتصرف
فيها كيف يشاء لا مقب لحكمه ولا راد لأمره .

قوله (يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) ففي هذه الآية دليل على وجود
التسبيح من جميع المخلوقات وأنه تسبيح حقيق وأنه سبحانه قادر على خلق الإدراك
للجمادات وقادر على إنطاقها ، وفيها إثبات جميع صفات الكمال لله سبحانه ونفي كل
نقص وعيب ، لأن التسبيح يقتضي ذلك .

قوله (تبارك) من البركة وهو لغة النماء والزيادة ، وتبارك فعل مختص بالله لم
ينطق له بمضارع

قوله (الذي نزل الفرقان) أي القرآن سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل
ومنه الفاروق وفيه دليل على أن القرآن منزل من عند الله ، وفيه دليل على علوه
سبحانه على خلقه ، لأن الانزال والتنزيل لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل ، وأفادت
هذه الآية فضل هذا الكتاب على الكتب الأخرى .

قوله (على عبده) أى على عبده ورسوله محمد ﷺ ، وهذا صفة مدح وثناء ، لأنه أضافه إلى عبوديته ووصفه بها فى أشرف مقاماته مقام الإرسال كقوله سبحانه (وإنه لما قام عبد الله يدعوه) ومقام الإسماء كقوله سبحانه (سبحانه الذى أمرى بعبد ليلام المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) ومقام التحدى كقوله سبحانه (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) الآية ، وهذه الإضافة إضافة تشريف وتعظيم ، وتقدم أن المضاف إليه سبحانه ينقسم إلى قسمين : إضافة أعيان وإضافة معان ، فأضافة المعانى إليه سبحانه وتعالى من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كإضافة السمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك إليه سبحانه من كل شيء لا يقوم بنفسه .
الثانى إضافة الأعيان إليه سبحانه ، فأضافها إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه ، كبيت الله وثابة الله والحجر يمين الله وعبد الله ورسول الله ونحو ذلك . وفى هذه الآية فضل نبينا ﷺ حيث أضافه إليه ووصفه بالعبودية التى هى من أشرف مقامات العبد .

قوله (ليكون للعالمين نذيراً) أى منذراً ، والإنذار هو الإعلام بأسباب الخافة ، فكل إنذار إعلام ولا ينمكس قال الشيخ فقى الدين بن تيمية رحمه الله سبحانه وتعالى والإنذار المذكور فى الآية إنذار عام ، فإن الإنذار ينقسم إلى قسمين : إنذار عام وإنذار خاص . والخاص كقوله سبحانه (إنما أنت منذر من يخشاها) وقوله (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب) الآية .

فهذا الإنذار الخاص هو العام النافع الذى يفتق به المنذر ، والإنذار هو الإعلام بالخوف ، فلم الخوف قآمن وأطاع ، انتهى . ونذارته ﷺ تنقسم إلى قسمين : عامة وخاصة ، فالعامة كإلى هذه الآية ، والخاصة كقوله سبحانه (وأنذر عشيرتلك الأقربين) الآية .

قوله (ليكون للعالمين نذيراً) اللام فى قوله ليكون لام العلة ودخول لام التحليل

الذى له ملك السموات ، الأرض ولم يتخذ ولدًا وخلق كل شيء .

في صرحه أكثر من أن يمد ففيه دليل على تعليل أفعال الله وأنه لا يفعل شيئاً إلا لعلّة وحكمة قال الشيخ تقي الدين : هذا قول السلف وجهود المسلمين وجمهور العقلاء وقالت طائفة كجهم وأتباعه إنه لم يخلق شيئاً لشيء ووافقه أبو الحسن الأشعري ومن اتبعه من الفقهاء أتباع الأئمة ، انتهى

قوله (للعالمين) المراد بالعالمين هنا الجن والإنس ، ففيه دليل على عموم رسالته ﷺ وبعثته إلى الجن والإنس ، وفيه دليل على أن الجن مكلفون ويتضمن الدلالة على أنهم يناهون على الحسنات ويجازون على السيئات ، وفيه دليل على أن من بلغه للقرآن فتدققت عليه الحجة لقوله سبحانه وتعالى (لينذركم به ومن بلغ) الآية ، ففيه الرد على من زعم أن كلام الله ورسوله لا يفيد اليقين ، فلو كان الأمر كما زعم هؤلاء المبتدعة لم تقم بالقرآن حجة على المكافين ، وأفادت هذه الآية الحكمة في إرسال الرسل وإنزال الكتب .

قوله (الذى له ملك السموات والأرض) أى له التصرف فيها والجميع خلقه وعبيده . قوله (ولم يتخذ ولدًا) أى لسكمال غناه وقيامه بنفسه وحاجة كل شيء إليه واغنته وقيام كل شيء به سبحانه وتعالى . قوله (وخلق كل شيء) أى أوجد وأنشأ وأبدع ، وتأتى خلق بمعنى قدر وتأتى بمعنى كذب ، كما قال سبحانه (وتخلقون إفكا) وقال الشاعر :

لى حيلة فيمن ينم * وليس فى الكذاب حيلة * من كان يخلق ما يقول * فخيأتى فيه قلبه
وقوله (وخلق كل شيء) أى خلق كل شيء مخلوق فيدخل فى ذلك أفعال العبد فهى خلق لله وفعل للعبد ولا يدخل فى ذلك أسماء الله وصفاته لأن الأسماء والصفات تابعة للذات يحتذى فيها حذوها وعموم (كل) فى كل مقام بحسبه كقوله سبحانه (تدمر كل شيء بأمر ربها) أى كل شيء أمرت بتدميره ، وقوله (وأوتيت من كل شيء) أى من كل شيء يصلح للملوك فلا تدخل فى ذلك القرآن لأن القرآن كلامه وهو صفة

من صفاته والله سبحانه وتعالى بصفاته غير مخلوق كما في الصحيح من حديث خوله : من نزل منزلا وقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك ، فاستعاذ بكلمات الله ، والاستعاذة بالمخلوق شرك فدل على أن كلامه سبحانه غير مخلوق كما استدل بذلك أحد وغيره .

قال ابن القيم رحمه الله في المدايح : استدل الجهمية على خلق القرآن بهذه الآيات فأجابهم السلف بأن القرآن كلامه سبحانه ، وكلامه من صفاته وصفاته داخلة في مسمى اسمه كعلمه وقدرته وحياته ومعه وبصره ووجهه ، فليس لله سبحانه وتعالى أسماء لذات لا نعت لها ولا صفة ولا فعل ولا وجه ولا يدين ، فان ذلك إله ممدوم مفروض في الأذهان لا وجود له في الأعيان كإله الجهمية الذي فرضوه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل فيه ولا منفصل عنه ولا محاييد ولا مبين ، أما إله العالمين الحق هو الذي دعت إليه الرسل وعرفوه بأسمائه وصفاته وأفعاله فوق سمواته بائن من خلقه موصوف بكل كمال منزّه عن كل عيب ، فتجريد الذات عن الصفات والصفات عن الذات فرض وخيال ذهني لا حقيقة له ، انتهى

قوله (فقدّره تقديرا) أي قدر رزقه وأجله وحياته وموته وما يصلح له ، ففيه دليل على الإيمان بالقدر ، ودليل على سبق علم الله سبحانه وتعالى بالأشياء وكتابتها كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال : قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ، وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض ، وفي رواية (ثم خلق السموات والأرض) وأحاديث تقديره وكتابته سبحانه لما يريد أن يخلقه كثيرة جداً .

أفادت هذه الآية عدا ما تقدم عموم ربوبيته سبحانه وتعالى وملكه وأنه الإله

الحق وبطلان عبادة ما سواه ، وأفادت الحث على التوكل ، لأن من قر في قلبه أن الملك لله وأنه المتصرف الفاعع الضار لم يبال بأحد من الخلق ، وأفادت كما ذكره بعضهم أن العباد لا يملكون الأعيان ملكا مطلقا ، وإنما يملكون التصرف فيها على مقتضى الشرع ، وأفادت تحريم الإفتاء بغير علم ، لأن ربوبيته وملكه يمنع من الحكم والإفتاء بغير إذنه وبغير حكمه ، وأفادت تعدد السموات وأنها أشرف من الأرض لانه قدمها ، وقد تقدم كلام ابن القيم رحمه الله في هذا الموضوع ، وفيها تزييه سبحانه وتعالى عن مشابيه المخلوقين في قوله (ولم يتخذ ولدا) فان الولد عادة يكون من جنس الوالد ، وفيها الرد على اليهود القائلين : العزيز ابن الله والنصارى القائلين للمسيح ابن الله ، والمشركيين القائلين للملائكة بنات الله ، وفيها الرد على المشركيين في إسمائهم معه غيره ، والرد على الجوس القائلين بأن النور خلق الخير ، والظلام خلق الشر ، والرد على الدهرية القائلين ما هي إلا حياتنا للدنيا ، وفيها الرد على القدرة القائلين بأن العباد يخلقون أفعالهم ، وتضمن إثبات صفة العلم لله سبحانه وتعالى ، فان الخالق لا بد أن يعلم مخلوقه ، إذ الخلق فرع العلم فلا يمكن الخلق إلا بعد العلم ، قال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)

ففيها الرد على غلاة القسدية الذين نفوا علمه سبحانه ، فكفروهم السلف قاطبة بذلك ، وفيها الرد على من زعم أن العرش غير مخلوق ، وفيها الرد على المجرة القائلين أن العبد لا فضل له وأن فعله كفيف الاشجار أو كحركة المرتعش ، وهذا باطل ترده أدلة الكتاب والسنة بل العقل والفطرة ، فان أفعال العباد داخلة في عموم كل المضافة إلى شيء ، فهي مخلوقة والمخلوق بائن ومنفصل عن الخالق فليس هو فعله ، فاذ لا بد له من فاعل يقوم به وهم العباد وكل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والاضطرابية وقد قال العلماء ان من صار كالآلة لا ضمان عليه لانه غير مكلف ، فيلزم على قول هؤلاء المجرة أن الناس غير مكلفين ، وهذا مما برده أدلة العقل والنقل والفطرة ، والأدلة على

وقوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) ، إذاً لذهب كل إله بما خلق وكلاماً لبعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون

إثبات فعل العبد وأن له فعلاً حقيقة ينسب إليه على حجة الحقيقة لا على حجة المجاز أكثر من أن تحصر ، وفيها انتظام هذا الكون واتساعه على أكمل نظام وأتمه مما يدل دلالة واضحة على أن له خالقاً ومديراً وهو الله سبحانه .

قوله (ما اتخذ الله من ولد) أى لأنه منزّه عن المثل والشبيه والمظنن ، والولد رتبة والده فلم يتخذ ولداً لسكمال صمديته وغناه وملكوته وتعبد كل شيء به ، فينأى ذلك كما قال سبحانه (وقالوا اتخذ الله ولداً) سبحانه هو الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) ففيه الرد على من زعم أن له ولداً كاليهود والنصارى والمشركين وغيرهم والرد على الشبهة المثلة .

قوله (وما كان معه من إله) أى ليس معه سبحانه شرك فى الألوهية لفردية سبحانه بالألوهية والربوبية وتوحيده . بصفات الكمال التى لا يوصف بها غيره سبحانه فيكون شريكاً له ، وكذا كل سلب وجد فهو لتضمنه إثبات كمال ضده ، وإلا فالسلب المحض ليس بمدح ولا ثناء ، انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

قوله (إذاً لذهب كل إله بما خلق) أى لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق لى انفرد به ومنع غيره من الاستيلاء عليه ، فلو قدر ذلك لما كان ينتظم الوجود ، والمشهد أن الوجود منتظم متسق ، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت .

قوله (ولعل بعضهم على بعض) أى لو كان معه إله لعل بعضهم على بعض منالبة كفضل ملوك الدنيا ، فكل واحد منهم يطلب قهر الآخر ، والمتكاملون ذكروا هذا المعنى وهربوا عنه بدليل القانع .

قوله (سبحانه الله) أى تنزيهاً لله سبحانه والتسميح التنزيه عن كل نقص وعيب .

قوله (عما يصفون) أى تنزيهاً لله سبحانه عما يصفه به المخالفون للرسل عليهم السلام وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : تأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوحيد

عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون

البين ، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابديه النفع ويدفع عنهم الضر ، ولو كان معه إله آخر لكان له خلق وفعل ، وحينئذ أفلا يرضى شركة الإله الآخر معه ، بل إن قدر على قهره والتفرد بالالوهية دونه فعل ، إن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما يتفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بما لهم إذا لم يقدر المفرد على قهر الآخر والمو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة :

إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه ، وإما أن يعلو بعضهم على بعض ، وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد يتصرف بهم ولا يتصرفون فيه ، فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون ، وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره ، كما دل دليل القانع على أن خالقه واحد لا رب غيره فذلك تمنع في الفعل والإيجاد ، وهذا تمنع في الغاية والالوهية ، فكما يستحيل أن يكون للكون خالقان متكافئان ، كذلك يستحيل أن يكون له إلهان معبودان . اه
قوله (عالم الغيب والشهادة) أى يعلم ما غاب عن العباد وما شاهدوه ، والغيب ينقسم إلى قسمين : غيب مطلق وغيب مقيد .

فالمطلق لا يعلمه إلا الله . وهو ما غاب عن جميع المخلوقين الذى قال فيه (فلا يظهر على غيبه أحدا)

والغيب المقيد ما علمه بعض المخلوقات من الجن والإنس ، فهو غيب عن غاب عنه وليس هو غيبا عن شاهده ، والناس قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا فيكون غيبا مقيدا ، أى غيبا عن غاب عنه من المخلوقين لا عن شاهده ، وليس هو غيبا مطلقا عن المخلوقين قاطبة ، انتهى من كلام شيخ الاسلام بتصرف .

قوله (فتعالى عما يشركون) قوله فتعالى أى علا وتنزه وتقدس عما لا يليق بجلاله فله سبحانه العلو الكامل المطلق من جميع الوجوه ، علو القهر ، أى أنه علا على كل

شئ . بمعنى أنه قاهر له قادر عليه متصرف فيه كما قال تعالى (إنا لنذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض) انتهى . وله سبحانه وتعالى علو القدر ، فتعالى سبحانه وتزه عن المشيل والنظير وتزه عن النقائص والعيوب كما قال (سبحانه عما يشركون) وفي دعاء الاستفتاح : وتعالى جددك ، وله سبحانه علو الذات ، أى أنه عال على الجميع فوق عرشه وإثبات علوه سبحانه على ما سواه وقدرته عليه وقهره يقتضى ربوبيته له وخلق له ، وذلك يستلزم ثبوت الكمال ، وعلوه عن الأمثال يقتضى أنه لا مثل له فى صفات الكمال ، فاعلمه العلى الأعلى يتضمن اتصافه بجميع صفات الكمال ، وتزويه عما ينافيها من صفات النقص وعن أن يكون له مثل ، وأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه ، انتهى ملخصاً من كلام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله .

قوله (فلا تضربوا لله الأمثال) يعنى الأشباه فنشبهونه بخلقهم ونجعلون له شريكاً فانه سبحانه لا مثل له ولا ند له لا فى ذاته ولا فى أسمائه وصفاته ولا فى أفعاله ، وضرب المثل هو تشبيه حال بحال ، فلا يمثل سبحانه وتعالى بخلقهم ولا يشبه بهم سبحانه وتعالى فانه سبحانه لا مثل له .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية فى أثناء كلامه له : والله سبحانه لا تضرب له الامثال التى فيها مماثلة لخلقهم ، فان الله لا مثل له ، بل له المثل الأعلى فلا يجوز أن يشرك هو والمخلوق فى قياس تمثيل ولا قياس شمول تستوى أفرادهم ، بل يستصل فى حقه المثل الأعلى ، وهو أن كل ما انصف به المخلوق من كمال فخالق أولى به ، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فخالق أولى بالتزويه ، قال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وهذا يبين أن العالم أكل ممن لا يعلم ، وحيفئذ فالمتصف به أولى والله المثل الأعلى ، وقال تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه ألم تعلم ماذا يعبدون) ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئاً) فدل على أن السميع البصير الفنى أكل وأن المعبود يجب أن يكون كذلك ، فمن جعل الواجب الوجود لا يقبل الاتصاف بصفات الكمال

إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون — قل إنما حرم ربي الفواحش

المذكورة فقد جعله من جنس الاصنام الجامدة التي عابها الله وطلب عابديها ، والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال ، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون من سواه فأفاد الاصلين الذين يهيم للتوحيد ، وهو إثبات صفات الكمال رداً على أهل التعطيل وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو رداً على المشركين ، انتهى .

وقوله (إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) أى يعلم أنه لا مثل له ولا تد وأنه الإله الحق لا إله غيره وأنتم بجهلكم تشركون به غيره من الاوثان والانداد وتشبهونها به قوله (قل) أى قل يا محمد ، ففيه دليل على أن القرآن كلام الله ليس كلام محمد ولا غيره ، وإنما عهد عليه الصلاة والسلام مبلغ لكلام الله .
قوله (إنما) أداة حصر تثبت المذكور وتنفي ما سواه .

قوله (حرم) أى جعله حراماً ومنع منه ، والحرام شرعاً هو ما أُنِيب تاركه وعوقب فاعله وبمعناه المحظور والممنوع ، والتعريم ينقسم إلى قسمين : شرعي كما في هذه الآية ، وكوفي قدرى كما في قوله تعالى (وحرام على قرية أهلكناها أنهم إلينا لا يرجعون) . قوله (ربى) الرب هو الخالق الرازق المحيى المميت المدبر لجميع الامور وإذا أفرد أو حرف لم يطلق إلا على الله سبحانه وتعالى ، أما إذا أُضيف فيطلق على غيره كما يقال رب الدار ورب الدابة ونحو ذلك .

قوله (الفواحش) هى جمع فاحشة ، وهو ما استعظم من الذنوب والمعاصى كالزنا والواط وقتل النفس ونحو ذلك مما عاب الله فاحشة لتتأذى قبحه . قال ابن القيم رحمه الله في كتابه المدارج : فيه دليل على أن الافعال توصف بأنها حسنة وقبيحة ، كما أنها نافعة وضارة ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالامر والنهي ، قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها فافقون) وهى أحد القولين هو أن المعنى لم يهلكهم بظلم قبل إرسال الرسل ،

ما ظهر منها وما بطن والاثم والبني بغير الحق وأن تشركوا بالله

فمكون الآية دالة على الاصلين أن أفعالهم وشركهم قبيح قبل البعثة وأنه لا يعاقبهم إلا بعد الارسال .

قوله (ما ظهر منها وما بطن) أى ما أعلن منها وما أسر . قوله (والاثم) أى الذنب تعميم بعد تخصيص ، وقيل المراد بالاثم الحذر كما قال الشاعر :
شربت الائم حتى ضل عقلى كذاك الائم تذهب بالقول
قوله (والبني) هو التعدى على الناس .

قال ابن القيم فى المدايح : وأما الائم والعدوان فهما قرينان ، قال تعالى (ولا تعاونوا على الائم والعدوان) فكل منهما إذا انفرد تضمن الآخر ، فكل إثم عدوان إذ فعل ما نهى الله عنه وترك ما أمر الله به فهو عدوان على أمره ونهيه ، وكل عدوان إثم فانه يأثم به صاحبه ، ولكن عند اقترانهما فهما شيئان بحسب متعلقهما ووصفهما ، فالائم ما كان محرم الجنس كالسكذب والزنا وشرب الخمر ، والعدوان ما كان محرم القدر والزيادة ، فالعدوان تعدى ما أبيع منه إلى القدر المحرم كالاغتداء فى أخذ الحق ممن هو عليه ، إما أن يتعدى على ماله أو بدنه أو عرضه وهذا نوعان : عدوان فى حق الله وعدوان فى حق العبد .

فالعدوان فى حق الله كما إذا تعدى ما أبيع له من الوطء الحلال فى الأزواج والمملوكات إلى ما حرم عليه من سواهما ، والائم والعدوان هما الائم والبني المذكوران فى سورة الاعراف مع أن الغالب استعماله فى حقوق العباد والاستطالة عليهم ، وعلى هذا فاذا اقترن بالعدوان كان البني ظلمهم بمحرم الجنس كالسرقة والسكذب والبهت والعدوان تعدى الحق فى استيفائه إلى أكبر منه ، فيكون البني والعدوان فى حقهم كالائم والعدوان فى حدود الله . انتهى بتصرف .

قوله (وأن تشركوا بالله) أى تصرفوا شيئاً من حق الله سبحانه إلى غيره من الاوثان والانداد ، والشرك بالله هو أعظم الذنوب على الإطلاق وأجل الجمل وأعظم

الظلم كما في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ألا أخبركم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرار وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . وفي الصحيح من حديث عبيد الله بن مسعود أنه قال للنبي ﷺ : أى الذنب عند الله أعظم ؟ فقال أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قال قلت ثم أى ؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم منك ، قال قلت ثم أى ؟ قال أن تزاني بحليلة جارك .

والشرك ينقسم إلى قسمين : أكبر وأصغر ، فخذ الشرك الأكبر هو تسوية غير الله بالله فيها هو خاص بالله .

قال ابن القيم رحمه الله : هو التشبه بالله أو تشبيه غيره به والتعريفان متقاربان . وأما الشرك الأصغر فحده ما ورد في النصوص تسميته شركاً ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر .

وينقسم الشرك الأكبر إلى قسمين : شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته ، وقسم يتعلق بمعاملته ، فالنوع الأول ينقسم إلى قسمين : شرك تعطيل وشرك تمثيل ، فشرك التمثيل ينقسم إلى ثلاثة أقسام : تمثيل المخلوق من خالقه وتمثيل الصانع من كماله المقدس بتمثيل أسمائه وصفاته وتمثيل حق معاملته ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك .

القسم الثانى : شرك التمثيل وينقسم إلى قسمين : تشبيه المخلوق بالمخالق ، كشرك النصارى وعبدة الاوثان ، شهبوا أو ثمانهم بالله وعبودها معه ، القسم الثانى : تشبيه المخلوق بالمخالق ، كأن تقول : لله يد كأيدينا وعين كأعيننا ونحو ذلك ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك .

النوع الثانى : شرك يتعلق بمعاملته سبحانه وهذا ينقسم إلى أقسام : الاول شرك الدعوة كقوله تعالى (وإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) الآية .

ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

الثاني : شرك المحبة كقوله سبحانه (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) الآية .

الثالث : شرك الطاعة كقوله سبحانه (اتخذوا أحيارهم ورهيتهم أرباباً من دون الله) الآية . الرابع : شرك الارادة والقصد كقوله سبحانه (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)

ويفترق الشرك الأكبر عن الشرك الأصغر في أمور ، منها : أن الشرك الأكبر لا ينفر لصاحبه لقوله تعالى (إن الله لا ينفر أن يشرك به وينفر ما دون ذلك لمن يشاء) أما الشرك الأصغر فهو تحت مشيئة الله سبحانه . ومنها أن الشرك الأكبر يحبط لجميع الاعمال لقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً) وقوله (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الآية وأما الشرك الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه .

ومنها أن الشرك الأكبر مخرج من الملة الإسلامية والأصغر لا يخرج من الملة الإسلامية . ومنها أن المشرك شرك أكبر خالده مخلد في النار ، أما المشرك شرك أصغر فهو كغيره من الذنوب .

قوله (ما لم ينزل به سلطاناً) أي برهان وحجة بل أنزل البرهان والحجة في تحريمه وأنه أعظم الذنوب على الإطلاق ، والسلطان والبرهان والحجة والدليل ألفاظ مترادفة ، وسلطان يأتي بمعنى الحجة كما في هذه الآية ويأتي بمعنى الملك كقوله (هلك حتى سلطانيه) ويأتي بمعنى التسلط والسيطرة كقوله (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا) الآية .

قوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) أي وأن تقولوا على الله من الافتراء والكذب ما لا علم لكم به ، فخنم هذه المحرمات بالقول على الله بلا علم لانه أصلها

وقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) في سبعة مواضع — في سورة الأعراف
في قوله سبحانه (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى
على العرش)

وأعظمها ، وأصل كل بدعة وحدث في الدين ، ففيه تحريم القول على الله بلا علم ،
في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه وقدره ووصفه بضد ما وصف به نفسه . اهـ
وفي هذه الآية رتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهي الفواحش ، ثم ثنى
بما هو أشد تحريماً وهو الإثم والظلم ، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منها وهو الشرك
بالله ، ثم رابع بما هو أعظم تحريماً من ذلك كله وهو القول على الله بلا علم ، في أسمائه
وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه ، انتهى من كلام ابن القيم رحمه الله .
قوله (الرحمن على العرش استوى) في سبعة مواضع . أى أنه نص في معناه لا يحتمل
التأويل ، وصريح في أنه استوى بذاته استواء يليق بجلاله وعظمته .

قوله (إن ربكم الله) أى هو المعبود وحده لا شريك له وعبادة غيره باطلة .
قوله (الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) خلق أى أنشأ وأوجد ،
والخلق هو اختراع الشيء على غير مثال سبق ، ففيه إضافة الفعل والخلق إليه سبحانه
على جهة الحقيقة لأنها الأصل ، وقد رد ابن القيم رحمه الله على من زعم أن خلقه
وفعله مجاز من وجوه عديدة .

قوله (في ستة أيام) أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة وفيه اجتمع الخلق كلهم
وهذه الأيام كما يأمنا ، هذا هو المتبادر إلى الأنفان وهو ظاهر الأدلة .

قوله (ثم استوى على العرش) أى استوى استواء يليق بجلاله وعظمته لا تنكيفه
ولا تمثله ولا يعلم كيف هو إلا هو كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول
والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، فقول مالك : الاستواء معلوم ، أى في لغة
العرب ، وقوله والكيف مجهول ، أى كيفية أسوائه لا يعلمها إلا هو ، والإيمان به
أى بالاستواء واجب لتكاثر الأدلة في إثباته ، والسؤال عنه ، أى عن الكيفية بدعة

إذ لا يعلم كيفية استوائه إلا هو ، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات
فكما نعلم أن الله ذاتاً لا تشبه الذوات ، فكذلك يجب أن تثبت له صفاتاً لا تشبه
الصفات ، فثبتنا للصفات إثبات وجود لا إثبات تكوين وتمثيل ، إذ العلم بالصفة
فرع عن العلم بالموصوف ، ولا يعلم كيف هو إلا هو ، وكذلك يقال في بقية الصفات
كصفة الجهي . والنزول والإتيان والوجه واليد ونحو ذلك ، فهذا الجواب الوارد عن
مالك رحمه الله كاف شاف في سائر الصفات . قال الذهبي : فانظر إليهم كيف أنبتوا
الاستواء لله وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير ونفوا عنه الكيفية ، أما
معنى الاستواء في اللغة فلها أربعة معان تأتي بمعنى علا وبمعنى ارتفع وبمعنى صعد
واستقر كما قال ابن القيم رحمه الله في كتابه المسمى بالنونية :

ولهم عبارات عليها أربع قد فسرت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذي ما فيه من نكران
وكذلك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن
والاشعري يقول تفسير استوى . بحقيقة استولى على الأكوان
فهذه الأربعة التي ذكرها ابن القيم رحمه الله هي التي تدور عليها تفاسير السلف
رحمهم الله ، قال البخاري رحمه الله في صحيحه : قال بجاهد استوى علا على العرش ،
وقال إسحاق بن راهويه سمعت غير واحد من المفسرين يقولون : الرحمن على العرش
استوى ، أي ارتفع . وقال محمد بن جرير في قوله (الرحمن على العرش استوى) أي
علا وارتفع ، وشواهد في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم معروفة .
وأما تفسير استوى باستولى أو ملك أو قهر فهو تفسير باطل مردود من وجوه
عديدة . منها أن هذا التفسير لم يفسره به أحد من السلف لا من الصحابة ولا

من التابعين بل أول من عرف عنه هذا التفسير بعض الجهمية والمعتزلة . ثانياً : إن الاستواء في لغة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم نوعان : مطلق ومقيد ، فالمطلق ما لم يقيد بحرف كقوله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى) وهذه معناها تم وكل ، وأما المقيد فتلاثة أنواع : أحدها مقيد بإلى كقوله (ثم استوى إلى السماء) وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف . الثاني : مقيد بعلى كقوله (لتستروا على ظهوره) وقوله (واستوت على الجودي) وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة . الثالث : المقرون بواو المعية كقولهم : استوى الماء والخشبة ، وهذا بمعنى ساواها ، فهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة ، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق الجهمية والمعتزلة مستدلين بببيت للأختل النصراني وهو قوله :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهوراق
وهذا البيت ليس من شعر العرب ، وأهل اللغة لما معموله أنكروه غاية الإنكار ولم يجعلوه من لغة العرب .

ثالثاً : إن معنى هذه الكلمة مشهور كما قال مالك وربيعة وغيرهم .
رابعاً : إنه لو لم يكن معنى الاستواء في الآية معلوماً لم يحتج أن يقول والكيف مجهول ، لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي إلا ما قد علم أصله .
خامساً : إن الاستواء خاص بالعرش ، وأما الاستيلاء فهو عام على سائر المخلوقات فلو كان معنى الاستواء الاستيلاء لجاز أن يقول استوى على الماء والهواء والأرض .
سادساً : أنه أخبر بخلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وأخبر أن عرشه على الماء قبل خلقهما ، والاستواء متأخر عن خلقهن ، والله مستول على العرش قبل خلق السموات وبعده ، فلم أن الاستواء على العرش الخاص به غير الاستيلاء العام عليه وعلى غيره .

سابعاً : إنه لم يثبت في اللغة أن معنى (استوى) استولى ، إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المذكور ولم يثبت نقل صحيح أنه عربي ، وغير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا بيت مصنوع لا يعرف في اللغة ، فكيف تعارض أدلة الكتاب والسنة ببيت شعر لنصراني ومع ذلك لم يثبت ، قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في لاميته المشهورة :

قبحا لمن نبذ الكتاب وراه وإذا استدل يقول قال الاخطل
وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه النونية :

ودليلهم في ذلك بيت قاه فيما يقال الاخطل النصراني
إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرها أهل العلم في رد وإبطال هذا التفسير ، وقد
أنهاها ابن القيم رحمه الله إلى اثنين وأربعين وجهاً .

قوله (العرش) هو لغة عبارة عن السرير الذي للملك كما قال تعالى عن بلقيس
(ولها عرش عظيم) فالعرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم
وهو سقف الخلوقات ، قال البيهقي رحمه الله : اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن
العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله وأمر ملائكته يحمله وتعبدهم بتعظيمه
والطواف به ، كما خلق بيتاً في الأرض وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله ، وقد
اختلف العلماء في السابق بالخلق هل هو العرش أو القلم ، ونظم ذلك ابن التيم في
النونية بقوله :

والناس مختلفون في القلم الذي كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده قولان عند أبي العلا الهمداني
والحق أن العرش قبل لانه قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت إيجاده من غير فصل زمان
قوله (ينفثي) أى يغطي (الليل النهار) فيذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا

يطلبه حينئذ) وقوله (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) وقوله (ألا له الخلق والأمر)

بظلام هذا ، وكل منها يطلب الآخر طلباً حثيثاً ، أى سريعاً لا يتأخر عنه بل إذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه .

قوله (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أى الجميع تحت قهره وتصريفه ومشيئته . قوله (ألا له الخلق والأمر) أى هو خالق كل شيء ، وهذا عام فيشمل أفعال العباد ، وله الأمر ، أى الملك والتصرف ، فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه ، والأمر ينقسم إلى قسمين : أمر شرعى دينى كقوله (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وأمر كونى قدرى كقوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها ففسدوا فيها) الآية تضمنت هذه الآية إثبات أنواع التوحيد الثلاثة ، وأفادت الرد على الفلاسفة القائلين بقدوم هذه المخلوقات ، وأفادت عموم خلقه لهذه المخلوقات فيشمل ذواتها وصفاتها ، وأفادت الاستدلال بهذه المخلوقات على وجود الخالق ، وأفادت إثبات أممائه وصفاته وأنه المستحق للعبادة ، وأفادت إثبات صفة الخلق ، وأفادت إثبات الأفعال الاختيارية اللازمة والمتعدية .

وأفادت إثبات خلق السموات ووجودها ، وأفادت تعددها وأفادت فضل السماء على الأرض وأفادت أن خلق هذه المخلوقات فى ستة أيام أولها يوم الأحد ، وأفادت إثبات الاستواء على العرش استواء يليق بجلاله ، وتضمنت إثبات علو الله وأفادت أن الاستواء صفة فعل ، وأفادت أن الاسعواء خاص بالعرش ، وأفادت أن العرش مخلوق ، وقد ثبت أن العرش مخلوق عظيم ذو قوائم وله حملة خلافاً للمبتدعة الذين ينفون وجود العرش ويقولون عرشه ملكه ، فعلى قول هؤلاء المبتدعة يكون قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) معناه ويحمل ملك ربك ، وهذا قول باطل مردود ، وأفادت أن الاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض لأنه حقبه ثم ، وأفادت الرد على الجهمية وأضرابهم الذين يقولون أن معنى استوى استولى

وقال سبحانه في سورة يونس (إن ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال في سورة الرعد (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش)

لأنه تحريف وزيادة في كتاب الله وحل له على غير ما يحتمل ، فتوارد الادلة على هذا المعنى نص فيه فلا يجوز تأويله ، قال ابن القيم :

نون اليهود ولام جهى هما في وحى رب العرش زائدتان قال الذهبي : وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه هو من الجعد ابن درهم ، وكذلك أنكر جميع الصفات ، وقتله خالد بن عبد الله القسرى وقصته مشهورة ، فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية فأظهرها واحتج لها بالشبهات ، وكان ذلك في آخر عصر التابعين ، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الاوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والثوري وحامد بن زيد وحامد بن سلمة وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى .

وأفادت الاستدلال بهذه الخلوقات على وجود خالقها ومدبرها وأنها آية واضحة ودلالة صريحة على وجوده سبحانه ، وأنه المدبر والمسخر لهذه الخلوقات ، وهي مستلزمة للعلم بصفات كماله ، وتضمن ذلك أنه المعبود الحق وأن عبادة غيره باطلة ، إذ ما سواه عاجز والعاجز لا يصلح للإلهية ، وأفادت التفريق بين الخلق والامر ، وفيه الرد على الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلام الله مخلوق وأن خلقه وأمره واحد ويروى عن سفيان الثوري رضى الله عنه أنه قال : فرق الله بين الخلق والامر فن جمع بينهما فهو كافر . انتهى

وفيها الرد على من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع ، وفيها الرد على من زعم أن العرش لم يزل مع الله وهو مذهب باطل ، انتهى من فتح الباري .

قوله (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) أى رفع السموات بغير عمد بل بأذنه وتسخيرها رفعها عن الارض بعداً لا بنال ولا يدرك مداها كما في حديث « إن

ال تعالى في سورة طه (الرحمن على العرش استوى) وقال في سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال في سورة آل عمران (الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال في سورة الحديد (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش)

بعد ما بين السماء والارض خمسمائة عام وكذلك بعد ما بين السموات ، وجاء عن بعض السلف : أن ما بين العرش إلى الارض مسيرة خمسين ألف سنة ، وبعد ما بين قطره خمسين ألف سنة وهو من ياقوتة حمراء .

قوله (بغير عمد ترونها) أى بغير عمد . وقوله (ترونها) تأكيد للنفي ، أى هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها . قال ابن كثير : وهذا هو الأكمل في القدرة .

وقوله في سورة طه (الرحمن على العرش استوى) الخ الآيات -- فهذه الآيات فيها دلالة واضحة صريحة على إثبات الاستواء على العرش وأنه استواء حقيقة يليق بجلاله وعظمته ، وفيها الرد على من زعم أن ذلك مجاز عن القهر أو الاستيلاء ، وفيها دليل على إثبات العرش وأنه مخلوق والرد على من زعم أن معنى العرش الملك ، وفيها دليل على أن الاستواء صفة فعل ، وفي هذه الآيات دليل على علوه سبحانه على خلقه ، فأدلة الاستواء كلها أدلة على إثبات العلو ، وينقسم العلو إلى ثلاثة أقسام :

الأول : علو القهر . الثانى علو القدر . الثالث علو الذات ، خلافاً للمبتدعة الذين ينكرون علو الذات .

وأدلة العلو عقلية ونقلية ، فقد تواطأت أدلة السمع والعقل على إثباته ، وكذلك قد فطر الخلق على إثباته ، أما الاستواء فدليله معمي فقط ، وهو أيضاً صفة فعل . اهـ وفي الآيات دليل صحيح على أن الله سبحانه ليس هو عين هذه المخلوقات ولا صفة ولا جزء منها ، فإن الخالق غير المخلوق وليس بداخل فيها محصور ، بل هي صريحة في أنه مبين لها وليس حالاً فيها ولا محل لها سبحانه ، انتهى من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

وقوله تعالى (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ — بل رفعه الله إليه)

قوله (يا عيسى إني متوفيك) أى قابضك من الأرض ورافعك إلى من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا قبضته وأخذته تاماً ، انتهى الخازن .
والتوفى الاستيفاء ، وهو يصلح لتوفى النوم ولتوفى الموت الذى هو فراق الروح البدن ، ولم يذكر القبض الذى هو قبض الروح والبدن جميعاً ، والصواب الذى عليه المحققون أن عيسى عليه السلام لم يمُت بحيث فارقت روحه بدنه . بل هو حى مع كونه توفى ، انتهى من اختيارات الشيخ تقي الدين بن تيمية .

قوله (ورافعك إليّ) أى رفعه الله سبحانه إلى السماء وهو حى كما قال (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) والضمير فى قوله قبل (موته) عائد إلى عيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ، ونزول عيسى ثابت وهو أحد أشراف الساعة الكبار ، وفى الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » وفى زواية « حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها » ثم يقول : اقرءوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) وفى هذه الآية إثبات الكلام لله سبحانه وازد على من زعم أن كلامه سبحانه معناه المعنى النفسى ، وفيها دليل على أن الله رفع عيسى إلى السماء وقبضه إليه ، وفيه دليل على علوه سبحانه على خلقه إذ الرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى .

قوله (بل رفعه الله إليه) فى هذه الآية كالأية السابقة دليل على أن الله رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وقبضه إليه وفيها دليل على علوه سبحانه على خلقه ، وفى هذه الآية والى قبلها الرد على اليهود الذين تمقصوه وجعلوه ابن زنا ، والرد على النصارى الذين غلوا فيه ورفعوه عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

وقوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقوله (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً)

قوله (إليه) أى إلى الله سبحانه وتعالى (يصعد) أى يرتفع والسمود الارتفاع وأما أصد يصعد بالضم فعناه أبعد في الهروب ومنه (إذ تصعدون) وقوله «الكلم الطيب» يعنى الذكر والنلاوة والدعاء، قاله غير واحد من السلف، انتهى من ابن كثير.

قوله «والعمل الصالح يرفعه» قال جاهد العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. وقيل الرفع منه صفة لله سبحانه وتعالى، أى العمل الصالح يرفعه الله، قال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص، يعنى أن الإخلاص يسبب قبول العمل كما قال سبحانه «فليممل عملاً صالحاً» الآية، وقال ابن القيم: العمل الصالح هو الخالى من الرياء المقود بالسنة، في هذه الآية أيضاً دليل على علو الله سبحانه وتعالى لأن الصعود والرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى.

قوله «وقال فرعون» هو ملك القبط في الديار المصرية، وفرعون لقب لكل من ملك مصر.

قوله «يا هامان» أى قال فرعون لوزير هامان «ابن لي صرحاً» أى قصراً عالياً منيفاً. قوله «لعلى أبلغ الأسباب» أسباب مفردة سبب والسبب يأتي بمعنى الحبل كقوله «فليمدد بسبب من السماء» والطريق ومنه قوله «فأتبع سبباً» والباب كقوله «أسباب السموات»

قوله «أسباب السموات» أى طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أدى إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه.

قوله «فأطلع» بالنصب على جواب الشرط أى أصد والاطلاع هو الصمود. قوله «إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً» أى في دعواه أن له إلهاً غيرى وأنه أرسله

وقوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور ،

ففي هذه الآية دليل على أن موسى عليه السلام كان يقول ربه في السماء وفرعون يظنه كاذباً ، فمن نقى العلو من الجهمية فهو فرعونى ومن أثبته فهو موسى محمدى ، ففيها دليل على إثبات علو الله سبحانه على خلقه ، وأن موسى عليه السلام أخبر أن ربه في السماء ، وعلو الله سبحانه على خلقه مما تواطأ على إثباته العقل والنقل وفطر الله عليه الخلق ، وأدلة إثبات العلو كثيرة جداً تزيد على ألف دليل ، قيل لعبد الله بن المبارك كيف نعرف ربنا ؟ فقال بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه وقال الأوزاعي : كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى بائن من خلقه ونؤمن بما وردت به السنة . وقال أبو عمرو الطلمنكي في كتاب الأصول : أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ، ثم ساق بسنده عن مالك قال : الله في السماء وعلوه في كل مكان ، ثم قال في هذا الكتاب : أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله « وهو معكم أينما كنتم » ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علوه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء ، هذا لفظة في كتابه ، وهذا كثير في كلام الصحابة والتابعين ، والأئمة أثبتوا ما أثبتته الله في كتابه على لسان رسوله على الحقيقة فيما يليق بمجلاه وعظمته ، ونفوا عنه مشابهة الخلق ولم يمثلوا أو يعطلوا .

قوله (أأمنتم) من الأمن وهو ضد الخوف .

قوله (من في السماء) أى أأمنتم عقاب من في السماء وهو الله إن عصيتموه ، وهذا عند أهل السنة على أحد وجهين .

الأول : أن تصحكون في معنى على .

الثانى : أن يراد بالسماء العلو لا يخجلون في ذلك ولا يجوز الحمل على غيره .

قوله (أن يخسف بكم) أى كما خسف بقارون .

قوله (فاذا هي تمور) أى تضطرب وتتحرك .

أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير)

قوله (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) أى ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمى الحصباء .

قوله (فستعلمون كيف نذير) أى إذا رأيتم ذلك علمتم كيف إنذارى حين لا ينفعكم العلم . فى هذه الآية إشارة إلى التحذير من الأمن من مكر الله ، وفى هذه الآية دلالة واضحة على علو الله سبحانه على خلقه ، وقد تواترت فى ذلك الأدلة واتفقت على إثبات علو جميع الرسل ، وذكر ابن القيم أن أدلة علو تزايد على ألف دليل ، وينقسم علو إلى ثلاثة أقسام كما تقدمت الإشارة إلى ذلك : علو القدر ، علو القهر ، علو الذات . فله علو الكامل من جميع الوجوه ، قال ابن القيم رحمه الله فى النونية :

إن العلو بمطلقة على التمسيم والإطلاق بالبرهان
وله العلو من الوجوه جميعها ذاتا وقهرا مع علو الشأن
وعلوه فوق الخليقة كلها فطرت عليه الخلق والتقلان
كل إذا ما نابه أمر يرى متوجها بضرورة الإنسان
نحو العلو فليس يطلب خلفه وأمامه أو جانب الإنسان
وكذلك الفوقية فإنها ثابتة لله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وقوله (وهو القاهر فوق عباده) وهى من صفات الذات وفوق وعلا بمعنى واحد ، وفوقيته سبحانه ثابتة كعلوه تواطأت على إثباتها أدلة العقل والنقل والفطر التى لم تتغير وأقسام الفوقية ثلاثة :

فوقية القدر . فوقية القهر . فوقية الذات ، خلافاً للجهمية والمعتزلة الذين ينكرون فوقية الذات ، قال ابن القيم رحمه الله فى النونية :

والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لفاطر الالكوان
لكن نفاة الفوق ما وفوا به جحدوا كمال الفوق للرحمن
بل فسروه بأن قدر الله اء سلا لا بفوق الذات للديان

وقوله تعالى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش

قالوا وهذا مثل قول الناس فى ذهب يرى من خالص العقيمان وهو فوق جنس الفضة البيضاء لا بالذات لا بل فى مقتضى الايمان والفوق أنواع ثلاث كلها لله ثابتة بلا نكران هذا الذى قالوا وفوق القهر والفوقية العليا على لا كوان قال ابن القيم رحمه الله : وما ادعى المعطلة مجازة الفوقية ، وقد وزد به القرآن مطلقا بدون حرف ومقترن بحرف .

والاول كقوله (وهو القاهر فوق عباده) فى موضعين . والثانى كقوله سبحانه (يخافون ربهم من فوقهم) وفى حديث الاوعال « والعرش فوق ذلك والله فوق العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم » وحقيقة الفوقية علو ذات الشئ على غيره فادعى الجهمى أنه مجاز فى فوقية الرتبة والقهر كما يقال الذهب فوق الفضة ، وهذا وإن كان ثابتاً للرب لكن إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه عديدة : أحدها أن الاصل الحقيقة والمجاز خلاف الاصل .
الثانى : أن الظاهر خلاف ذلك إلى أن قال .

الخامس : أن الفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزل على خلاف ذلك وساق وجوها عديدة فى إبطال ما ذكره والرد عليهم فى الصواعق .

قوله (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) فيه إثبات الافعال الاختيارية للرب سبحانه ، وهى تنقسم إلى قسمين : لازمة كالاستوى والمجيء والنزول . ومتعديه كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك ، فهو سبحانه موصوف بالنوعين وقد جمعهما فى هذه الآيه ، وفيها بيان أن الخلق غير المخلوق ، لأن نفس خلقه السموات والارض غير السموات والارض ، وفيها دليل على مباينة الرب سبحانه لخلقته فانه لم يخلقته فى ذاته بل خلقهم خارجا عن ذاته ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذه بصره فيهم ويحيط بهم

يعلم ما يلبح في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم
أيما كنتم والله بما تعملون بصير)

علما وقدرة وإرادة ومهما وبصراً ، وهذا معنى كونه معهم أيما كانوا .

قوله (وهو معكم) أى معكم بعلمه ، وقد حكى غير واحد : الاجماع على أن المراد
بهذه معية العلم ولا شك في إرادة ذلك فعلمه بهم وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه
مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، فان (مع) في لغة العرب لا تقتضى أن
يكون أحد الشئيين مختلطاً بالآخر ، كقوله سبحانه (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)
وجاءت المعية في القرآن عامة وخاصة ، فالعامة كما في هذه الآية فافتتح الكلام بالعلم
وختمه بالعلم ، فدل على أنه معهم بالعلم ، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان
وأحمد والثوري وهو معهم بعلمه .

أما المعية الخاصة فكقوله (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) فهو مع
المتقين دون الظالمين ، فلو كان معنى المعية أنه في كل مكان بذاته لتناقض الخبر
انطاس والعام ، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وحفظه وتأيدته دون أولئك .

وقد أخبر في هذه الآية وغيرها أنه سبحانه مع خلقه مع كونه مستويا على عرشه
وقرن بين الأمرين كما قال سبحانه (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام
ثم استوى على العرش) الآية ، فأخبر أنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر
أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الوجود ، فعلمه سبحانه لا يتأقضى معيته ومعيته
لا تبطل علوه فكلاهما حق ، فهذه الآية فيها إثبات صفة الخلق كما تقدم ، وفيها الرد
على من زعم قدم هذه المخلوقات وأنها لم تزل ولا تزال ، وفيها إثبات الأفعال
الاختيارية ، وفيها أن هذه المخلوقات خلقت فى ستة أيام ، وفيها إثبات الاستواء ،
وفيها إثبات العرش ، وفيها دليل على أن الاستواء صفة فعل ، وفيها دليل على إثبات
صفة العلم ودليل على شمول العلم لكل شيء من السكيات والجزئيات ، وفيها إثبات
معيته سبحانه لخلقها وانها لا تتأقضى علوه واستوائه على العرش بل كلاهما حق .

وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم يذنبهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم)

وفيه إشارة إلى الندب إلى استحضار قربه وإطلاعه كما في الحديث « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »
قوله (ما يكون) أى يوجد ، فكان تامة
قوله (من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) النجوى إسرار ثلاثة ، فالنجوى الاسرار .

قوله (رابعهم) لما كان سبحانه وتعالى ليس من جنس خلقه جعل نفسه رابع الثلاثة وسادس الخمسة ، إذ هو غيرهم بالحقيقة ، والعرب تقول : رابع أربعة وخامس خمسة لما يكون فيه المضاف إليه من جنس المضاف ، فإذا كان المضاف إليه من غير جنسه قالوا رابع ثلاثة وسادس خمسة ونحو ذلك ، أفاده ابن القيم في الضوائع .
قوله (إلا هو معهم) أى مطلع عليهم يسمع كلامهم ويعلم سرهم ونجواهم ، ورسله مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علمه ومعه كما قال سبحانه (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) قال ابن كثير رحمه الله : ولهذا حكى غير واحد : الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه سبحانه ، ولا شك في إرادة ذلك ولكن معية أيضاً مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمرهم شيء .

قوله (ثم يذنبهم) أى يخبرهم يوم القيامة بجميع أعمالهم ، قال تعالى « ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً »

قوله (إن الله بكل شيء عليم) قال الإمام أحمد : افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم ، وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : أجمع العلماء من الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل - أى تفسير القرآن - قالوا في تأويل قوله (ما يكون من نجوى

وقوله تعالى (لا تحزن إن الله معنا - إنني معكما أسمع وأرى - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقوله (واصبروا إن الله مع الصابرين)

ثلاثة إلا هو ربهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) الآية ، هو على عرشه وعلمه بكل مكان وما خالفهم في ذلك من يحتاج بقوله .

قوله (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) كان هذا أقول عام الهجرة لما هم المشركون بقتل النبي ﷺ أو حبسه أو نفيا فخرج منهم هارباً صحبة صديقه وصاحبه أبو بكر فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسبرون نحو المدينة ، فخاف أبو بكر على النبي ﷺ ، فجعل النبي ﷺ يسكنه ويشبته ويقول « ما ظنك بانيين الله ثالثهما » كما روى الإمام أحمد في مسنده عن أنس أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال رسول الله ﷺ « ما ظنك بانيين الله ثالثهما » أخرجاه في الصحيحين ، ولذلك قال العلماء : من أنكر صحبة أبي بكر فهو كافر لأنكاره كلام الله وليس ذلك لغير أبي بكر .

قوله (لا تحزن) الحزن هو ضد السرور وقوله (إن الله معنا) أى بنصره وحفظه وكلامه ، ومن كان الله معه فلا خوف عليه .

قوله (إنني معكما أسمع وأرى) قد تقدم الكلام على هذه الآية الكريمة فارجع إليه وقوله (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أى معهم بنصره وحفظه وتأنيده ، وهذه معية خاصة وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم كما تقدم في قوله (وهو معكم أينما كنتم) فهي مقتضية لتخويف العباد منه .

قوله (واصبروا إن الله مع الصابرين) في هذه الآية الأمر بالصبر وهو دليل على وجوبه وهو شامل لأنواع الصبر الثلاثة ، فان حذف المعمول يؤذن بالعموم .
وقوله (إن الله مع الصابرين) أى يحفظه ونصره وتأنيده وهذه معية خاصة .

وقوله تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)
 وقوله (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله — ومن أصدق من الله حديثاً)

قوله (فئة) أى جماعة وهى جمع لا واحد له من لفظه .

قوله (باذن الله) أى بقضائه وإرادته ومشيئته .

أفادت هذه الآية كلالية السابقة الحث على الصبر وأنه أعظم سبب فى تحصيل المقصود ، وفيه أيضاً المعية الخاصة للصابرين وأن الله ضمن لهم النصر ، وفى حديث ابن عباس أن النبی ﷺ قال « واعلم أن النصر مع الصبر » وفيها أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى ، لا عن كثرة عدد ولا عدة ، وإنما تلك أسباب ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتعاطيها واتخاذها كما قال سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » أفادت هذه الآيات المتقدمة إثبات المعية ، فالإيتان الأوليان فيهما إثبات المعية العامة ، والخمس الآيات الأخيرة فيها إثبات المعية الخاصة ومعيته سبحانه لاتنافى علوه على خلقه واستوائه على عرشه بل تجامعه ، فإن قربيه سبحانه ومعيته ليست كقرب المخلوق ومعيته « ليس كمثل شئ وهو السميع البصير »

قوله (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) أى هو إله ومعبود أهل السموات والأرض ، كما تقول فلان أمير فى خراسان وفى العراق ، فلا يدل على أنه فيهما جميعاً وكذلك قوله « وهو الله فى السموات وفى الأرض » فسرهُ أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود فى السموات والأرض ، فهذه الآيات لا تخالف الآيات التى فيها إثبات علوه سبحانه واستوائه على عرشه ، بل تجامعها ، فإن قربيه ومعيته كما يليق بجلاله وعظمته ، ليس كمثل شئ وهو السميع البصير .

قوله (ومن أصدق) لفظه استفهام ومعناه لا أحد أصدق من الله فى حديثه وخبره ووعده ووعيده ، وكان رسول الله ﷺ يقول فى خطبته « إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ » .

وقوله تعالى (ومن أصدق من الله قيلاً) (وإذا قال الله يا عيسى بن مريم - وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) - (وكلم الله موسى تكليماً)

قوله «ومن أصدق من الله قيلاً» أى لا أحد أصدق من الله قولاً ولا خيراً .
قوله (ابن مريم) أضافه إلى أمه لأنه لا أب له فهو من أم بلا أب ، ففي هذه الآيات إثبات القول لله سبحانه وتعالى وأنه قال يقول متى شاء إذا شاء وأن الكلام والقول المضاف إليه سبحانه قديم النوع حادث الاحداث ، وفيه دليل على أنه سبحانه يحكم بحرف وصوت كما يلحق بجلاله سبحانه ، وفيه الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى إذ المعنى المجرد لا يسمع .

قوله (صدقاً) أى صدقاً فى الاخبار وعدلاً فى الطلب ، فكل ما أخبر به سبحانه فهو حق لا مرية فيه ولا شك ، فكل ما أمر به فهو العدل الذى لا عدل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل لأنه لا ينهى إلا عن مفسدة ، والمراد بالكلمة أمره ونهيه ووعدته ووعيدته ، وكلمات الله نوعان : كونية ودينية ، فكلمات الله الكونية هى التى اسمعذ النهى ﷻ بها فى قوله : أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وكقوله : وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً .

النوع الثانى : الكلمات الدينية ، وهى القرآن وشرع الله الذى بعث به رسوله ، وهى أمره ونهيه ، انتهى من كلام الشيخ تقي الدين ابن تيمية .

قوله (لا مبدل لكلماته) أى ليس أحد يعقب حكمه سبحانه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، قوله (وهو السميع العليم) الذى أحاط بمعه بسائر الأصوات وأحاط علمه بالظواهر والخفيات .

قوله (وكلم الله موسى تكليماً) خصص الله نبيه موسى عليه السلام بهذه الصفة تشريعاً له ولذا يقال لموسى عليه السلام التكليم ، وهذا دليل على أن التكليم الذى حصل لموسى عليه السلام أخص من مطلق الوحي ، ثم أكد به بالمصدر المحقق رفعاً لما نوهه المعطلة من أنه إلهام أو إشارة أو تعريف للمعنى النفسى بشئ غير التكليم

وقوله تعالى (منهم من كلم الله — ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)

فأكده بالمصدر المفيد لتحقيق النسبة ورفع توهم المجاز ، قال الفراء إن الكلام إذا أكد بالمصدر ارتفع المجاز وثبتت الحقيقة ، ويروى أن رجلا قال لأبي عمرو بن العلاء أريد أن تقرأ : وكلم الله موسى تكليما ، فنصب لفظ الجلالة فقال له : هب إنى قرأت ذلك فما تقول فى قوله « وكلمه ربه » فهبت المعتزلى .

قوله (منهم من كلم الله) أى كلمه الله كوسى عليه السلام ومحمد وكذلك آدم كما ورد به الحديث المروى فى صحيح ابن حبان عن أبى ذر رضى الله عنه .
قوله (لميقاتنا) أى للوقت الذى ضربنا له أن نكلمه فيه .

قوله (وكلمه ربه) أى كلمه سبحانه وتعالى بكلام حقيقى يلحق بمجالاته وعظمته وكلمه بلا اسطة . فهذه الايات أفادت إثبات صفة الكلام لله وأنه تكلم ويشكل سبحانه وتعالى ، والأدلة الدالة على أنه يتكلم أكثر من أن تحصر وفيها الرد على من زعم أن كلامه سبحانه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يسمع ، وفيها دليل على أن كلامه سبحانه وتعالى حقيقة لا مجاز لأنه أكد بالمصدر ، فقال : وكلم الله موسى تكليما ، أكد بالمصدر لنفى المجاز ، لأن العرب لا تؤكد بالمصدر إلا إذا أرادت الحقيقة ، وفيها دليل على أن الله لم يزل متكلميها إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء ، وفيها دليل على أن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما فكلام الله سبحانه وتعالى قديم النوع حادث الاحاد ، وتقدمت الإشارة إلى أن كلامه سبحانه وتعالى نوعان :
كونى قدرى به توجد الاشياء كما قال سبحانه « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . » الثانى كلام دينى شرعى ومنه كتبه المنزلة على رسله ، وهو الذى تكلم بها حقا وليست مخلوقه ، بل هي من جملة صفاته وصفاته سبحانه غير مخلوقه كما تقدم فى حديث خوله وبه استدلل الإمام أحمد وغيره على أن كلام الله غير مخلوق لأنه أمر بالاستعاذة بكلمات الله والاستعاذة بالمخلوق شرك فدل على أن كلام الله غير مخلوق وتكليمه سبحانه وتعالى لعباده نوعان :

(ونادينه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا — وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين — وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة — ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين)

الأول : بلا واسطة كما كلم موسى بن عمران وكما كلم الأبوين وكذا نادى نبينا ليلة الإسراء .

الثاني : تكليمه سبحانه لعباده بواسطة ، إما بالوحي الخاص للأنبياء وإما بإرساله إليهم رسولا يكلمهم من أمره بما شاء .

وفي الآيات المتقدمة أيضا دليل على أن الكلام المضاف إليه سبحانه وتعالى من صفاته الذاتية من حيث تعلقها بذاته واتصافه بها ، ومن صفاته الفعلية حيث كانت متعلقة بقدرته ومشيئته .

قوله (ونادينه) أى نادينا موسى وكلناه بقوله : يا موسى إني أنا الله ، وقوله (الطور) هو اسم جبل بين مصر ومدين ، وقوله (الايمن) أى الذى بلى يمين موسى حين أقبل من مدين ، قوله (وقربناه نجيا) أى مناجيا .

وقوله « وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين » وقوله « وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة » أى نادى آدم وحواء .

وقوله « ويوم يناديهم ماذا أجبتم المرسلين » قال بعض السلف ما من فعلة وإن صغرت إلا وينشر لها ديوانان لم وكيف ، أى لم فعلت وكيف فعلت ، فالأول سؤال عن الإخلاص والثانى سؤال عن المتابعة ، فان الله لا يقبل عملا إلا بهما ، فطريق التخلص من السؤال الأول بتجريد الإخلاص وطريق التخلص من السؤال الثانى بتحقيق المتابعة ، انتهى من الإغانة . وقال بعض السلف كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرين : ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين ؟ فيسأل عن المعبود وعن العبادة .

أفادت هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله وأنه نادى وناجى ، وقد جاء النداء

في تسع آيات من القرآن وكذلك النجاء جاء في عدة آيات والنداء هو الصوت الرفيع وضده النجاء ففيها إثبات أن الله يتكلم بحرف وصوت يليق بمجلاه إذ لا يعقل النداء والنجاء إلا ما كان حرفاً وصوتاً ، وقد استفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة بذلك ، وقال ابن القيم رحمه الله في النونية :

والله قد نادى الكليم وقبلة سمع النداء في الجنة الابوان
وأتى النداء في تسع آيات له وصفا فراجعها من القرآن
أيصح في عقل وفي نقل ندا ليس مسموحا لنا بأذان
أم أجمع العلماء والعقلاء من أهل اللسان وأهل كل لسان
إن النداء الصوت الرفيع وضده فهو النجاء كلاهما صوتان
وفي هذه الآيات أيضا الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى ، إذ المعنى
المجرد لا يسمع .

وقد رد الشيخ تقي الدين على من زعم ذلك من تسعين وجهاً ، قال ابن القيم في النونية :
تسعون وجهاً بينت بطلانه أعنى كلام النفس ذى البطلان
قال بعض العلماء : من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى فقد زعم أن الله لم يرسل
رسولا ولم ينزل كتابا ، وقال من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى فقد زعم أن الله
أخرس ، وقال ابن حجر رحمه الله في شرح البخارى : ومن نفى الصوت فقد زعم أن
الله لم يسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلاما بل ألهمهم إياه إلهاما ، وفيها الرد
على من زعم أن كلام الله هو معنى قائم بذاته لا يتجزأ ولا يتبعض ، فان الأمر لو
كان كما زعموا لكان موسى عليه السلام سمع جميع كلام الله ، وفيها الرد على من زعم
أن كلام الله مخلوق ، فان صفات الله داخلية في مسمى اسمه ، فليس الله اسما لذات
لا يسمع لها ولا بصر ولا حياة ولا كلام لها ، فكلامه وعلمه وحياته وقدرته داخلية
في مسمى اسمه ، فهو سبحانه بصفاته الخالق وما سواه المخلوق ، وفي إثبات الكلام

وقوله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)

إثبات الرسالة ، فإذا انتفت صفة الكلام انتفت الرسالة ، إذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل ، ومن ها هنا قال السلف من أنكر كون الله متكلماً فقد أنكر رسالة الرسل كلهم ، والرب سبحانه وتعالى يخلق بقوله وبكلامه كما قال « إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون ، فإذا انتفت حقيقة الكلام عنه فقد انتفى الخلق .

قوله (وإن أحد) أحد مرفوع بفعل يفسره استجارك وقوله (فأجره) أى أمّنه وقوله (حتى يسمع كلام الله) أى حتى يسمع القرآن مبلغاً إليه من قارئه كما قال أبو بكر الصديق حين قرأ على قريش « ألم تغلبت الروم » فقالوا هذا كلامك أو كلام صاحبك ، فقال ليس بكلامى ولا بكلام صاحبى ولكنه كلام الله ، وفى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول : ألا رجل يحملنى إلى قومه لأبلغ كلام ربى فان قريشاً ممنونى أن أبلغ كلام ربى ، فبين أن ما يبلغه ويتلوه هو كلام الله لا كلامه ، وفى الآية دليل على أنه إذا استأمن مشرك ليسمع القرآن وجب تأمينه ليعلم دين الله وتنتشر الدعوة ، ومنها ان رسول الله كان يعطى الأمان لمن جاءه مسترشداً أو فى رسالة كما جاء فى الحديبية جماعة من قريش ، وكذلك من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام فى أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو طلب من الامام أو نائبه أعطي أماناً مادام متردداً فى دار الاسلام حتى يرجع إلى مأمنه ووطنه ، وفيها دليل على إثبات صفة الكلام لله وأنه يتكلم وأن القرآن كلامه ، وفيها دليل على أن الكلام إنما ينسب إلى من قاله ابتداءً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً ، فان القارئ يبلغ كلام الله ، وكلامه سبحانه صفة من صفاته غير مخلوق ، وأما صوت القارئ وكذا المداد والورق فهى مخلوقة لهذه الآية ولحديث يدينوا القرآن بأصواتكم ، فبين أن الأصوات التى يقرأ بها القرآن أصواتنا والقرآن كلام الله ، فالقرآن كلام البارى والصوت صوت القارئ ،

وفي هذه الآية دليل على أن القرآن الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات هو عين كلامه سبحانه حقاً لا تأليف ملك ولا بشر ، وأن جروفه ومعانيه هي كلامه سبحانه الذي تكلم به سبحانه حقاً ، وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ ، وبلغه محمد ﷺ إلى الرسل من بعده (وإنه لقول رسول كريم) إضافة تبليغ وأداء لا إضافة وضع وإنشاء لا كما يقوله أهل الزيغ والافتراء ، وفيه الرد على من زعم أن هذا الموجود بين أيدينا هو عبارة عن كلام الله أو حكاية له ، فإنه سبحانه أخبر أن الذي يُسمع كلام الله ، وعندما أن الذي يُسمع ليس كلام الله على الحقيقة ، وإنما هو مخلوق حكى به كلام الله على أحد قلوبهم وعبارة عبر بها عن كلام الله على القول الآخر ، وهي مخلوقة على القولين ، فالمقروء المكتوب والمسروع والمحفوظ ليس كلام الله ، وإنما هو عبارة عبر بها عنه كما يعبر عن الذي لا ينطق ولا يتكلم من أخرس أو عاجز ، تعالى الله عن قولهم حلواً كبيراً وفيه دليل على أن القرآن كلام الله وأنه يُسمع وأنه غير مخلوق ، وفيها الرد على من زعم أنه مخلوق أو أنه كلام بشر أو ملك أو غير ذلك ، وفيها أن من زعم أنه كلام غير الله فقد كفر أو زعم أنه مخلوق .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : ولم يقل أحد من السلف أنه مخلوق أو أنه قديم ، بل الآثار متواترة عن السلف من الصحابة والتابعين هم بإحسان أنهم يقولون القرآن كلام الله ، وأول من عرف عنه أنه قال مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان ، وأول من هرف عنه أنه قال هو قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب ، أما السلف فلم يقل أحد منهم بواحد من القولين ، ولم يقل أحد من السلف إن القرآن عبارة عن كلام الله ولا حكاية له ، ولا قال أحد منهم أن لفظي بالقرآن قديم أو مخلوق ، بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله ، والناس يقرأونه بأصواتهم ويكتبونه بمدادهم وما بين اللوحين كلام الله وكلام الله

وقوله تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون -- يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا

غير مخلوق ، والمداد الذى يكتب به القرآن مخلوق والصوت الذى يقرأ به هو صوت العبد ، والعبد وصوته وحركاته وسائر صفاته مخلوقة ، فالقرآن الذى يقرأه المسلمون كلام البارئ والصوت صوت القارئ ، انتهى .

قال البخارى رحمه الله فى كتاب خلق أفعال العباد بعد أن ذكر هذه الآية والاية التى بعدها ، أى قوله سبحانه (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) وقوله (والطور وكتاب مسطور فى رق منشور) قال قد ذكر الله أن القرآن يحفظ ويسطر والقرآن الموعى فى القلوب المسطور فى المصاحف المتلو باللسنة كلام الله ليس بمخلوق ، وأما المداد والورق والجلد فانه مخلوق ، انتهى من فتح البارئ .

قوله (فريق) أى طائفة (منهم) أى أحبارهم (يسمعون كلام الله) أى التوراة قوله (ثم يحرفونه) أى يغيرونه ويتأولونه على غير تأويله (من بعد ما عقلوه) أى فهموه (وهم يعلمون) أى أنهم مفكرون ، وإذا كان هذا حال علمائهم فكيف يجاهلون . فى هذه الآية التأييد من إيمان اليهود الذين شاهد آبائهم ما شاهدوا ، ثم قست قلوبهم ولم ينفعهم ما شاهدوه ، وفيها ذم للمحرفين للكلم عن مواضعه وأن التحريف من صفات اليهود ، وأفادت هذه الآية كغيرها إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى والرد على من زعم أن الله لا يتكلم أو أن كلامه مخلوق ، وفيها دليل على أن الكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً ، فان قوله (يسمعون كلام الله) أى من قارئه ومبلغه .

قوله (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أى مواعيده بغنائم خبير ، أهل الحديدية خاصة لا يشاركون فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين ، فلا يقع غير ذلك شرعاً ولا قدرأً ، ولهذا قال (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وهو الوعد الذى وعد به أهل الحديدية ، اختاره ابن جرير . قوله « قل لن تتبعونا » أى فى خبير وهذا خبر بمعنى النهي

كذلك قال الله من قبل — وأتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته)

قوله (كذلك قال الله من قبل) أى من قبل هودنا من قبل انصرافنا من مكة إلى المدينة أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة دون غيرهم .
أفادت هذه الآية كغيرها إثبات صفة الكلام وإثبات القول لله سبحانه وتعالى وأنه قال ويقول متى شاء إذا شاء .

قوله (وأتل) أى اتبع والتلاوة هى الاتباع ، يقال اتل أثر فلان وتلوت أثره وقفوته وقصصته بمعنى تبعت خلفه ، ويسمى تالى الكلام تالياً لأنه يتبع بعض الحروف بعضاً لا يخرجها جملة واحدة ، وحقيقة التلاوة فى هذا الموضع وغيره هى التلاوة المطلقة التامة ، وهى تلاوة اللفظ والمعنى ، انتهى ملخصاً من كلام ابن القيم .
قوله (ما أوحى إليك) الوحي لغة الإعلام فى خفاء ، وفى الاصطلاح اعلام الله أنبياءه بالشيء ، إما بكتاب أو رسالة ملك أو منام أو إلهام .

قوله (من كتاب ربك) أى القرآن بدليل قوله « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن — إلى قوله — إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى » الآية والمسموع واحد . والكتاب فى الأصل جنس ثم غلب على القرآن من بين الكتب انتهى ، الكوكب المنير ملخصاً .

قوله (لا مبدل لكلماته) أى لا تغير ولا تبدل كما قال سبحانه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فى هذه الآية كغيرها دليل على أن الكتاب هو القرآن خلافاً للكلاية فإن الله سبحانه معى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنًا وكتاباً وكلاماً كما تقدم فى قوله « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن » الآية ، فبين أن الذى معموه هو القرآن وهو الكتاب ، وقال تعالى « تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » وفى الآية المتقدمة دليل على أن القرآن منزل من عند الله وأنه كلامه ، وفيها الحث على تلاوته وأنه سبحانه ضمن حفظه من التغير والتبديل .

وقوله تعالى (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه مختلفون— وهذا كتاب أنزلناه مبارك — لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله — وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل

قوله (إن هذا القرآن) مصدر قرأ أى جمع لجمعه السور أو مافى الكتب السابقة .
قوله (يقص) أى يبين (على بني إسرائيل) وهم حملة التوراة (أكثر الذي هم فيه مختلفون) وذلك كاختلافهم فى أمر عيسى وتباينهم فيه ، فجاء القرآن بالقول العدل الحق أنه عبد من عباد الله ونبي من أنبيائه ، وفى الآية دليل على عظمة هذا الكتاب وهيمته على الكتب السابقة ، وتوضيحه لما وقع فيها من اشتباه ، وإضافة القصاص والتوضيح إليه وتضمن وجوب الرجوع إليه واتباعه .

قوله (وهذا كتاب) أى القرآن (مبارك) أى كثير المنافع والخير .
قوله (لرأيته خاشعا) أى متذللا « متصدعا » أى متشققا ، فإذا كان القرآن لو أنزل على جبل لخضع وتصدع من خوف الله فكيف يليق بكم أبها الناس أن لا تلبن قلوبكم وتخضع من خوف الله وقد فهمتم عن الله أمره ونهيه وتدبرتم كتابه ، وفى الآية دليل على عظمة القرآن وأنه لو أنزل على جبل لخضع وتصدع من خشية الله ، وفيها دليل على أنه سبحانه خلق فى الجادات إدراكا بحيث تخضع وتسبح ، وهذا حقيقة كما دلت على ذلك الأدلة ولا يعلم كيفية ذلك إلا هو سبحانه ، وفيها حث على الخوف من الله والخشوع عند سماع كلامه ، وأنه ينبغي أن يقرأ بتدبر وخشوع وإقبال قلب وأنه ينبغي الرقة عند سماع كلام الله والبكاء وتلاوته بحزن .

قوله « وإذا بدلنا آية مكان آية » أى نسخناها وأنزلنا غير ما لمصلحة العباد .
قوله « والله أعلم بما ينزل » أى هو سبحانه وتعالى أعلم بما هو أصلح لخلقهم فيما ينزل وينسخ من أحكامه ، وفى الآية دليل على وقوع النسخ فى القرآن وأنه لحكمة ومصلحة يعلمها سبحانه ، فهو أعلم بمصلحة عباده ، وفيها دليل على إحاطة علمه سبحانه بكل معلوم .

قالوا إنما أنت متهمل لا تعلمون — قل نزله روح القدس من ربك

قوله (قالوا) أى الكفار (إنما أنت متهمل) أى كذاب (بل أكرم لا يعلمون) أى لا يعلمون الحكمة فى ذلك .

قوله (قل نزله) أى القرآن ، وال تنزيل والإ نزال هو مجيئ الشيء من أعلا إلى أسفل (روح القدس) أى جبريل عليه السلام ، فجبريل سمعه من الله والنهى ﷺ سمعه من جبريل ، وهو الذى نزل بالقرآن على محمد ﷺ كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة ، وجبريل هو الروح الامين المذكور فى قوله سبحانه (نزل به الروح الامين على قلبك) الآية .

ولم يقل أحد من السلف أن النهى ﷺ سمعه من الله ، وإنما قال ذلك بعض المتأخرين ، والآية ترد عليه . قال ابن حجر رحمه الله فى شرح البخارى : والمنقول عن السلف اتفاقهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، تلقاه جبريل عن الله وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ وبلغه محمد إلى أمته ، انتهى

ففى هذه الآيات دليل على أن القرآن منزل من عند الله وأنه كلامه بدأ منه وظهر لا من غيره ، وأنه الذى تكلم به لا غيره ، وأما إضافته إلى الرسول فى قوله « وإنه لقول رسول كريم » فأضافة تبليغ لا إضافة إنشاء ، والرسالة تبليغ كلام المرسل ، ولو لم يكن للمرسل كلاما يبلغه الرسول لم يكن رسولا ، ولهذا قال غير واحد من السلف من أنكر أن يكون الله متكلاما فقد أنكر رسالة رسوله ، فإن حقيقة رسالتهم تبليغ كلام المرسل ، وفيها دليل على علو الله على خلقه ، وال تنزيل والإ نزال المذكور فى القرآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام : إنزال مطلق كقوله « وأنزلنا الحديد »

الثانى : إنزال من السماء كقوله « وأنزلنا من السماء ماء طهورا »

الثالث : إنزال منه سبحانه كقوله « قل نزله روح القدس من ربك »

فأخبر أن القرآن منزل منه والمطر منزل من السماء والحديد منزل نزولا سطقا ، ففرق سبحانه بين النزول منه والنزول من السماء ، وحكم الجبرور بمن فى هذا الباب

حكم المضاف ، والمضاف ينقسم إلى قسمين : إضافة أعيان وإضافة معان ، فإضافة الأعيان إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه ، كبيت الله وناق الله ونحو ذلك ، أما إضافة المعاني إلى الله سبحانه وتعالى فهي من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، كسمع الله وبصره وعلمه وقدرته ، فهذا يمتنع أن يكون المضاف مخلوقاً بل هو صفة قائمة به وهكذا حكم المجرور بمن ، فإضافة القرآن إليه سبحانه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف لا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه خلافاً للمبتدعة من المعتزلة والجمعية وأشباههم ، وفي هذه الآية الرد على من زعم أن القرآن مخلوق أو أنه كلام بشر وغيره ، فمن زعم ذلك فهو كافر بالله العظيم ، كما روى ذلك عن السلف وفيها دليل على أن جبريل نزل به من عند الله ، فإنه روح القدس وهو أيضاً الروح الأمين ، وفي قوله الأمين دليل على أنه مؤتمن على ما أرسل به ، فلا يزيد عليه ولا ينقص ، وفيها دليل على أن الرسول ﷺ مسموع من جبريل وهو الذي نزل به عليه من عند الله وجبريل مسموع من الله والصحابة مسموعون من النبي ﷺ ، وفيها الرد على من قال أن النبي ﷺ مع القرآن من الله ، وفيها الدلالة على بطلان قول من قال أنه مخلوق خلقه الله في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجمعية القائلين بخلق القرآن ، وفيها الدلالة على بطلان قول من قال إنه فاض على النبي ﷺ من العقل الفعال أو غيره كما يقوله طوائف من الفلاسفة والصابئة ، وهذا القول أشد كفراً من الذي قبله ، وفيها الدليل على بطلان قول من يقول إن القرآن العربي ليس منزلاً من الله بل مخلوق إما في جبريل أو محمد أو جرم آخر كالهواء ، كما يقول ذلك السكلاوية والاشعرية القائلين بأن القرآن العربي ليس هو كلام الله ، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته ، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ، وهذا يوافق قول المعتزلة ونحوهم في إثبات خلق القرآن ، وفيها أن السفير بين الله ورسوله محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام ، وفيها الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى ، فإن جبريل مسموع من

بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين — ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر

الله والمعنى المجرد لا يسمع ، وفيها دليل أن القرآن نزل باللغة العربية وتكلم الله سبحانه بالقرآن بها ، وفيها الرد على من زعم أنه يجوز ترجمة القرآن باللغات الأعجمية لأن القرآن معجز بلفظه ومعناه .

قوله (بالحق) أى بالصدق والعدل (ليثبت الذين آمنوا) أى يزيدهم يقيناً وإيماناً قوله (وهدى) أى بيان ونور وبصيرة ويطلق الهدى ويراد به ما يقر في القلب من الإيمان ، وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله ، قال تعالى « إنك لا تهدي من أحببت » الآية ، ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد إليه قال تعالى « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » انتهى من ابن كثير ، وخصصت الهداية بالمسلمين لاختصاصهم بالنفع بالقرآن لأنه هو بنفسه هدى ولكن لا ينافه إلا الأبرار كما قال تعالى « هدى للمتقين »

قوله (وبشرى) البشرى والبشارة هو أول خير سار ، والبشرى يراد بها أمران أحدهما بشارة الخير والثاني سرور الخير ، قال تعالى « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » فسرت البشرى بهذا وهذا . قيل ومميت بشرى لأنها تؤثر في بشرة الوجه ولذلك كانت نوعين : بشرى سارة تؤثر فيه نضارة وبهجة ، وبشرى محزنة تؤثر فيه سوءاً وعبوساً ، ولكن إذا أطلقت كانت للسرور ، وإذا قيدت كانت بحسب ما قيدت به ، أما البشارة بالفتح فهي نضارة الوجه وحسنه ، وأما البشارة بالضم فهو ما يعطاه المبشر .

قوله (ولقد نعلم أنهم يقولون) أى كفار مكة (إنما يعلمه بشر) والبشر الإنسان ذكر آ كان أو أنثى وهو في الأصل جمع بشرة وهو ظاهر الجلد ، مموه بشرأ لظهور أبشارهم خلافاً لغيرهم من الحيوان ، أى أن الذى يُعلم النبي ﷺ آدمى ، وذلك أن النبي ﷺ كان يجلس إلى رجل أعجمي في مكة ، وكان ذلك الرجل يقرأ في السكتب

لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

السابقة ، فقالت قريش إن هذا الرجل كان يعلم محمداً ، فأكذبهم الله سبحانه وتعالى بقوله « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين »

قوله (لسان) أى لغة (الذي يلحدون إليه) أى يميلون ويشيرون إليه أنه يُعلم محمداً ﷺ أعجمي أى لا يتكلم بالعربية ، والعجمي المنسوب الى العجم وان كان فصيحاً قوله (لسان) أى لغة كما فى هذه الآية ، وفى قوله سبحانه « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » ويطلق اللسان ويراد به الذِّكر الحسن كما قال تعالى عن ابراهيم « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » ويطلق ويراد به الجارحة كما قال سبحانه « لا تحرك به لسانك » الآية

قوله (وهذا لسان عربي مبين) أى وهذا القرآن لسان عربي مبين ، أى بيّن واضح فكيف يكون الذى يقوله أعجمي

قوله (وجوه يومئذ ناضرة) أى وجوه المؤمنين (يومئذ) أى يوم القيامة (ناضرة) بالضاد من النضارة وهى البهاء والحسن ومنه نضرة النعيم ، وروى ابن مردويه بسند الى ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ فى قوله « وجوه يومئذ ناضرة » قال من الحسن والبهاء « إلى ربها ناظرة » قال فى وجه الله .

قوله (الى ربها ناظرة) من النظر بالعين فيرونه سبحانه فى عرصة القيامة ، ويراه المؤمنون فى الجنة ، ولا يجوز حمل النظر هنا بمعنى الانتظار الى ثواب الله فانه معدى بالي ولا يمدى بالى الا اذا كان بمعنى النظر بالعين ، وأيضاً فلا انتظار لا يليق فى دار القرار ، فهذه الآية صريحة فى أن الله يُرى عياناً بالابصار يوم القيامة ، وفيها الرد على من زعم أن معنى ناظرة أى منتظرة ثواب ربها لأن الأصل عدم التقدير ، ولأن النظر المعدى بالى لا يكون الا بمعنى النظر ، لا سيما وقد ذكر الوجه الذى هو محل النظر ، وقد توارث الأدلة فى اثبات النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى .

قال ابن القيم رحمه الله في النونية :

ويرويه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم ينكره إلا فاسد الايمان
وقال ابن حجر :

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتا واحسب
ورؤية ، شفاعاة والحوض ومسح خفين وهذى بعض
وفي هذه الآية دليل على أن هذه الرؤية خاصة بالمؤمنين ، وفيها دليل على أن
الرؤية تحصل للمؤمنين يوم القيامة دون الدنيا ، ولم يثبت أن أحداً رآه سبحانه في
الدنيا ، قال الله في حق موسى عليه السلام « قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني »
أى في الدنيا ، وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « إنكم لن تروا ربكم حتى
تموتوا » واختلف السلف واختلف هل حصلت الرؤية لنبيينا محمد ﷺ ؟ فالأكثر
على أنه لم يره سبحانه وحكاه عثمان بن سعيد الدارمي بإجماع الصحابة ، قال ابن القيم
رحمه الله : والناس في إثبات الرؤية وعدمها طرفان ووسط ، قسم غلوا في إثباتها
حتى أثبتوها في الدنيا والآخرة ، وهم الصوفية وأضرابهم ، وقسم نفوها في الدنيا
والآخرة وهم الجهمية والمعتزلة ، والوسط هم أهل السنة والجماعة الذين أثبتوها في
الآخرة فقط حسبما تواترت به الأدلة ، انتهى

قوله (على الأرائك ينظرون) الأرائك جمع أريكة وهي السرر نحت الحجال .
قوله (ينظرون) أى ينظرون إلى وجه الله ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار
في قوله « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله
وهم على سرهم وفرشهم وعن أولئك الفجار أنهم محجوبون عن رؤيته ، وقد استدل
الملاء بهذه الآية ، أى قوله « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » على إثبات رؤية الله
قالوا لأنه لما حجب أعداءه عن رؤيته دل على أن أوليائه يرونه .

وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة — لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد)
وهذا الباب

قوله (أحسنوا) أى فى أعمالهم ، وقد تقدم الكلام على هذا الإحسان
قوله (الحسنى) أى الجنة (وزيادة) وهى النظر إلى وجه الله كما فسرهما رسول الله
ﷺ والصحابه ، ولما عطف الزيادة على الحسنى دل على أنها جزاء آخر وراء الجنة
وقدر زائد عليها ، وثبت فى صحيح مسلم عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى
وجه الله الكريم .

قال ابن رجب رحمه الله : وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان ، لأن الإحسان
هو أن يعبد المؤمن ربه على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه فى
حال عبادته ، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى عياناً فى الآخرة
وعكس هذا ما أخبر به عن جزاء الكفار أنهم عن ربهم محجوبون ، وذلك جزاء
لحالهم فى الدنيا ، وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حجبته عن معرفته فى الدنيا ،
فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته فى الآخرة ، انتهى

قوله (لهم ما يشاءون فيها) أى فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ، كما فى حديث أبى هريرة عن النبي ﷺ قال : قال الله سبحانه
وتعالى « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر » ثم قرأ « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »
رواه البخارى .

قوله (ولدينا مزيد) وهو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى كما قال ذلك على بن
أبى طالب وأنس وغيرهم : أفادت الآيات إثبات الرؤية وأنها خاصة بيوم القيامة ،
وأن رؤية الله سبحانه وتعالى من أجل نعيم الجنة وأعظمه . اهـ

قوله (وهذا الباب) أى باب معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وما يستحقه
سبحانه من إفراده بالعبادة وترك عبادة ما سواه .

في كتاب الله كثير ، من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق .

قوله (في كتاب الله كثير) فقد أفصح القرآن عنه كل الإفصاح ، وأغلب سور القرآن متضمنة لذلك بل كل سورة من القرآن ، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلي الخبري ، وإما دعوة إلى عبادته وحسبده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه وهو التوحيد الظلي ، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرامه لا هل توحيدته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيدته ، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في العقبي من العذاب فهو جزاء من خرج من توحيدده ، والقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي الشرك وأهله وجزائهم ، فلا نجد كتاباً قد تضمن من البراهين والادلة على هذه المطالب العالية ما تضمنه القرآن بأسلوب واضح جلي فالفاظ القرآن أفصح الالفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها ، فلا نجد كلاماً أحسن تفسيراً ولا أتم بياناً من كلامه سبحانه ، ولهذا سماه بياناً خلافاً لمن زعم أن كلام الله ورسوله لا يفيد العلم بشيء من أصول الدين ولا يجوز أن تستفاد معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله منه وعبر عن ذلك بقوله الادلة اللفظية لا تفيد اليقين . قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : وزعم قوم من غالبية أهل البدع أنه لا يصح الاستدلال بالقرآن أو الحديث على المسائل القطعية بناء على أن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين كما زعموا وزعم كثير من أهل البدع أنه لا يستدل بالأحاديث المتلقاة بالقبول على مسائل الصفات والقدر ونحوها مما يطلب فيه القطع واليقين . اهـ

قوله (من تدبر القرآن) أى تفكر فيه ، والفكر هو إعمال النظر في الشيء ، وقد جاء في الكتاب والسنة الحث على التدبر والتفكر ، قال تعالى « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب » وقال تعالى « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » إلى غير ذلك من الآيات الحاثية على التدبر وتفهم معاني القرآن وفيها الرد على من زعم أنه لا وصول إلى ذلك وأن باب الفهم عن الله وعن رسوله قد

﴿ فصل في سنة رسول الله ﷺ ﴾

فالسنة تفسر القرآن

أغلق وباب الاجتهاد قد سد ، وهذا قول باطل ترده أدلة الكتاب والسنة .
قوله (طالباً للهدى) أى الرشاد (تبين له) أى اتضح (طريق) أى سبيل .
قوله (الحق) وهو ضد الباطل .

(الفصل) لغة الحاجز بين الشيئين ، واصطلاحاً هو اسم لجملة من العلم تحته فروع ومسائل غالباً . لما ذكر المؤلف أدلة الكتاب أتبعها بأدلة السنة جرياً على عادة السلف الصالح رحمهم الله واتباعهم فانهم كانوا يذكرون الايات فى الباب ثم يتبعونها بالاحاديث الموافقة لما كما فعل البخارى ومن قبله ومن بعده من المصنفين فى السنة يجمعون على احاديث النزول والرؤية والتكليم والوجه واليدين والايان ونحو ذلك بما فى القرآن ويشبثون بذلك اتفاق دلالة القرآن والسنة عليها ، وأنهما من مشكاة واحدة ولا ينكر ذلك من له أدنى معرفة وإيمان ، فان السنة كالكتاب فى إفادة العلم واليقين وفى وجوب القبول واعتقاد ما تضمنته خلافاً لما عليه أهل البدع الذين قالوا لا يحتج بكلام رسول الله ﷺ على شئ من الصفات وقالوا فى تلك الادلة انها ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، وزعموا أن الذى يفيد اليقين هو نحاتة أفكارهم وسفالة أذهانهم ، وهذا إبطال لدين الاسلام رأساً .

قوله (سنة رسول الله) السنة لغة الطريقة ، وعرفاً هى أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته ، وتطلق السنة تارة على ما يقابل القرآن كما هنا وكما فى حديث « يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله » فان كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة » وتطلق تارة على ما يقابل الفرض وغيره من الاحكام الخمسة ، وربما لا يراد بها إلا ما يقابل الفروض كفروض الوضوء وسننه ، وتطلق تارة على ما يقابل البدعة ، فيقال أهل السنة والبدعة .

قوله (فالسنة تفسر القرآن) أى تبينه وتوضحه ، والتفسير فى الاصل هو الكشف

والإيضاح وفي الاصطلاح توضيح معنى الآية وشأنها والسبب الذي أنزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة ، انتهى من التمرينات .
فتفسير اللفظ تبين معناه وتوضيحه ويكون بذكر لفظ أوضح من المفسر ويكون أيضاً بذكر ضد الشيء كما قيل :

والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تبين الأشياء
فإن النبي ﷺ بين لأصحابه القرآن ، لفظه ومعناه ، فبأنهم معانيه كما بلغهم ألفاظه ، ولا يحصل البيان والبلاغ المقصود إلا بذلك كما قال سبحانه وتعالى (لتبين للناس ما نزل إليهم)

وأيضاً فإن الله أنزل على نبيه الحكمة كما أنزل القرآن ، والحكمة هي السنة كما قاله غير واحد من السلف ، وقال ﷺ « ألا وإنني أوتيت الكتاب ومثله معه » رواه أصحاب السنن من حديث المقدم بن معدى كروب ، وقال سبحانه (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) وإنما يحسن الاستدلال على معاني القرآن بما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ثم يتبع ذلك بما قاله الصحابة والتابعون وأئمة الهدى ، ولا شك أن تفسير القرآن بهذه الطريقة خير مما هو مأخوذ عن أئمة الضلال وشميوخ التجهم والاعتزال الذين أحدثوا في الإسلام بدعاً وضلالات وفرقوا دينهم وكانوا شيعاً ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم .

قوله (وتبينه) أى توضحه وتكشف معناه ، والبيان اصطلاحاً قيل هو إخراج المعنى من حيز الاشكال إلى حيز التجلي والوضوح ، فالسنة كما أشار إليها المؤلف تبين مجمل الكتاب كما فى الصلاة والصوم والحج والبيع ، وغالب الاحكام التى جاء تفصيلها فى السنة والبيان يحصل بالقول بالفعل وبالأقرار على الفعل .

قال ابن القيم رحمه الله : وبيان النبي ﷺ أقسام ، بيانه لألفاظ الوحي ومعانيه بقوله

وتدل عليه وتعبّر عنه وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الاحاديث الصحاح

أو فعله أو إقراره بيان للقرآن، وبيان ابتدائي يبتدىء الناس أو يسألونه ، وبيانه بالقول والفعل لمجملات القرآن ، انتهى

قوله (وتدل عليه) من الدلالة بكسر الدال وفتحها ، وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه واسم الفاعل دال ودليل وهو المبين والكاشف ، ودلالة اللفظ الوضعيه تنقسم إلى ثلاثة أقسام : دلالة مطابقة ودلالة تضمن ودلالة التزام ، فدلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على تمام المعنى الذى وضع له ، كدلالة الرجل على الانسان الذكر ودلالة المرأة على الانسان الانثى وسميت مطابقة لتطابق الفهم والوضع فيها ، ودلالة التضمن هي دلالة اللفظ على جزء مسماه ، كدلالة لفظ الاربعة على الواحد ربعا ، وسميت تضمناً لأن بعض المعنى مفهوم من ضمن كله ضرورة ، ودلالة الالتزام هي دلالة اللفظ على خارج من مسماه ولازم لذلك المعنى كلزوم الزوجية للفظ أربعه .

قوله (وتعبّر عنه) أى تبين وتعرّب ، يقال هو عبارة عن كذا أى بمعناه ومساو له فى الدلالة ، فظهر مما تقدم أن السنة تفسر القرآن وتبين مجمله وتقيّد مطلقه إلى غير ذلك . قال ابن اليم رحمه الله : السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تكون موافقة له من كل وجه فيكون توارد الكتاب والسنة على الحكم من باب توارد الأدلة وتضافرها . الثانى : أن تكون بيان لما أريد بالقرآن وتفسير له . الثالث : أن تكون موجبة لحكم سكّت القرآن عن إيجابه أو تحريم ما سكّت القرآن عن تحريمه ولا تخرج عن هذه الأقسام .

قوله (وما وصف به الرسول ربه عز وجل من الاحاديث) جمع حديث وهو لغة ضد القديم ، واصطلاحاً ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً .

قوله (الصحاح) من الصحة هو لغة ضد السقم ، واصطلاحاً هو ما نقله العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة ، فهو ما جمع خمسة شروط : عدالة الرواة وضبطهم واتصال السند ، وأن لا يكون فيه شذوذ ، وأن لا يكون فيه علة ، وهذه

التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك

الشروط شروط الصحيح لذاته أما الصحيح لغيره ، فهو ما اختلف فيه شرط من هذه الشروط ولكن انجبر بمجيئه من طرق أخرى وحكم الصحيح القبول .
قوله (تلقاها) أى قبلها وأخذها ، يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه .

قوله (أهل المعرفة) أى أهل العلم بالحديث ، وهم علماء الحديث العالمون بأحوال نبيهم الضابطون لأقواله وأفعاله ، والمعتنون بها ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين وغيرهم ، فان الاعتبار فى كل علم بأهل العلم به دون غيرهم .

فهذه الأخبار تفيد العلم عند من له عناية بمعرفة ما جاء به الرسول ﷺ ومعرفة أحوال دعوته على التفصيل ، فان أهل الحديث لهم فقه خاص فى الحديث مختصون بمعرفته كما يختص البصير فى معرفة النجوم ، جيدها ورديتها ، خالصها ومشوبها ، وقد امتحن غير واحد من هؤلاء العلماء فى زمن أبى زرعة وأبى حاتم فوجد الأمر على ذلك ، فقال السائل : أشهد أن هذا العلم إلهام ، قال الأعمش : كان إبراهيم النخعي صيرفياً فى الحديث ، كنت أسمع من الرجال فأعرض عليه ما سمعته ، وقال الأوزاعي كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما نعرض الدرهم الزائف على الصيارف ، فما عرفوا أخذنا وما أنكروا تركنا ، وقد روى مثل هذا عن أحمد بن حنبل وغيره .

قوله (المعرفة) المعرفة فى اللغة بمعنى العلم ، قال فى شرح مختصر التحرير : يطلق العلم ويراد به معنى المعرفة ويراد بها العلم ، وذكر ابن القيم رحمه الله فروقاً بين العلم والمعرفة لفظية ومعنوية فاللفظية أن فعل المعرفة يقع على مفعول واحد ، تقول عرفت الدار ، وفعل العلم يقتضى مفعولين ، كقوله (وإن علمتموه مؤمنات) الآية ، وإن وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة كقوله (وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم) وأما الفروق المعنوية فذكر عدة فروق منها أن المعرفة تتعلق بذات الشيء ، والعلم يتعلق بأحواله ، فتقول عرفت أباك وعلمته صالحا ، وساق عدة فروق فى المدارج .
قوله (بالقبول وجب الإيمان بها كذلك) أى كما يجب الإيمان بالقرآن ، فان الله

أنزل على رسوله وحيمين ، فأوجب على عباده الإيمان بها والعمل بما فيها وما الكتاب والسنة ، قال تعالى (وأنزل عليك الكتاب والحكمة) والحكمة هي السنة باتفاق السلف ، وما أخبر به الرسول ﷺ عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب على لسان رسوله ، وهذا أصل متفق عليه بين علماء الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم .

وفي السنن من حديث المقدم بن معدى كرب أن رسول الله ﷺ قال « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » فهذه الأخبار التي زعم هؤلاء أنه لا يستفاد منها علم نزل بها جبريل من عند الله كما نزل بالقرآن ، قال تعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) انتهى من الصواعق باختصار .

والمقبول في هذا الباب من أنواع السنة أربعة أنواع كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله في الصواعق (الأول) ما تواتر لفظاً ومعنى (الثاني) ما تواتر معنى (الثالث) أخبار مستفيضة متلقاة بالمقبول (الرابع) أخبار آحاد ثبتت بنقل العدل الضابط عن مثله ، فهذه الأنواع هي المقبولة في باب العمليات ، فإن هذا الباب لا يفتى إلا على ما ثبت بطريق لا كلام فيه ، فهذه الأنواع الأربعة مفيدة للعلم واليقين موجبة للعلم والعمل جميعاً .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : الذي عليه الأصوليون من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقه له وعمله به يوجب العلم إلا فرقة قليلة اتبعوا طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك ، وقال في السكوك المنير : ويعمل بأحاديث الأحاديث في أصول الديانات ، وحكى ذلك ابن عبد البر رحمه الله إجماعاً ، قال الامام أحمد رحمه الله : لا تتمدى القرآن والحديث ، وقال العلامة بن قاضي الجبل : مذهب الحنابلة أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات ، ذكره أبو يعلى والشيخ تقي الدين في عقيدته ، والادلة على

مثل قوله ﷺ « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له » متفق عليه

قبول خبر الآحاد كثيرة جداً ، وقد ذكر ابن القيم هذا القول في كتابه الصواعق وأفاض في ذكر الأدلة على ذلك ، وكذلك ذكره في التونية ، وقال ابن القاص لاختلاف بين أهل الفقه في قبول خبر الآحاد ، انتهي

قوله (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) الحديث ، هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة .

هذا مما تواترت فيه الأدلة عن رسول الله ﷺ ، فرواه نحو من ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة عن النبي ﷺ فينزل سبحانه نزولاً يليق بجلاله وعظمته لا نعلمه ولا نشبهه بنزول خلقه ليس كمثل شيء ، فيجب الإيمان بذلك إيماناً خالياً من التعطيل والتثليل .

قوله (فأستجيب له) بالنصب على جواب الاستفهام ، وقيل بالرفع على الاستئناف وكذا ما بعده ، أفاد هذا الحديث فوائد : الأولى فيه إثبات نزول الرب إلى سماء الدنيا كل ليلة كما يليق بجلاله وعظمته ، فنثبت النزول لله حقيقة ، وأما كنه نزوله وكيفيته فلا يعلمها إلا هو سبحانه كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، وكذلك يقال في النزول والإتيان والمجيء وغير ذلك من صفاته الفعلية والذاتية .
ثانياً : فيه إثبات علو الله سبحانه ، فإن النزول والتزليل والإنزال هو مجيء الشيء والإتيان به من علو إلى أسفل ، هذا هو المفهوم من لغة العرب ، قال تعالى (وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً)

ثالثاً : فيه الرد على الجهمية والمعتزلة المنكرين لنزوله سبحانه وتعالى زعماً منهم أن هذا من مجاز الحذف والتقدير ينزل أمره أو رحمته ، وهذا باطل من وجوه عديدة :
(الأول) أن الأصل عدم الحذف (الثاني) أنه قال من يدعوني فأستجيب له فهل أمره أو رحمته تقول من يدعوني ، هذا مما لا يعقل أن يكون القائل له غير الله ، فلم

يكن إلا نزوله سبحانه بذاته ، هذا هو صريح الأدلة والمقول (الثالث) أنه حدد
 نزوله ثلث الليل الآخر ، ولو كان أمره أو رحمة لم يحدد ذلك بثلاث الليل ، فان
 أمره ورحمة ينزلان كل وقت (الرابع) فيه إثبات أفعال الله الاختيارية
 (الخامس) فيه إثبات القول لله سبحانه وتعالى (السادس) فيه إثبات أن كلامه
 سبحانه بحرف وصوت إذ لا يعقل النداء إلا ما كان حرفاً وصوتاً .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : ومن البدع التي أنكرها أحد في القرآن قول
 من قال أن الله تكلم بغير صوت وأنكر هذا القول وبدع قائله ، وقد قيل إن
 الحارث المحاسبى إنما هجره أحد لأجل ذلك ، انتهي

(السابع) فيه إثبات أن صفة الكلام صفة فعلية كما أنها من الصفات الذاتية أيضاً .
 (الثامن) فيه الرد على الجهمية وأضرابهم القائلين بأنه سبحانه في كل مكان بذاته
 فهو كان في كل مكان لم يقل ينزل ربنا (التاسع) أن صفة النزول من الصفات الفعلية
 ودليله النقل كما تقدم (العاشر) فيه الرد على من زعم أن الذي ينزل ملك من الملائكة
 فان الملك لا يقول : من يسألني فأعطيه ، فان هؤلاء الجهمية المعطلة الذين ينفون نزوله
 سبحانه وينفون كلامه يقولون زعمنا منهم أن هذا مجاز والتقدير في قوله فيقول أى
 فيما أمر ملكا يقول ذلك عنه كما يقال : نادى السلطان ، أى أنه أمر مناديا ، ويقولون
 فيما ثبت أنه قال ويقول وتكلم ويكلم مما لا حصر له كل هذا مجاز ، وقولهم باطل من
 وجوه . منها : أن المنادى عنه غيره ، كمنادى السلطان يقول : أمر السلطان بكذا ،
 لا يقول إني أمرم بكذا وأنها كم عن كذا ، والله سبحانه يقول في تكليمه موسى
 « إني أنا الله لا إله إلا أنا » والحديث فيقول من يدهونى فأستجيب له ، وإذا كان
 القائل ملكا قال كما في الصحيحين : إذا أحب الله عبداً نادى في السماء يا جبريل إني
 أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل وينادى في السماء إن الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه
 أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض ، فقال في نداءه عن الله إن الله يحب فلانا

فأحبوه وفي نداء الرب يقول : من يدعوني فأستجيب له (فان قيل) فقد روى أنه يأمر منادياً فينادى ، قيل هذا ليس في الصحيح ، فان صح أمكن الجمع بين الخبرين بأن ينادى هو ويأمر منادياً ينادى ، أما أن يعارض بهذا النقل الصحيح المستفيض الذى اتفق أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول مع أنه صريح بأن الله هو الذى يقول من يدعوني فأستجيب له فلا يجوز ، انتهى من كلام شيخ الاسلام تقي الدين بتصرف .

(الحادى عشر) فيه دليل على امتداد هذا الوقت أى وقت النزول الإلهى إلى إضائة

الفجر (الثانى عشر) فيه الحث على الدعاء والاستغفار فى جميع الوقت المذكور .

(الثالث عشر) فيه دليل على فضل الدعاء (الرابع عشر) فيه دليل على نفع الدعاء والرد على جملة المتصوفة القائلين بأن الدعاء لا ينفع وهو قول مردود بأدلة الكتاب والسنة مع أدلة العقل ، فان المشركين كانوا يعرفون نفع الدعاء ، قال تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) الآية . فضلاً عن غيرهم

(الخامس عشر) فيه أن الدعاء من أفضل الطاعات ، فلا يجوز صرفه لغير الله ، ومن دعا غير الله فهو مشرك كافر (السادس عشر) الدعاء لغة السؤال والطلب سواء كان بلسان الحال أو بلسان المقال ، فالادعاء ينقسم إلى قسمين : دعاء عبادة ودعاء مسألة . فالأول هو سائر الطاعات من تسبيح وتكبير وتهليل وغير ذلك ، لأن عامل ذلك هو سائل فى المعنى ، والثانى هو دعاء المسألة ، وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضرر .

(السابع عشر) إن الدعاء والاستغفار وغيرهما من أنواع العبادات يختلف فضلها بحسب الزمان والمكان (الثامن عشر) إن ثلث الليل الآخر مظنة الإجابة وإن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ، ويشهد له قوله تعالى (والمستغفرين بالأسحار) وقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) وفيه أن الدعاء فى ذلك الوقت مجاب ، وتختلف الإجابة عن بعض الداعين قد يكون بسبب إخلال ببعض شروط الدعاء .

وقوله ﷺ «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم بإحلقه» الحديث متفق عليه

(التاسع عشر) فيه تفضيل صلاة الوتر آخر الليل لكن ذلك في حق من طمع أن يقوم آخر الليل ، وفيه تفضيل صلاة آخر الليل (العشرون) فيه تعلقه سبحانه بعباده ورحمته بهم وكونه سبحانه يأمرهم بدعائه واستغفاره .

قوله (الحديث) أى اقرأ الحديث على النصب ، والمصنف رحمه الله ذكر الشاهد من هذا الحديث ، ففيه إشارة إلى أنه لا يرى بأساً باختصار الحديث ، وقد صرح علماء الفقه بجوازه بشروط ذكرها علماء الفن في كتبهم .

قوله (متفق عليه) أى رواه البخارى ومسلم ، وهذا من حديث أبى هريرة وأنس رضى الله عنهما ، وفي رواية لمسلم «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فافلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح» انتهى

قال ابن القيم رحمه الله : الفرح لذة تقع في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى ، فيمتلئ من إدراكه حالة تسمى الفرح والسرور ، قال والفرح صفة كمال ، ولهذا يوصف سبحانه بأعلى أنواعه وأكملها ، كفرحه سبحانه بتوبة عبده ، إلى أن قال : والفرح بالشئ فوق الرضا به ، فإن الرضا طمأنينة وسكون وانسراح ، والفرح لذة وبهجة وسرور ، فكل فرح راض وليس كل راض فرحاً ، انتهى مدارج

قوله (براحلته) الراحلة من الإبل ما كان صالحاً لأن يرحل .

وقوله (لله أشد فرحاً) اللام لام الابتداء والفرح تقدم كلام ابن القيم فيه ، في هذا الحديث فوائد . منها إثبات الفرح لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته ، وهذه الفرحة منه فرحة إحسان وبر ولطف لا فرحة محتاج إلى توبة عبده منتفعا بها ، فانه سبحانه لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية .

وقوله ﷺ « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة » متفق عليه . وقوله ﷺ « عجب ربنا من قنوط عباده

ثانيا : ان فرحه سبحانه يتفاضل . ثالثا : فيه فضل التوبة إلى الله سبحانه وتعالى . رابعا : انه سبحانه يقبل توبة عبده ويفرح بها إذا وقعت على الوجه المعتبر شرعا . خامسا : فيه دليل على أن الإنسان إذا جرى على لسانه كلمة كفر من شدة دهش ونحو ذلك أو حكى كفراً أنه لا يكفر بذلك ولا يؤاخذ به .

قال ابن القيم رحمه : وفي الحديث من قواعد العلم أن اللفظ الذي يجري على لسان العبد خطأ من فرح شديد أو غيظ شديد ونحوه لا يؤاخذ به ، ولهذا لم يكن كافراً بقوله أنت عبدي وأنا ربك .

وقوله ﷺ (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة) متفق عليه ، أى من حديث أبي هريرة وتامة « يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد » انتهى . وروى هذا الحديث أحمد ومالك والنسائي وابن ماجه وابن حبان ورواه البيهقي في الأسماء والصفات ، في هذا الحديث فوائد : أولا : إثبات الضحك لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته . ثانيا : فيه فضل الجهاد في سبيل الله وعظم أجر المجاهد ، وقد تكاثرت الأدلة في الحث على الجهاد في سبيل الله . ثالثا : فيه فضل القتل في سبيل الله وأن المقتول في سبيل الله يدخل الجنة قال ابن عبد البر : يستفاد من الحديث أن كل من قتل في سبيل الله يدخل الجنة . رابعا : فيه أن القتل في سبيل الله يكفر الذنوب . خامسا : فيه أن التوبة تأتي على سائر الذنوب حتى ذنب القتل .

قوله ﷺ (عجب ربنا) الخ . هذا الحديث رواه أحمد وابنه عبد الله في حديث طويل ولفظة ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خبره الخ قوله (عجب) المعجب لفة استحسان الشيء ويكون لاستقباح الشيء .

قوله (من قنوط عباده) القنوط هو شدة اليأس .

وقرب خبره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرحك قريب ، حديث حسن .

قوله (وقرب خبره) أى تغييره الحال من حال شدة إلى حال رخاء .

قوله (أزلين) الأزل بالسكون الشدة والضييق ، والأزل على وزن كتف هو الذى أصابه الأزل واشتد به الحال حتى كاد يقنط ، وهذا الحديث كقوله سبحانه وتعالى (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته) والمعنى أنه سبحانه وتعالى يعجب من قنوط عباده عند احتباس القطر عنهم وقنوطهم ويأسهم من الرحمة وقد اقترب وقت فرجه ورحمته لعباده بانزال الغيث عليهم وتغييره لحافهم وهم لا يشعرون فعند تنامى الكرب يكون الفرج كما قيل « اشتدى أزمة تفرجي » وكما فى الحديث « وإن الفرج مع الكرب ، وإن مع السر يسرا » فى هذا الحديث كغيره من الأحاديث المتكاثرة جداً إثبات الضحك والعجب لله سبحانه وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته ، والأحاديث فى إثبات الضحك لله سبحانه وتعالى متواترة ، وفيه الرد على المعطلة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين ينفون الضحك والعجب ويؤولون ذلك بتأويلات فاسدة ، وفيه إثبات النظر لله سبحانه وتعالى ، وكل هذه من الصفات الفعلية فنثبتها لله سبحانه وتعالى حسب ما جاءت بذلك الأدلة المتكاثرة ، وليس فى إثبات هذه الصفات محذور البتة ، فانه ضحك ليس كمثل شئ ، وعجب ليس كمثل شئ وحكمه حكم رضا ومحبة وإرادته وصمعه وبصره وسائر صفاته ، فالباب واحد لا تمثيل ولا تمثيل فالقول فى الصفات كالقول فى الذات ، فكما أننا نعتقد أن الله ذاتا لا تشبه الذات فالصفات يحدى فيها حدو الذات ، والصفات حكمها واحد وبابها واحد ، فإذا أثبتنا بعضا ونفيينا البعض الآخر تناقضنا ، لأن الأدلة التى أثبتت تلك الصفة هى التى ثبتت بها النوع الآخر من الصفات ، فاثبات بعض ونفى بعض تناقض .

قوله (حديث حسن) الحسن اصطلاحا هو ما عرف مخرجه واشتهرت رجاله ، وشروطه شروط الصحيح ، إلا أن الضبط يكون أقل وأخف من الصحيح ، وهذا

وقوله ﷺ « لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة رجله ، وفي رواية قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض فتقول قط قط » متفق عليه

هو الحسن لذاته ، وأما الحسن لغيره فهو ما اختلت فيه شروط الصحيح لكن انجبر بمجيئه من طرق أخرى ، والحسن يشارك الصحيح في الاحتجاج به .

قوله (لا تزال جهنم) الخ . هذا الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أنس ابن مالك وقامه « وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ لها خلق آخر فيسكنهم الله في فضول الجنة »

قوله (جهنم) هو علم على طبقة من طبقات النار أعادنا الله منها قال يونس وأكثر النحويين هي مجمية لا تنصرف للمعجمة والتعريف ، قيل سميت بذلك لبعدها قعرها . قوله (يلقى فيها) أى يطرح (وهو يقول هل من مزيد) أى هل من زيادة تطلب الزيادة لسمتها وبعدها قعرها . قال ابن القيم رحمه الله : وأخطأ من قال إن ذلك للنبي أى ليس من مزيد ، فإن الحديث الصحيح يرد هذا التأويل ، انتهى

قوله (فتنزوي) أى ينضم بعضها إلى بعض ، قال في المصباح زويته أى جمعتها . قوله « فتقول قط قط » هو اسم فعل بمعنى حسبي أى يكفي ، هذا الحديث فيه دليل على إثبات النار وأنها مخلوقة ، وفيه إثبات كلام النار وأنها تتكلم ، وهل هذا الكلام بلسان المقال أم بلسان الحال ، فيه قولان أصحهما الأول للحديث ولأن الأصل الحقيقة ، فإن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها إدراكا ، والله على كل شيء قدير ، وفيه دلالة على عظم سعة النار ومحقق قعرها بحيث تسع كل عاص لله من حين خلق الله الخلق وتطلب الزيادة .

ولما كان من مقتضى رحمته أن لا يعذب أحداً بغير جرم وكانت النار في غاية السعة حقق وعده فيضع عليها قدمه فيتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها ، وأما الجنة فيبقى فيها فضل من أهلها فينشئ الله لها خلقاً آخرين كما ثبت ذلك في الحديث ، وفي الحديث دليل على إثبات القدم والرجل لله سبحانه وتعالى كما

وقوله ﷺ « يقول الله تعالى : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك

بجلاله وعظمته . قال محي السنة : القدم والرجل في الحديث من صفات الله المزهة عن التمكيف ، فالإيمان بها فرض والامتناع عن الخوض بها واجب ، فالمهتدي من صلك طريق التسليم والخالض فيها زائغ والمنكر معطل والمكيف مشبه ، ليس كثره شيء وهو السميع البصير ، انتهى ، وفي الحديث الرد على المعطلة الذين نفوا صفة القدم لله وأولوا ذلك بنوع من الخلق ، وأولوا قوله في الرواية الثانية التي فيها إثبات الرجل لله ، وقالوا هذا كما يقال رجل من جراد وما زعموه من هذه التأويلات الفاسدة مردودة من وجوه :

أولا : أن الأصل الحقيقة . ثانيا : إنه قال حتى يضع ولم يقل حتى يلقي كما قال في قوله ولا يزال يلقي فيها . ثالثا : إن قوله قدمه لا يفهم منه هذا لا حقيقة ولا مجاز إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرها الشيخ تقي الدين وغيره في إثبات صفة القدم لله سبحانه وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته والرد على من زعم غير ذلك .

قوله (يقول الله) الخ . هذا الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري وتماه « قال وما بعث النار ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، فذلك حين يثيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، فاشتد ذلك عليهم ، فقالوا يا رسول الله أينما ذلك الرجل ؟ قال أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ، أنتم في الأرض كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض ، أو كالشجرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا ، وروى هذا المعنى جماعة من الصحابة قوله (لبيك) لبيك من ألب بالمكان إذا أقام به ، أي أنا مقيم على طاعتك .

قوله (وسعديك) من المساعدة وهي المطاعة ، ومعناها إسعاد بمد إسعاد ، قال ابن القيم رحمه الله : وقد اشتملت كلمات التلبية على فوائد عظيمة :

فينا دى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بمنّا إلى النار ، متفق عليه

أولا : إن قوله لبيك يتضمن إجابة داع دعائك ومناد ناداك ولا يصح فى لغة ولا عقل إجابة من لا يتكلم ولا يدهو من أجابه .

ثانيا : إنها تتضمن المحبة ولا يقال لبيك إلا لمن تحبه وتمظه .

ثالثا : إنها تتضمن التزام دوام العبودية ، ولهذا قيل من الإقامة ، أى أنا مقيم على طاعتك . رابعا : إنها تتضمن الخضوع والذل ، أى خضوعا بعد خضوع من قولهم : أنا ملب بين يديك ، أى خاضع ذليل .

خامسا : إنها تتضمن الإخلاص ولهذا قيل إنها من القلب وهو الخالص .

سادسا : إنها تتضمن الإقرار بسمع الرب إذ يستحيل أن يقول الرجل لمن لا يسمع دعاؤه لبيك . سابعا : إنها تتضمن التقرب من الله ، ولهذا قيل إنها من الالباب وهو التقرب ، انتهى

قوله (فينادى) بكسر الدال أى الله سبحانه وتعالى

قوله (بصوت) فيه إثبات الصوت حقيقة كما يليق بالله سبحانه وتعالى وصوته من صفات ذاته لا يشبه خلقه ولا حاجة أن يفيد النداء بصوت فانه بمعنى فاذا انتفى الصوت انتفى النداء ولهذا قيده بالصوت أيضا وتأكدا كما قيده التكليم بالمصدر فى قوله « وكلم الله موسى تكليما »

قوله (بمنّا إلى النار) البعث هنا هو بمعنى المبعوث الموجه إليها ومعناه ميز أهل النار من غيرهم ، انتهى ، وإنما خص آدم بذلك لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء ، فقد رآه النبي ﷺ ليلة الاسراء وعن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ، الحديث انتهى من فتح البارى ، أفاد هذا الحديث إثبات صفة القول لله سبحانه وتعالى وأنه قال ويقول متى شاء إذا شاء كما يليق بجلاله وأفاد إثبات النداء لله سبحانه وتعالى وأنه نداء حقيقة بصوت .

وفيه أن النداء والقول يكون يوم القيامة ، فهذا من أدلة الأفعال الاختيارية ،

وأفاد إنبات صفة الكلام وأنها صفة ذات وفعل ، فانه سبحانه متصف بهذه الصفة ويتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء ، فكلامه سبحانه قديم النوع حادث الآحاد .
قال ابن القيم رحمه الله : وقد دل القرآن وصریح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله يتكلم بمشيئته ، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته ، وهي صفة ذات وفعل كما قال تعالى (إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) انتهى ، وفيه دليل على أن الله يتكلم بحرف وصوت ولأن النداء لا يكون إلا بحرف وصوت بإجماع أهل اللغة ، وكان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية كما قال الامام أحمد لما سئل عن قال إن الله لا يتكلم بصوت ؟ فقال هؤلاء إنما يدورون على التعطيل .

قال شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية : أول ما ظهر إنكار أن الله يتكلم بصوت في أثناء المائة الثالثة لما ظهرت الجهمية والمعتلة ، وقال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة : قلت لأبي يا أباي إنهم يقولون أن الله لا يتكلم بصوت ! فقال بلى يتكلم بصوت . وقال البخاري رحمه الله في كتاب خلق أفعال العباد : ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يحب أن يكون الرجل خافضا من الصوت ويكره أن يكون رفيع الصوت ، وأن الله ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، وليس هذا لغير الله ، قال وفي هذا دليل على أن صوته لا يشبه أصوات الخلق ، لأن صوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته ، وساق حديث جابر أنه سمع عبد الله بن أنيس يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان ، الحديث ثم احتج بحديث أبي سعيد المتقدم ، فهذان إماما أهل السنة على الإطلاق أحمد بن حنبل والبخاري ، وكل أهل السنة على قولهما وقد صرح بذلك وحكاه إجماعا حرب ابن اسماعيل صاحب الامام أحمد بن حنبل وإسحاق وصرح به غيره ، وقد احتج

وقوله ﷺ « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان » متفق عليه

بحديث ابن مسعود وغيره وأخبر أن المنكرين لذلك هم الجهمية ، وقد روى في إثبات الحرف والصوت في كلام الله أ كثر من أربعين حديثاً بعضها صحيح وبعضها حسان ويحتاج بها ، أخرجها الضياء المقدسي وغيره ، وأخرج أحد غالبها واحتج به ، واحتج بها البخاري وغيره من أئمة الحديث ، فقد صححوا رحمهم الله هذه الأحاديث واعتقدوها واعتمدوا عليها متزهين الله عما لا يليق بجلاله كما قالوا في سائر الصفات من النزول والاستواء والحجب والسمع والبصر والعين وغيرها فأنبتوا هذه الصفات كما يليق بالله إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ، وفي الحديث دليل على أن الله نادى آدم وكله ، وفيها الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسى ، فإن آدم عليه السلام سمع كلام الله ، والمعنى المجرد لا يسمع ، وفيه الرد على من زعم أن كلام الله شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض .

قوله (ما منكم من أحد) الخ . هذا الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث عدى ابن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدماه ، ثم ينظر بين يديه فنستقبله النار فن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة » هذا لفظ البخاري ، وفي رواية لها قال النبي ﷺ « اتقوا النار ، ثم أعرض وأشاح ، ثم قال اتقوا النار ثم أعرض وأشاح ثلاثاً حتى ظننا أنه ينظر إلينا ، ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة .

قوله (ما منكم من أحد) الحديث ظاهر الخطاب للصحابه ويلتحق بهم المؤمنون كلهم سابقهم ومقصرهم ، انتهى . والمراد أنه يكلمهم بلا واسطة ، فتكليمه سبحانه وتعالى نوعان (الأول) بلا واسطة ، كما في هذا الحديث . (الثانى) بواسطة وقد تقدمت الإشارة إليه .

قوله (ترجمان) هو من يعبر بلغة عن لغة كما قال بعضهم :

وقوله ﷺ في رقية المريض «ربنا الله الذي في السماء

ومن يفسر انة بلفظة مترجم عند أهمل اللفظة أفاد هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى والرد على الجهمية والأشاعرة . فنافاة صفة الكلام ، فإن الكلام صفة كمال ، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه ، وأفاد هذا الحديث أنه يكلم جميع الناس ، وأما قوله سبحانه وتعالى (لا يكلمهم ولا يذكهم) الآية ، فالمراد لا يكلمهم كلاماً يسرهم . قوله (في رقية المريض) الخ . هذا الحديث رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اشتكى منكم شيئاً فليقل ربنا الله الذي في السماء » الحديث ، وأخرجه النسائي أيضاً من حديث أبي الدرداء أنه أتاه رجل يذكر أن أباه احتبس بوله وأصابته حصاة فعلمه هذا فقرأه بها فبرأ ، هذا لفظ النسائي وقد رواه البيهقي ، الحاكم والطبراني .

قوله (في رقية المريض) أى القراءة على المريض من رقاؤه برقية إذا قرأ عليه ، ففيه دليل على إباحة الرقية لهذا الحديث وغيره كما روى مسلم وأبو داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً ، وقوله ﷺ وقد سئل عن الرقى : من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه ، رواه مسلم وأحمد وابن ماجه من حديث جابر ، وأما ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر أن رسول الله ﷺ نهي عن الرقى فالمراد بها الرقى التي تتضمن الشرك وتعظيم غير الله كغالب رقى الجاهلية فلا يعارض ما تقدم من الأحاديث في إباحة الرقى ، وقال السيوطي : قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

(١) أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته (٢) أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه (٣) أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله ، انتهى

قوله (ربنا الله الذي في السماء) فيه إثبات علو الله سبحانه وتعالى على الخلق وفسر قوله سبحانه في السماء بتفسيرين :

تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء ، اغفر لنا حوبنا

الأول : إن في بمعنى على ، فقوله في السماء ، أى على السماء ، كقوله سبحانه وتعالى (فامشوا في مناكبها) وقوله (فسيحوا في الأرض) أى عليها .
الثاني : إن المراد بالسماء الملو ، فقوله في السماء ، أى الملو ، والسماء كل ما علاك وأظلك ، فهو سبحانه في جهة الملو .

قوله (تقدس اسمك) أى تنزه من التقديس ، وهو التنزيه عما لا يليق ، فأسمائه سبحانه وتعالى منزهة عن العيوب والنقائص وعن تأويل المحرفين وتشبيه الممثلين .
قوله (أمرك في السماء والأرض) أى أمرك الكوني القدرى وأمرك الدينى الشرعى ، فأمره سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين (الأول) أمر كوني قدرى كقوله سبحانه (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقوله سبحانه (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً) الآية .

(الثاني) الأمر الدينى الشرعى كقوله سبحانه (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية ، فأمره سبحانه الكوني نافذ لا راد له في السماء والأرض فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه .

قوله (كما رحمتك في السماء) فيه إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وقوله (أنزل رحمة من رحمتك) فيه إثبات الملو ، وهذه الرحمة مخلوقة ، فإن الرحمة المضافة إليه تنقسم إلى قسمين (الأول) رحمة تضاف إليه سبحانه وتعالى من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقوله (ورحمتى وسعت كل شيء) وقوله في الحديث « برحمتك أستغيث » - (الثاني) رحمة تضاف إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه كما قال في هذا الحديث « أنزل رحمة من رحمتك » وكما في حديث « خلق الله مائة رحمة » وقوله ﷺ « قال سبحانه للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشياء » وقد تقدم الكلام على هذا البحث في الكلام على الآيات .

قوله (اغفر لنا حوبنا) هذا فعل دعا من الغفر وهو الستر ووقاية الانز ، ومنه

وخطايانا، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع ،
حديث حسن رواه أبو داود وغيره ، وقوله ﷺ « ألا تأمنوني

المغفر والجمع الغفير . قوله (حوبنا) الحوب هو الالتم ، ومنه قوله إنه كان حوباً كبيراً
قوله (وخطايانا) الخطايا هي الذنوب والآثام .

قوله (أنت رب الطيبين) جمع طيب وخصهم بالذكر لما اتصفوا به من الطيب
ومعلوم أنه رب كل شيء ، ما يتصف بالطيب والنجب وغيرها ، ولكن هذه ربوبية
خاصة بأنبيائه وعباده الصالحين ، لها اختصاص على الربوبية العامة للخلق فان من
أعطاه الله من السكال أكثر مما أعطي غيره ، فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكل من
غيره فالربوبية تنقسم إلى قسمين (الاول) ربوبية عامة وهي لسائر الخلق .

(الثاني) ربوبية خاصة وهي ربوبية لأنبيائه وعباده الصالحين . وفي هذا
الحديث إشارة إلى التوسل بربوبيته سبحانه للطيبين ، وهذا التوسل الشرعي وهو
التوسل بربوبيته سبحانه وأسمائه وصفاته ، وهذا التوسل من أعظم الوسائل للحصول
على المقصود ، ولا يكاد يرد دعاء من توسل بها ، فلماذا دعا الله بعدها بالشفاء الذي هو
شفاء الله الذي لا يدع مرضاً إلا أزاله ، وفيه أنه ينبغي أن يأتي من صفاته في كل
مقام بما يناسبه ، كلفظ الغفور عند طلب المغفرة ، والرازق عند طلب الرزق ونحو
ذلك ، والقرآن والادعية النبوية مملوءة بذلك

قوله (على هذا الوجع) بكسر الجيم أى المصاب بالمرض .

قوله (ألا تأمنوني) الخ . هذا الحديث أخرجه في الصحيحين عن أبي سعيد
الخدري قال بعث على من اليمن بذهبية في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها ، فقسما
رسول الله ﷺ بين أربعة : زيد الخمر والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة
ابن علاثة أو عامر بن الطفيل (شك عماره) فوجد من ذلك بعض الصحابة من الانصار
وغيرهم ، فقال رسول الله ﷺ « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتييني خبر
السماء صباحاً ومساءً » أخرجه البخاري ومسلم قوله (ألا تأمنوني) ألا أداة استفتاح

قوله (وأنا أمين من في السماء) أى أمين الله سبحانه وتعالى الذى فى السماء على تبليغ شرعه ودينه ، قيل إن القائل للنبي ﷺ هو ذو الخويصرة البجلي فاستأذنه بعض الصحابة فى قتله ، فقال النبي ﷺ دعه فإنه يخرج من ضنحيه هذا ، أى من جنسه ، قوماً يحرقون صلاتكم مع صلاتهم وقراءتكم مع قراءتهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم ، الحديث فأول بدعة وقعت فى الإسلام فتنه الخوارج ، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي ﷺ غنائم حنين ، فكأنهم رأوا فى عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل فى القسمة ففاجشوه بهذه المقالة ثم كان ظهورهم فى أيام على بن أبى طالب فقتلهم فى النهروان ، ثم تشعبت منهم شعوب وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم حدثت بعدهم بدعة القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التى أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ فى قوله : وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، قالوا وما هم يا رسول الله ؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي ، أخرجه الحاكم فى مستدركه ، أفاد هذا الحديث فوائد :

أولاً : ما كان عليه ﷺ من الصبر والتحمل لأذى المنافقين .

ثانياً : ترك النبي ﷺ هذا المنافق وغيره استبقاءً لآلئهم وتأليفاً لقلوبهم ، فإنه ﷺ لما استأذنه بعض الصحابة فى قتل بعض المنافقين قال معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه .

ثالثاً : فيه دليل لمن لم يكفر الخوارج ، قال النووي : ومذهب الشافعي وجماهير أصحابه وجماهير العلماء أن الخوارج لا يكفرون ، وكذلك القدرية والمعتزلة وسائر أهل الأهواء ، انتهى

رابعاً : فيه دليل على علو الله على خلقه ، فقوله فى السماء ، فسرت فى بمعنى على أو أن المراد بالسماء العلو ولا تنافي بين التفسيرين ، وقد تقدم ، فليس معنى قوله فى

وقوله ﷺ « والعرش فوق ذلك ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه »
حديث حسن رواه أبو داود وغيره

السماء أن السماء تظله أو تقله أو تحيط به أو تحويه ، فإن هذا مالا توجهه اللغة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في الرسالة الجويه : ثم من توهم أن كون الله في السماء أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن قلناه عن غيره وضال إن اعتقده في ربه ، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحداً نقله عن أحد ، ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله أن الله في السماء أن السماء تحويه لبادر كل أحد أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا ، وإذا كان الأمر هكذا فن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله ، بل عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش شيء واحد إذ السماء إنما يراد به العلو فالمعنى أن الله في العلو لا في السفلى ، وقد علم المسلمون أن كرسیه سبحانه وضع السموات والأرض وأن الكرسي في العرش كحكمة ملقاة في أرض فلاة ، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته ، فكيف يتوهم متوهم بعد ذلك أن خلقاً يحصره أو يحويه ، وقال الله سبحانه وتعالى عن فرعون (لأصلبنكم في جذوع النخل) وقال (فسيروا في الأرض) بمعنى على ونحو ذلك ، وهو كلام عربي حقيقة لا مجاز ، انتهى

قوله (والعرش فوق ذلك) الخ . هذا الحديث رواه أبو داود وغيره من حديث العباس بن عبد المطلب ، ولفظ أبي داود عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت في البطحاء في عصاة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال : ماتسمون هذه ؟ قالوا السحاب ، قال والمزن ، قالوا والمزن ، قال والعنان ، قالوا والعنان قال أبو داود : لم أثن العنان جيداً ، قال : هل تدرون بُعد ما بين السماء والأرض ؟ قالوا لا ندري ، قال إن بُعد ما بينها إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه

وقوله ﷺ للجارية « أين الله ؟ قالت في السماء ، قال من أنا ؟ قالت رسول الله ، قال اعتقها فانها مؤمنة » رواه مسلم

مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وربكم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله فوق ذلك ، ورواه أيضا ابن ماجه والترمذي وحسنه ، ورواه الحافظ ضياء الدين المقدسي في المختاره . قوله (والعرش فوق ذلك) تقدم الكلام على العرش ، أفاد هذا الحديث عدة فوائد .

(الأول) إثبات العرش ، وقد تكاثرت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته ، وفيها الرد على من نفى العرش وزعم أن معنى عرشه ملكه وقدرته ولا شك في بطلان ذلك ، وفيه دليل على أن العرش فوق المخلوقات وأنه ليس فوقه من المخلوقات شيء ، وفيه دليل على أن الله في السماء مستو على العرش ، فلو كان في كل مكان لم يكن لهذا التخصيص معنى ولا فيه فائدة ، وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة خلافاً للمعتزلة من الجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم من الأشاعرة وغيرهم ممن ألحد في أسماء الله وصفاته وأصرفها عن المعنى التي وضعت له ودلت عليه من إثبات صفات الله التي دلت على كلامه جل وعلا ، وفيها إثبات فوقيته سبحانه وتعالى وعلوه على خلقه ، وهذا الحديث صريح في فوقية الذات ، ففيه الرد على من زعم أن الفوقية فوقية رتبة وشرف ، فان حقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره وقد تقدم ذكر أنواع الفوقية ، فله سبحانه الفوقية التامة والعلو الكامل المطلق ، هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، ويدعوا وضلوا من خلفه من الجهمية والمعتزلة ، وفي هذا الحديث إثبات علمه المحيط بكل معلوم ، فلا تحفى عليه خافية ، وفيه الجمع بين الإيمان بعلوه على خلقه واستوائه على عرشه وبين الإيمان بأحاطة علمه بالموجودات كلها ، وقد جمع بين الأمرين في عدة مواضع .

قوله (للجارية أين الله) إلخ . هذا الحديث رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم

السلي وأخرجه أبو داود والفسائي وروى سببه بألفاظ متعددة ، وفي بعض ألفاظه عن الحكم بن معاوية السلمي قال : اطلعت على غنيمة ترعاها جارية لي قبل أحد والجوانية فوجدت الذئب قد أصاب منها شاة وأنا من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة ثم انصرفت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فعظم ذلك علي ، قال : قلت يا رسول الله : أفلا أعتقها ؟ قال بلى جئني بها ، قال فجئت بها رسول الله ﷺ فقال لها : أين الله ؟ قالت في السماء ، قال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله ﷺ ، قال اعتقها فإنها مؤمنة .

قال الحافظ الذهبي في كتاب الملو : هذا حديث صحيح رواه جماعة من الثقات ، قال وأخرجه مسلم وأبو داود والفسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم يروونه كما جاء ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف ، ثم بين الذهبي طرقه واختلاف ألفاظه هذا الحديث فيه فوائد (أولا) فيه جواز السؤال عن الله بأين خلافاً للمبتدعة . (ثانيا) فيه جواز الإشارة إلى الملو كما جاء صريحاً في حديث أبي هريرة الذي أخرجه أبو داود في باب الايمان والنذور فأشارت بأصبعها إلى السماء (ثالثاً) فيه إثبات الملو لله سبحانه وتعالى ، فان معنى قوله في السماء أى على السماء يعنى على العرش وقد تقدم الكلام (رابعاً) فيه الدليل على أن من شهد هذه الشهادة أنه مؤمن (خامساً) فيه دليل على أنه يشترط في صحة العتق الايمان (سادساً) فيه دليل على أن من شهد هذه الشهادة يكتفى في ذلك بإيمانه ويقبل منه ذلك ولو لم يذكر دليل ، فان النبي ﷺ قبل منها مجرد الشهادة بملو الله ورسالة رسوله ، خلافاً للمتكلمين الذين يقولون لا بد من النظر والقصد إلى النظر أو الشك ، فان هذه أقوال باطلة ، فان معرفة الله سبحانه فطرية فطر الله عليها عباده كما في الحديث قال : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه . الحديث

(سابعاً) فيه دليل على أن الاعتراف بملو الله سبحانه وتعالى وفوقيته مفطور عليه

وقوله ﷺ « أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك أينما كنت » حديث حسن أخرجه الطبراني من حديث عبادة بن الصامت - وقوله « إذا قام أحدكم إلى الصلاة

الخلق مغرور في نفوسهم ، وقد جرت عادة المسلمين عامتهم وخاصتهم بأن يدعو ربهم عند الابتغال والرغبة إليه فيرفعوا أيديهم إلى السماء وذلك لاستفاضة العلم عندهم بأن ربهم المدعو في السماء ، وقد تطابق أدلة العقل والنقل على إثباته .

قوله (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك) إلخ . في هذا الحديث دليل على إثبات معيته سبحانه وتعالى ، والمعية تنقسم إلى قسمين وقد تقدم الكلام عليها ، وهذا الحديث فيه ذكر المعية العامة وهي معية العلم والاطلاع ، وقد تكاثرت الأدلة بالندب إلى استحضار قرب سبحانه في حال العبادات كقوله ﷺ : « إذا قام أحدكم يصلي فانه يناجي ربه ، وقوله ﷺ : « إن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت ، قال ابن رجب رحمه الله : ومن فهم من هذه الأحاديث تشبيهاً أو حلوياً أو اتحاداً قائماً أتى من جهله وسوء فهمه عن الله ورسوله ، والله ورسوله بريئان من ذلك كله ، فسبحان من ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، انتهى

وفي هذا الحديث دليل على أن الإيمان يتفاضل ، ودليل على أن بعض خصال الإيمان أفضل من بعض ، وفيه دليل على فضل عمل القلب ودليل على أن أعمال القلوب داخلة في مسعى الإيمان ، وفيه الرد على من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وفيه دليل على أن الإحسان أكل مراتب الدين وهو أن يعبد العبد ربه كأنه يراه فيستحضر قرب الله واطلاعه وأنه بين يديه وذلك يوجب الخشية والخوف والتعظيم ويوجب النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها ، فيجمع العبد بين الإيمان بملء الله سبحانه وتعالى واستحضار قرب ربه ولا منافاة بين الأمرين .

قوله (إذا قام أحدكم إلى الصلاة) إلخ - هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرها عن جماعة من الصحابة ، منهم أنس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وابن عمر وغيرهم .

فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه ، ولا عن يمينه ولكن من يساره أو تحت قدمه ، متفق عليه .

قوله (يبصق) أى يتفل والبصاق والبراق لغتان والبصاق لغة قليلة .

قوله (قبل) بكسر القاف وفتح الباء ، أى مواجهه ، فى هذا الحديث فوائد ، فيه دليل على قرب الله سبحانه وتعالى وإحاطته كما يليق بجلاله وعظمته كما قال سبحانه (والله من ورائهم محيط) فإذا كان محيطاً بالعالم فهو فوقه بالذات عال عليه من كل وجه وبكل معنى ، فالإحاطة تتضمن العلو والسمة والعظمة ، وإحاطته سبحانه بخلقه لا تنفى مباينته ولا علوه على مخلوقاته بل هو سبحانه فوق خلقه محيط بهم مباين لهم انتهى من الصواحق باختصار .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله فى الحويه : وكذلك العبد إذا قام يصلى فانه يستقبل ربه وهو فوقه فيدعوه من تلقائه لا عن يمينه ولا عن شماله ، ويدعوه من العلو لا من السفلى كما إذا قدر أنه يخاطب القمر فانه لا يتوجه إليه إلا بوجهه مع كونه فوقه ، اهـ وقد نزع بهذا الحديث بعض المعتزلة إلى أن الله فى كل مكان بذاته ، وهذا جهل فاضح ، والأدلة المتواترة ترد ذلك وتفيد علو الله واستوائه على عرشه ، وأيضاً فإن آخر الحديث ينقض قولهم وهو قوله (أو تحت قدمه) وفى الحديث إشارة للندب إلى استحضر قرب سبحانه وتعالى ومعيته فى حال العبادة ، فان ذلك يوجب الخشية والخوف من الله ، ويدعو إلى إتمام العبادة على الوجه اللائق ، وفيه دليل على القيام فى الصلاة وأن العمل اليسير لا يبطل الصلاة ، وفيه دليل على جواز البصاق وهو يصلى ، وفيه دليل على الندب إلى إزالة المستقذر أو ما يتنزه عنه من المسجد ، وفيها أن النفخ والتنحنح فى الصلاة جائزان ، لأن النخامة لا بد أن يقع معها شيء من ذلك ، وفيه النهى عن البصاق قبل وجهه والنهى عن البصاق عن يمينه تشريراً لها وفى رواية البخارى ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكان ، وفيه جواز البصاق تحت قدمه وعن يساره . والمراد إذا كان خارج المسجد ، فأما فى المسجد فلا يجوز البصاق

وقوله ﷺ « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم »

في أرض المسجد مطلقاً لحديث البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ، فهذا مخصص للحديث المتقدم ، فاذا بدره البصاق في المسجد بصق في ثوبه وذلك بمضها في بطن كما دلت على ذلك الأحاديث المخصصة لما تقدم ، واستفيد من الحديث تحريم البصاق إلى القبلة سواء كان في المسجد أو لا ، وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً : من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتقله بين عيني ، ولأبي داود وابن حبان من حديث السائب بن خالد أن رجلاً أمّ قوماً فبصق في القبلة فلما فرغ قال رسول الله ﷺ لا يصلي لكم ، الحديث ، وفيه إنك قد آذيت الله ورسوله ، وفي هذه الأحاديث دليل على أن النخامة والبصاق طاهران ودليل على صيانة المساجد وتعظيمها .

قوله (اللهم رب السموات) الخ . هذا الحديث أخرجه مسلم من حديث سهل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : اللهم رب السموات السبع ، الحديث ، قال وكان يروى ذلك عن أبي هريرة وأخرجه أيضاً أهل السنن .

قوله (اللهم) أصله يا الله ، فاليم عوض عن ياء ، ولذلك لا يجمع بينهما ، وشذ قول بعض العرب :

أني إذا ما حدث ألس أقول يا اللهم يا اللهم
قال الحسن البصري : اللهم جمع الدعاء ، وقال النضر بن الشميل : من قال اللهم فقد دعى الله بجميع أسمائه .

قوله (رب) تأتي لفظة رب بمعنى المربي والمالك والخالق

وقوله (رب السموات السبع) أي هو خالق العالم العلوي .

قوله (ورب العرش العظيم) أي الكبير ، في الحديث ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهما وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وأن الكرسي

ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى مُنزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك

بما فيه بالنسبة إلى العرش كذلك الحلقة في تلك القلاة ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما : إنما سمى عرشاً لارتفاعه . وعن ابن عباس رضي الله عنه : العرش لا يقدر قدره إلا الله ، فيه إثبات عظمة العرش وأنه أعظم المخلوقات وأنه مخلوق ، ومنه يستفاد عظمة الباري بعظمة مخلوقاته ، وفيه الرد على من زعم أن العرش ليس بمخلوق أو أن عرشه ملكه أو قدرته ، وقد تقدم الكلام على هذا .

قوله (ربنا ورب كل شيء) فيه إثبات عموم ربوبيته وملكه ، وأنه خالق كل شيء ، وأنه المنعم الحقيقي على سائر الخلق ، وفيه الرد على القدرية الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه فإن ربوبيته العامة وقدرته التامة تشمل أفعال خلقه ، فمن زعم أن العبد يخلق فعل نفسه فقد أثبت خالفاً مع الله ولم يدخل أفعال خلقه في عموم قدرته وربوبيته .

قوله (فالق الحب والنوى) أى شاق والفلق الشق ، أى الذى يشق حب الطعام ونوى الثمر ونحوها للانبات ، والنوى عجم الثمر ونحوه .

قوله (منزل التوراة والانجيل والقرآن) أى منزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى والقرآن على محمد . فيه دليل على أن هذه الكتب من كلام الله وأنها منزلة من عند الله وأنها غير مخلوقة ، خلافاً لأهل البدع الذين يزعمون أن كلام الله مخلوق أو أنها كلام غيره ، وفيه دليل على علو الله سبحانه لأن الانزال والنزول والتفصيل المقول عند العرب لا يكون إلا من أعلا إلى أسفل .

قوله (أعوذ) أى ألتجئ وأعتصم وألتصق بمجنباب الله من شر كل ذى شر والعياذ يكون لدفع الشر والهماذ يكون لطلب الخير كما قال المتنبي :

يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يهجر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره

من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر » رواه مسلم .

قوله (دابة) الدابة لغة كل ما دب على وجه الأرض ، وأطلق هرقاً على ذوات الأربع . قوله (ناصيتها) أي تحت قهره وسلطانه سبحانه ، أي أعوذ بك من شر كل شيء من المخلوقات لأنها كلها في سلطانه وهو آخذ بنواصيها متصرف فيها يصرفها كيف يشاء ، والناصية مقدم الرأس .

قوله (أنت الأول فليس قبلك شيء) هذا تفسير رسول الله ﷺ فلا تفسير أكل من تفسيره ، ففيه دليل على أوليته سبحانه وأنه قبل كل شيء ، ففيه الرد على من زعم قدم هذه المخلوقات ، وفيه دليل على أبديته سبحانه وبقائه بعد كل شيء ، وفيه دليل على علوه سبحانه على خلقه وفوقيته واستوائه على عرشه فان الظاهر هو العالي المرتفع .

قوله (وأنت الباطن) فيه دليل على قرب سبحانه وإحاطته وأنه أقرب إلى كل شيء من نفسه ، وقربه سبحانه لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ، فانه ليس كمثله شيء وليس قربه كقرب الأجسام بعضها من بعض - تعالى الله أن يشبهه شيء من خلقه - فهذه الاسماء الاربعة متقابلة اسمان منها لازلية الرب وأبديته واسمان لعلوه وقربه وقوله (اقض عني الدين) هذا فعل دعاء أي أدّ . قوله الدين أي واحد الديون والمراد به حقوق الله وحقوق عباده كلها من جميع الانواع .

قوله (اغنني) الغنى بالكسر والتقصير هو عدم الحاجة ، وبفتح الغين النفع وبالكسر مع المد الاصوات المطربة كما قال بعضهم :

غناء الصوت ممدود بما يستجلب الطرب وكل غنى فقصور كذا نطقت به العرب والفقر بالفتح ضد الغنى وهو في اصطلاح الفقهاء : من وجد أقل من نصف كفايته أو لم يجد شيئاً أصلاً ، وأما المسكين فهو من وجد نصف كفايته فأكثر ، فالفقير

وقوله ﷺ « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر

أشد حاجة من المسكين لكن إذا أطلق الفقير دخل فيه المسكين وبالعكس وإذا ذكرنا معاً فسر كل واحد منها بتفسير كالإسلام والإيمان إذا اجتماعاً افتراقاً وإذا افتراقاً اجتماعاً ، وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم دعاء الله بأسمائه وصفاته ، وهذا مما تكرر في الأحاديث ، وهذا هو التوصل الشرعي والمتوصل بهذه الوسيلة جدير بالإجابة .

قوله (إنكم سترون ربكم) الخ . هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة ، وقال إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ، ثم قرأ قوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وفي بعض ألفاظه ستمائنون ربكم كما تعينون القمر .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال هل تضارون في الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا لا يا رسول الله قال إنكم ترونه كذلك . إلى غير ذلك من الأحاديث التي بلغت حد التواتر ، قال يحيى بن معين : عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية ، كلها صحاح ، وقال أحمد والأحاديث التي رويت عن النبي ﷺ « إنكم ترون ربكم » صحيحة وأسانيدها غير مدفوعة والقرآن شاهد أن الله يرى في الآخرة ، انتهى

وقد تواطأ على إثبات ذلك أدلة الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث ، وقد أنكر الرؤية الجممية والمعتزلة وأضرابهم اعتماداً على عقولهم الفاسدة وتقليد أعداء الدين الذين نبذوا كتاب الله وسنة رسوله ورائهم ظهرياً . قوله (إنكم سترون) السبب فيه لتأكيد الوعد وتحقيق الأمر .

قوله (سترون) أى رؤية بصرية والمخاطب بذلك المؤمنون ، فالكفار محجوبون عن رؤيته كما قال تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

قوله (كما ترون القمر ليلة البدر) القمر بعد ثلاث من الشهر إلى آخر الشهر ، مسمى قرناً لبياضه والبدر القمر ايلة كاله وهو الممتلئ نوراً وهى ليلة الرابعة عشر من الشهر مسمى بذلك لمبادرة طلوعه غروب الشمس وطلوعها غروبه .

قوله (كما ترون القمر) تحقيقاً للرؤية ونفيًا لقوم المجاز الذى يظنه المطلون فتروته رؤية حقيقية بالعين البصرية والتشبيه في قوله (كما ترون القمر) تشبيه للرؤية بالرؤية لا للرئي بالمرئي فانه سبحانه لا شبيه ولا نظير .

قوله (لا تضامون في رؤيته) بضم الفوقية وتخفيف الميم ، أى لا يلحقكم ضم ، وروى بالفتح وتشديد الميم من التضام والازدحام كما ينضم بعض إلى بعض في رؤية الشيء الخفى كالهلال ، يعنى إنكم ترونه رؤية محققة كل منكم يراه في مكانه ، فهذا الحديث أفاد إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة .

قال ابن القيم رحمه الله : دل الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث على أن الله سبحانه يرى بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحوً ، وكما ترى الشمس في الظهيرة ، فان كان لذلك حقيقة وأن الرؤية حق فلا يمكن أن يرويه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم وإن لم يكن لذلك حقيقة كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن ، انتهى

وفيه الرد على من زعم أن المراد بالرؤية العلم لأن رأى بمعنى علم تعدى إلى مفعولين تقول رأيت زيداً فقيهاً أى علمته ، فان قلت رأيت زيداً لم يفهم منه إلا رؤية البصر ويزيده تحقيقاً قوله في الحديث « إنكم سترون ربكم عياناً » لأن اقتران الرؤية بالعيان لا يحتمل أن يكون بمعنى العلم ، وفي الحديث كما تقدم دليل على إثبات علو الله وأنهم

فان اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا »
متفق عليه . وقوله « إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن
ربه بما يخبر به ، فان الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما
أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل

يرونه من فوقهم كما في حديث جابر الذي رواه أحمد وغيره .

قوله (فان استطعتم أن لا تغلبوا) معناه لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاتي
الصبح والمصر فهي المراتبة في الحديث كما في صحيح مسلم ، ففي هذا الحديث دليل
على فضل هاتين الصلاتين وأن المحافظ عليهما حقيق بأن يرى ربه يوم القيامة ، قال
بعض العلماء : ووجه مناسبة ذكر هاتين الصلاتين عند ذكر الرؤية أن الصلاة أفضل
الطاعات ، وقد ثبت أن لهاتين الصلاتين من الفضل على غيرها ما ذكر من اجتماع
الملائكة فيها ورفع الأعمال وغير ذلك ، فها أفضل الصلوات ، فناسب أن يجازى
عليهما بأفضل العطايا . وهو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى . اهـ

قوله (إلى أمثال) أي أشباه هذه الأحاديث التي أوردها المصنف رحمه الله ، فان
أهل السنة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما جاء في القرآن ، فان السنة كالقرآن في
وجوب القبول وإفادة العلم واليقين .

قوله (إلى أمثال هذه الأحاديث الخ) إشارة إلى الرد على الجهمية والمعتزلة
والرافضة الذين نبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم وقدحوا في دلائلها على
الصفات وقالوا الكتاب والسنة ظواهر لفظية لا تنفيذ اليقين ، وأن القواطع العقلية
والبراهين اليتيمية في المذاهب الفلسفية والطرق الكلامية ، فانظر كيف لعب بهم
الشیطان حتى أخرجهم من الإيمان ، قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك
فيما شجر بينهم) الآية . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم حتى
يكون هوأ تبعاً لما جمعت به ، وطريق أهل السنة والجماعة هو التمسك بالنص الصحيح

ومن غير تكليف ولا تمثيل ، بل هم الوسط في فرق الأمة

ولا يعارضونه بمقول ولا بقول فلان ، فكتاب الله وسنة رسوله هما المقيار فاطبقهما قبل وما خالفهما رد على من قاله كائناً من كان .

قال الامام أحمد رحمه الله : عجبت لقوم يعرفون الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأى سفيان والله سبحانه يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك . وقال الإمام الشافعي رحمه الله : أجمع العلماء على أن من استبان له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان ، ونظائر ذلك كثير في كلام السلف . وقال ابن القيم رحمه الله في النونية :

من قال قولاً غيره قننا على	أقواله تأسر والميزان
إن طابقت قول الرسول وفعله	فعل الرعوس تشال كالتيجان
أو خالفت رددناها على	من قالها من كان من إنسان
أو أشكلت توقفنا ولم	نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذي أدى إليه علمنا	وبه ندين الله كل أوان

فالذي عليه أهل السنة والجماعة أن السنة كالقرآن في وجوب القبول وإفادة العلم واليقين خلافاً لما عليه أهل البدع والضلال وتقدم الكلام على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع وهو الحق الذي تشهد له الأدلة كخبر عمر إنما الأعمال بالنيات ، وكقوله يحرم من الرضاع ما يحرم النسب إلى أمثال ذلك ، وهو نظير خبر الذي أتى مسجد قباء وهم يصلون وأخبر أن القبلة تحولت فاستداروا إلى القبلة ، وكان رسول الله ﷺ يرسل رسلاً آحاداً ويرسل كتبه مع الآحاد ، والأدلة على ذلك كثيرة وقد حقق ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية وتلميذه ابن القيم وأطال عليه في الصواعق وذكر الأدلة ورد على المخالفين دأً وافياً ، وكذلك في النونية ، وأشار إلى ذلك في

كما أن هذه الامة هي الوسط في الامم

فتح المجيد ، وذهب غير واحد إلى أن خير الصالحين يفيد العلم اليقيني وهو الحق قوله (وسط) يأتي بمعنى التوسط بين الشينين ، ويأتي بمعنى العدل الخوار ، فأهل السنة وسط أى عدول خيار معتدلين بين الطرفين المنحرفين في جميع أمورهم ، وفي الحديث « خير الأمور أوسطها »

قال علي رضي الله عنه : خير الناس التوسط الذي يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم التالى ، ذكره ابن المبارك عن محمد بن طلحة عن علي ، وقد مدح الله أهل التوسط بين الطرفين المنحرفين ، ونهى الله عن الإفراط والتفريط والغلو والتقصير في غير موضع من كتابه ، قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وقال تعالى (والذين أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما) وقال بعض السلف : دين الله بين الغالي فيه والمجاني عنه . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « إياكم والغلو في الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » أخرجه النسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان وصححه الحاكم .

والغلو هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد ، قال الشاعر :

ولا تغلُ في شيء من الامر واقتصد كلا طرفي قصد الامور ذميم

وفي حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : هلك المتنطعون قالها ثلاثا .

قال ابن القيم رحمه الله : ومن كيد عدو الله إبليس أن يشم قلب العبد فان رأى عنده قوة لإقدام وعلو همة قلل عنده المأمور وأوهمه أنه لا يكفي وأنه يحتاج معه إلى مبالغة ، وإن رأى الغالب عنده الانكفاف والاحجام ثبطه عن المأمور وثقله عليه حتى يتركه أو يعضه ، كما قال بعضهم : ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه تزغتان إما إلى إفراط وتقصير ، وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالى بأيهما ظفر ، وقد اقتطع أكثر الناس إلا القليل في هذين الواديين ، انتهى

قوله (كما أن هذه الامة هي الوسط في الامم) قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة

وسطاً) أى عدلاً خياراً لتوسطها بين الطرفين المذمومين فلم يفعلوا غلو النصرارى ولم يقصروا كتقصير اليهود ولكنهم أهل وسط واعتدال، فهم معتدلون في باب توحيد الله إذ كان اليهود يصفون الله بالنقائص ويشبهونه بالخلق، كما أخبر الله عنهم أنهم قالوا إن الله فقير، ونفى عن نفسه اللغوب الذى وصفوه به، والنصارى يصفون الخلق بصفات الخالق التى اختص بها، فلا يشركه فيها غيره كإلهية وضيها، وقالوا بأن المسيح هو الله وقالوا ابن الله وثالث ثلاثة، وأمة محمد وسط يعبدون الله سبحانه وتعالى ويصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، فوصفوه بصفات الكمال ونزوه عن صفات النقص والميب، وكذلك في النبوات، فاليهود تقتل الأنبياء وتستكبر على اتباعهم، والنصارى يمجّدون من ليس بنبي ولا رسول نبياً ورسولاً، وهذه الأمة تؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، وأما الشرائع فاليهود منعوا الخالق أن يبعث رسولا بغير شريعة الرسول الاول، والنصارى جوزوا لأخبارهم أن يغيروا من الشرائع ما بعث الله به رسله وكذلك في العبادات النصرارى يعبدونه ببدع ما أنزل الله بها من سلطان واليهود معرضون عن العبادات والمسلون عبده بما شرع ولم يعبدوه بالبدع وكذلك في حق الأنبياء عليهم السلام فلم يفعلوا فيهم كما غلت النصرارى في المسيح ولا جفوم كما جفت فيهم اليهود، فالنصارى عبدهم واليهود قتلهم وكذبهم، والأمة الوسط هي هذه الأمة آمنوا بهم، عزروهم ونصروهم، فهذه الأمة أفضل الأمم على الإطلاق قال الله سبحانه وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) الآية — وفي حديث أبي هريرة: أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله. وأما قوله سبحانه وتعالى في بنى إسرائيل (وفضلناهم على العالمين) فالمراد أنه سبحانه فضلهم على عالمي زمانهم كشعب بمختصر وغيرهم قوله (فهم وسط في باب صفات الله) أى أهل السنة وسط أى عدل خيار

معتدلون بين الطرفين المنحرفين فهم معتدلون في باب توحيد الله يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله أعرف الناس بربه ﷺ من غير تعطيل فلا ينفي عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ، ولا تشبيهه فلا يقال له سمع كأسماعنا ولا نضر كأبصارنا ونحو ذلك كما قال سبحانه (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) فقوله ليس كمثل شيء رد على المشبهة ، وقوله (وهو السميع البصير) رد على المعتدلة . قوله (أهل الله طليل) أى الذين نفوا حقائق أسماء الله وصفاته وعطّلوه منها ، من الجمهية والمعتزلة والاشاعرة وأشباههم ، فالجمهية نفوا صفات الله لفظها ومعناها وزعموا أن إثباتها يفضى إلى التشبيه فمطّلوا ، فروا من شيء ووقعوا في أشد منه ، فأنهم لم يطّلوا حتى شبهوا الله سبحانه بخلقه واعتقدوا أن صفات الله كصفات المخلوق فمطّلوا فراراً من التشبيه بزعمهم ، فوقعوا في أشد من ذلك ، وهو تشبيهه سبحانه وتعالى بالمعدومات والناقصات ، فشبهوا أولاً وعطّلوا ثانياً ، ثم شبهوا ثالثاً ، فإن من لا صفات له بالكلية لا وجود له ، فإن من ليس له سمع ولا بصر ولا قدرة ولا إرادة ولا هو فوق ولا أسفل ولا يمين ولا شمال إلى آخر ما هو موجود في كتبهم ليس له وجود بالكلية بل هو مقدر في الأذهان لا وجود له في الالهيان ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، وكلام العلماء في ذمهم وأنهم يدورون على أن يقولوا ليس ثم إلا الصدم المحض كثير . وأما المعتزلة فأثبتوا الأسماء ونفوا المعاني ، فيقولون إله سبحانه سمع بلا سمع بصير بلا بصر عليهم بلا علم إلى غير ذلك مما يقولونه ، وتصور هذا المذهب كاف في رده وإبطاله ، وأما الاشاعرة فأثبتوا الله بعض الصفات ونفوا البعض فاضطربوا وتناقضوا

قوله (الجمهية) نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذى الضال ، والنسبة إليه جهمي بفتح الجيم ، والجهم أخذ بدعته هذه ، أى بدعة تعطيل الصفات من الجعد بن درهم ، فهو أول من تسكّم في التعطيل في الاسلام فقتله خالد بن عبد الله القسرى بعد أن

استشار علماء التابعين فأفتوا بقتله ، فخطب في يوم عيد الاضحى فقال : يا أيها الناس
 ضيقوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضحي بالجمد بن درهم ، فانه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم
 خليلا ولم يكلم موسى تكليما ، فنزل فذبجه في أصل المنبر ، قال ابن القيم رحمه الله :
 ولذا ضحي بجمد خالد القسري يوم ذبائح القران
 إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الحكيم الداني
 شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخى قسريان
 والجمد بن درهم أول من قال بخلق القرآن ، أخذ بدعته عن إبان بن معمر وأخذها
 إبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم زوج بنته وأخذها لبيد عن يهودى باليمن
 وأخذ هذه البدعة عن الجمد الجهم بن صفوان الترمذي وأخذ عن الجهم بشر المريسي
 وأخذها عن بشر أحمد بن أبي دواد ، وأما الجهم بن صفوان فقتله سلم بن أحوز أمير
 خراسان سنة مائة وثمانية وستين ، ونسبت الطائفة إلى الجهم لأنه هو الذي فاضل
 عن هذا المذهب الخبيث وأظهره ودعا إليه ، وتقلد هذا المذهب الخبيث بعده المعتزلة
 ولكن كان الجهم أدخل في التعطيل منهم لأنه ينكر الأسماء حقيقة وهم لا ينكرون
 الأسماء بل الصفات ، قال جمع من العلماء في الجهمية : إنهم ليسوا من فرق هذه الامة
 الثنتين والسبعين فرقة ، منهم عبد الله بن المبارك ويوسف بن اسباط وغيرهم ، قال
 ابن القيم رحمه الله في النونية :

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
 واللا لكائي الإمام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني
 قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة
 أئمة السنة تكفير الجهمية وهم الممثلة لصفات الرحمن ، فان قولهم صريح في مناقضة
 ما جاءت به الرسل من الكتاب والسنة ، وحقيقة قولهم جحود الصانع وجحود ما أخبر
 به على لسان رسوله بل وجميع الرسل ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك : إنا لنحكي كلام

وأهل التمثيل المشبهة ، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية

اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية ، وقال غير واحد من الأئمة :
لأنهم أكفر من اليهود والنصارى .

قوله (وأهل التمثيل المشبهة) أهل التمثيل المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه ومثله
بهم - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - والتشبيه ينقسم إلى قسمين كما تقدم :
الاول : تشبيه الخالق بالخلق كما تقول لله يد كأيدينا وعين كأعيننا وقدم كأقدامنا
الثاني : تشبيه المخلوق بالخالق كتشبيه الاصنام والاوثان بالله سبحانه وتعالى عن ذلك
فانه سبحانه لا شبهة له ولا مثيل له ولا نظير ، قال تعالى (هل تعلم له سميا) - (ولم
يكن له كفواً أحد) - (فلا تضربوا لله الامثال) - (ليس كمثل شيء وهو السميع
البصير) فالمعطلة غلوا في النفي حتى شبهوه بالمعدومات والناقصات ، والمشبهة غلوا في
الإثبات حتى شبهوه بالخلق ، وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله الاسماء والصفات
ونفوا عنه مشابهة المخلوقات .

قوله (وهم وسط في أفعال الله بين الجبرية والقدرية) فالجبرية نفوا أفعال العباد
وزعموا أنهم لا يفعلون شيئاً البتة وإنما الله هو فاعل تلك الافعال حقيقة فهي نفس
فعله لا أفعالهم ، والعبيد ليس لهم قدرة ولا إرادة ولا فعل البتة ، وإنما أفعال العباد
كحفيف الاشجار أو كحركة المرتعش والكل فعل الله ، وعليه فسائر الافعال طاعة
لأنها موافقة لإرادة الله الكونية القدرية ، فالزنا والواط والقتل وشرب الخمر على
هذا القول طاعات ، وقد قال بعض غلاتهم :

أصبحت منفعلاً لما يختاره ربي ففعلت كله طاعات

ولا شك في فساد هذا المذهب ، وأدلة الكتاب والسنة بل والعقل متواطئة على
رده وإبطاله بل لا يمكن أن تعيش أمة على هذا المذهب الخبيث أو تنتظم أمورها ولا
شك أن هذا المذهب مخالف لجميع أديان الانبياء . والجبرية هموا بذلك لأنهم يقولون
إننا مجبورون على أفعالنا ، فغلوا في إثبات القدر وزعموا أن العبد لا فعل له البتة ،

قال في التمرينات الجبرية من الجبر ، وهو إسناد فعل العبد إلى الله ، والجبرية إثباتان متوسطة تثبت للعبد كسباً في الفعل كالاشعرية ، وخالصة لا تثبت كالجهمية ، انتهى ولفظ جبر لفظ مبتدع أنكره السلف كالثوري والاوزاعي وأحمد وغيرهم ، وقالوا الجبر لا يكون إلا من عاجز ، فيقال جبل كما جاءت به السنة ، أشار إلى ذلك الشيخ تقي الدين وابن القيم رحمهما الله ، وأصل قول الجبرية مأخوذ عن الجهم بن صفوان فهو إمام المجبرة ، والجبرية عكس القدرية نفاة القدر ، فإن القدرية نسبوا إلى القدر لفهمهم إياه ، وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر والتسمية على النافين أغلب قال الشيخ تقي الدين في تاليفته :

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طراً فرقة القدرية سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به للشريعة فالقدرية النفاة هم الذين ورد فيهم الحديث الذي في السنن أنهم مجوس هذه الامة وأكثر المعتزلة على هذا المذهب الباطل ، فأنهم يقولون أن أفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره ، فأنه سبحانه وتعالى على زعمهم لا يقدر على أفعال العباد ولا شاءها منهم ، ولكنهم يعملونها دون مشيئة الله وقدرته ، وأن الله لا يقدر أن يهدي ضالاً ولا يضل مهتدياً ، فأنبتوا خالقاً مع الله سبحانه ، وهذا إشراف مع الله في توحيد الربوبية .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : وقول القدرية يتضمن الإشراف والتعطيل فإنه يتضمن إخراج بعض الحوادث عن أن يكون لها فاعل ويتضمن إثبات فاعل مستقل غير الله ، وهاتان شعبتان من شعب الكفر ، فإن أصل كل كفر هو التعطيل والشرك ، انتهى منهاج .

وقد وردت أحاديث في ذم القدرية وأنهم مجوس هذه الامة ، وذلك لمضاهاة قولهم لقول المجوس ، فإن المجوس يثبتون خالقين : خالق الخير وخالق الشر ، وهما النور

وفى باب وعيد الله بين المرجئة

والظلمة ، فالنور خالق الخير والظلمة خالقة الشر ، وكذلك القدرة أثبتوا خالقين : أثبتوا أن الله خالق الحيوان وأن الحيوان يخلق فعل نفسه ، فما ورد في ذمهم ما رواه أبو داود فى سفة من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال « القدرة مجوس هذه الالة إن مرضوا فلا تمودوم وإن ماتوا فلا تشهدوم » وروى فى ذم القدرة أحاديث أخر تكلم أهل الحديث فى صحة رفعها ، والصحيح أنها موقوفه ، وأول من تكلم فى القدر معبد الجهنى ثم غيلان الدمشقى ، وكان ذاك فى آخر عصر الصحابة ، وأنكر عليهم الصحابة وتبرءوا منهم وبدعوم ، فالجبريه غلوا فى إثبات القدر والمعتزلة غلوا فى نفيه ، وهدى الله أهل السنه والجماعه للقول الوسط الذى تؤيده أدلة الكتاب والسنة ، فأثبتوا أن العباد فاعلون حقيقة ، وأن أفعالهم تنسب إليهم على جهة الحقيقة لا على جهة المجاز ، وأن الله خالقهم وخالق أفعالهم كما قال (والله خلقكم وما تعملون) وأثبتوا لعبد مشيئة واختياراً تابعين لمشيئة الله كما قال سبحانه (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) وسيأتى الكلام على هذه المباحث إن شاء الله .

قوله (وفى باب وعيد الله) الوعيد التخويف والتهديد ، فالوعيد والإيعاد فى الشر وأما الوعد والعدة وفى الخير كما قال الشاعر :

وإنى وإن أوعدته أو وعدته تخلف إيعادى ومنجز موعدى

قوله (المرجئة) المرجئة نسبة إلى الإرجاء أى التأخير لأنهم أخرؤا الاعمال عن الإيمان حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق وأن الناس فى الإيمان سواء فإيمان أفسق الناس كإيمان الانبياء ، وأن الاعمال الصالحة ليست من الإيمان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكايه ، ومذهبهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة ، ولا شك أن هذا المذهب من أخبث المذاهب وأفسدها إذ يدعو إلى الانسلاخ من الدين وإهمال جميع الاعمال واستباحة جميع المنكرات وهؤلاء أحد فرق المبتدعة ، قال الشيخ تقي الدين : لا تختلف نصوص أحمد أنه لا يكفر المرجئة ، فان بدعتهم

من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع، والمرجئة فرقتان (الأولى) الذين قالوا إن الأعمال ليست من الإيمان وهم مع كونهم مبتدعة في هذا القول فقد وافقوا أهل السنة على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وعلى أنه لا بد في الإيمان أن يتكلم به بلسانه، وعلى أن الأهل المفرضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب، وقد أضيف هذا القول إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة.

أما الفرقة الثانية فهم الذين قالوا إن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب وإن لم يحكم به، ولا شك في فساد هذا القول ومصادمته لأدلة الكتاب والسنة، فإن الإيمان قول باللسان وعمل بالاركان واعتقاد بالجنان، فاذا اختل واحد من هذه الاركان لم يكن الرجل مؤمناً، وعلى هذا أدلة الكتاب والسنة، ودرج على هذا السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين، انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتصريف.

قوله (الوعيدية) وهم القائلون بالوعيد وهو أصل من أصول المعتزلة، وهو أن الله لا ينفرد لمرتكب الكبيرة إلا بالتوبة وأن أهل الكبائر مخلصون في النار ويخرجونهم من الإيمان بالكايه ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ وغيره زعماً منهم أنه إذا أوعد عبده فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده، وهذا المذهب يقول به المعتزلة والخوارج وهو باطل ترده أدلة الكتاب والسنة المتواترة والاجماع، قال الله تعالى (إن الله لا ينفرد أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء) قال في فتح المجيد: وفي الآيه رد على الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة انماثلين بأن أصحاب الكبائر يخلصون في النار، وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار، ولا يجوز أن يحمل قوله سبحانه (ويفر ما دون ذلك لمن يشاء) على التائب فإن التائب من الشرك مغفور له كما قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر

الذنوب جميعاً) فهذا هم وأطلق ، لأن المراد هنا التائب وهناك خص وعلق ، لأن المراد به من لم يتب ، هذا ملخص كلام شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله .
 أما القول الوسط الذي عليه أهل السنة والجماعة فهو أن الفاسق معه بعض الإيمان وأصله وليس معه جميع الإيمان الواجب الذي يستوجب به الجنة ، فهو تحت مشيئة الله إن عفى عنه أدخله الجنة من أول وهلة وإلا عذبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة فلا بد له من دخول الجنة ، فلا يدخل الإيمان المطلق ، ولا يساب عنه مطلق الإيمان بل يقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبريته أو يقال مؤمن ناقص الإيمان وهذا هو الحق الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسنة ، ودرج عليه الساف الصالح ، عكس ما عليه الخوارج والمعتزلة والمرجئة ، فالمرجئة في طرف ، والخوارج والمعتزلة في طرف آخر ، فالخوارج والمعتزلة غلوا والمرجئة جفوا ، فالمرجئة يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب ، والخوارج يقولون يكفر المسلم بكل ذنب ، وكذلك المعتزلة يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان ، لكن الخوارج يقولون يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر والمعتزلة يقولون يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر إلى يكون في منزلة بين منزلتين وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار وكلاهما مخالف للسنة المتواترة والإجماع سلف الامة وأئمتها .

وأما استدلالهم بقوله سبحانه (لا يصلاحها إلا الأشقي) فقد بين النبي ﷺ أن هذا الصلي لأهل النار الذين هم أهلها كما في حديث أبي سعيد ، وأن الذين ليس هم من أهلها فانها تصيبهم بذنوبهم ، وأن الله يميتهم فيها حتى يصيروا لحماً ، ثم يشفع فيهم فيخرجون ويؤتى بهم إلى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، وهذا المعنى مستفيض عن النبي ﷺ بل متواتر في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما ، قال والصلي المذكور في الآية هو الصلي المطلق وهو المسكت فيها والخلود هي وجه يصل العذاب إليهم دائماً ، فأما من دخل

وخرج قاته نوع من الصلى ليس هو الصلى المطلق ، انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتصرف .

قوله (وفى باب أسماء الإيمان والدين) أى ان هؤلاء تنازعوها فى الاسماء والاحكام أى أسماء الدين مثل مسلم وكافر وفاسق ، وكذلك فى أحكام هؤلاء فى الدنيا والآخرة فالخوارج والمعتزلة متفقون فى اسم الدين مثل مؤمن ومسلم وفاسق وكافر ، إلا أن المعتزلة أحدثوا المنزلة بين المنزلتين ، وهذه خاصة المعتزلة التى اختصوا بها دون غيرهم دون سائر أقوالهم فقد شاركهم فيها غيرهم ، فالخوارج والمعتزلة يقولون إن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد ولكن لا يزيد ولا ينقص ، ومن أنى كبيرة كفر عند الحرورية ، وصار فاسقاً عند المعتزلة فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر . وأما الحكم فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم فى الآخرة ، فعندهم أن من أنى كبيرة فهو خالد مخلد فى النار لا يخرج منها لا بشفاعه ولا بغير شفاعه ، أما فى الدنيا فالخوارج حكموا بكفر العاصي واستحلوا دمه وماله ، وأما المعتزلة فحكموا بخروجه من الإيمان ولم يدخلوه فى الكفر ولم يستحلوا منه ما استحلته الخوارج ، وقابلتهم المرجئة والجهمية ومن اتبعهم فقالوا ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة ، ولا ترك المحظورات البدنية فان الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان بل هو شيء واحد يستوى فيه جميع المؤمنين من الملائكة والمقتصدين والمقربين والظالمين ، فالمرجئة يقولون الإيمان مجرد التصديق ، والجهمية يقولون مجرد المعرفة والأعمال ليست من الإيمان ، فأيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء والمرسلين ، وقالوا لا يضر مع الإيمان ذنب ، فالخوارج والمعتزلة غلوا والمرجئة والجهمية جفوا ، وهدى الله أهل السنة والجماعة للقول الوسط وهو كما تقدم أن الإيمان والدين قول وعمل واعتقاد وأنه يزيد وينقص وأن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، أو مؤمن ناقص الإيمان ، وأما حكمه فى الآخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء عاقبه وأدخله الجنة من أول وهلة وإلا عذب بقدر

بين الحرورية المعتزلة وبين المرجئة الجهمية ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين
الرافضة والخوارج .

ذنبه ثم دخل الجنة ، فلا بد له من دخول الجنة ، ، هذا هو القول الحق الذي تدل
عليه أدلة الكتاب والسنة وعاليه السلف الصالح والائمة .

قوله (الحرورية) هم الخوارج ، هموا حرورية نسبة إلى قرية حروراء بالفتح والمد
قرية بالعراق قريبة من الكوفة اجتمعوا فيها حين خرجوا على علي رضي الله عنه
فسمى الخوارج حرورية .

وأما المعتزلة فهم أصحاب وأصل بن عطاء المزال اعتزل عن مجلس الحسن البصري
وأخذ يقرر أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر ويثبت له المنزلة بين المنزلتين
فقال الحسن قد اعتزل عنا أصل ، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم
وقالوا إن من يقول بالتدريج شره من الله أولى باسم القدرية ، ويرده قوله ﷺ
القدرية مجوس هذه الامة ، ولقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب
الاصلاح على الله ، وقولهم بنى الصفات وبأن كلامه مخلوق محدث ، وبأنه غير مرئي
في الآخرة ، ويجب عليه رعاية الحكمة في أفعاله ، وثواب المطيع والعقاب ، وعقاب
صاحب الكبيرة ثم افترقوا هشرين فرقة يكفر بعضهم بعضا .

قوله (الرافضة) من الرفض وهو الترك ، هموا بذلك لأنهم قالوا يزيد بن علي بن
الحسين بن أبي طالب تبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال معاذ الله
وزير اجدى فتركوه ورفضوه ، فسموا رافضة والنسبة رافضي ، والرافضة فرق شتى
قد تكفل الشيخ تقي الدين بن تيمية ببيان مذهبهم والرد عليهم في كتابه منهاج السنة
ويلقبون بالشيعه ، وكان هذا القلق في الاصل للذين ألفوه في حياته كسلمان وأبي ذر
والمقداد وعمار وغيرهم ، ثم صار بعد ذلك لقباً على من يرى تفضيله على كل الصحابة
ويرى أموراً أخرى لا يرضاها على ولا أحد من ذريته ولا غيرهم ممن يقتدى به ، قال
في المنهاج : هموا بالشيعه لما افترق الناس فرقتين : فرقة شايعة أو لياه عثمان وفرقة

شايست على رضى الله عنه ولم يكونوا يسمون رافضة في ذلك الوقت ، وإنما صموا رافضة لما خرج زيد بن علي بن الحسين في الكوفة في خلافة هشام بن عبد الملك فسأله الشيعة عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما فرفضه قوم فقال رفضتموني فسموا رافضة وتولاه قوم فسموا زيدية لانتسابهم إليه ، انتهى .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : أول من ابتدع الرفض عبد الله بن سبأ وكان مناقماً زنديقاً أراد إفساد دين الاسلام ، كما فعل بولس صاحب الرسائل القى بأيدي النصارى حيث ابتدع لهم بدعاً أفسد بها دينهم - وكان يهودياً - فأظهر النصرانية نقاباً لقصد إفساد ملتهم ، وكذلك كان ابن سبأ يهودياً فأظهر الاسلام والتفلسك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليتمكن بذلك من أغراضه الفاسدة ، فسعى في فتنة عثمان وقتله ، ثم لما قدم الكوفة أظهر الغلو في علي بن أبي طالب ، فبلغ ذلك علياً فطلبه ليمقتله فهرب إلى قرقيسا ، انتهى

والرافضة من أخبث الطوائف حتى أخرجهم بعض العلماء من فرق الآمة ، وروى عن الشعبي أنه قال : أحذركم هذه الأهواء المضلة وشرها الرافضة لم يدخلوا في الاسلام رغبة ولا رهبة ، ولكن مقتاً لأهل الاسلام وبغياً عليهم ، قد حرقهم علي بن أبي طالب ونقام إلى البلدان ، منهم عبد الله بن سبأ - يهودى من أهل صنعاء نفاه إلى ساباط - وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر ، وكلام أهل العلم في ذمهم كثير جداً .

وأما الخوارج فسموا بذلك لخروجهم على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومفارقتهم له وقد ثبت أن النبي ﷺ قال : تمرق مارقة على حين فرقة من الناس تقتلهم أولى الطائفتين بالحق . فخرجوا في زمن علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقتلهم على وطائفتهم وقال ﷺ في حقهم : يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة ، وقد روى

﴿ فصل ﴾

وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر
عن رسوله

مسلم أحاديثهم في صحيحه من عشرة أوجه . واتفق الصحابة على قتلهم ، وفي الترمذى
عن أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ في الخوارج « إنهم كلاب أهل النار ، وقرأ هذه
الآية (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وقال الامام أحمد : صح الحديث في الخوارج
من عشرة أوجه ، وقد خرجها مسلم في صحيحه ، وخرج البخارى طائفة منها . وقال
الشيخ تقي الدين رحمه الله : الخوارج هم أول من كفر المسلمين بالذنوب ويكفرون
من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله ، وأول بدعة حدثت في الاسلام بدعة
الخوارج والشيعة حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب فعاقب
الطائفتين ، أما الخوارج فقاتلوه فقتلهم ، وأما الشيعة فحرق غالبيتهم بالنار ، وطلب
قتل عبد الله بن سبأ فهرب منه ، وأمر بجلده من يفضله على أبي بكر وعمر ، وروى
عنه من وجوه كثيرة أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ورواه
عنه البخارى في صحيحه . انتهى

فالخوارج والرافضة في أصحاب رسول الله في طرفي تقيض ، فالرافضة غلوا في على
ابن أبي طالب وأهل البيت وكفروا بجميع الصحابة كالثلاثة وهن والاهم وفسقوهم ،
ويكفرون من قاتل عليا ويقولون إن عليا إمام معصوم ، وقالوا لا ولاء إلا ببراء ، أى
لا يهولى أحد عليا حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر ، وقد تقدم الكلام عليهم .
وأما الخوارج فانهم يكفرون عليا وعثمان ومن والاها ، وأما أهل السنة والجماعة
فقتلهم في الصحابة وسط لم يفلوا غلو الرافضة ولم ينجفوا كالخوارج بل والوا جميع
الصحابة وأحبوهم وعرفوا فضلهم وأنزلوهم منازلهم التي يستحقونها فلم يظلموهم حقهم
ولم يفلوا فيهم واعتقدوا أنهم أفضل هذه الأمة علما وعملا فرضوان الله عليهم أجمعين
قوله (تواتر) التواتر لغة التتابع واصطلاحا خبر عدد يمتنع معه لكثرة تواتره

على الكذب عن محسوس ، وينقسم إلى قسمين (الأول) لفظي وهو ما اشترك حده في لفظ بعينه ، وذلك كحديث : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، رواه نيف وستون منهم العشرة (الثاني) معنوي بأن يتوأتأ معنى في ضمن أحاديث مختلفة الألفاظ متحدة المعنى .

قوله (سلف الأمة) أى متقدمهم ، والمراد السلف الصالح وهم الصدر الأول من التابعين وغيرهم الذين هم حملة الشريعة ونقل الدين على التحقيق .

قوله (وقد دخل) الخ ، أى وقد دخل في الإيمان بالله الإيمان بعلوه سبحانه وفوقيته واستوائه على العرش ، فمن لم يؤمن بعلوه وفوقيته لم يؤمن به ولم يصدق رسوله ولم يؤمن بكتاباه وبما جاء به رسوله محمد ﷺ . قال إمام الأئمة ابن خزيمة : من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سموات وأنه بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريجه أهل القبلة وأهل الذمة قوله (بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله) كما قال سبحانه (وهو القاهر فوق عباده) وقوله (يخافون ربهم من فوقهم) إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في إثبات العلو التام بجميع أنواعه والفوقية ، وقد تقدم ذكر أنواع العلو والفوقية وتقدم حديث الاوعال وغيره من الاحاديث الصريحة في إثبات العلو والفوقية وأدلة إثبات العلو والفوقية متواترة ، وانضم إلى ذلك شهادة الفطر والعقول المستقيمة والنصوص الواردة الدالة على علو الله وكونه فوق عباده تقرب من عشرين نوعاً ، وإفراد هذه الانواع لو بسطت لبلغت نحو ألف دليل كما ذكره ابن القيم رحمه الله وغيره .

قوله (وأجمع عليه سلف الأمة) قال أبو عمر الطلمنكي رحمه الله : أجمع أهل السنه على أن الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ، ثم ساق بسنده عن مالك قوله الله في السماء وعلمه في كل مكان ، ثم قال أجمع المسلمون من أهل السنه أن معنى قوله وهو معكم أينما كنتم ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته

من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه على^١ خلقه ، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون — كما جمع بين ذلك في قوله (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)

مسقو على عرشه ، وهذا كثير فى كلام الصحابة والتابعين والأئمة فأنبتوا ما أنبته الله فى كتابه وعلى لسان رسوله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته .
 قوله (وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون) أى هو سبحانه مع عباده بلمة وإحاطته وإطلاعه ومشاهدته ، لا يخفى عليه منهم شيء ، ومعيته سبحانه لعباده لاتنافى علوه وفوقيته ، فانه جمع بينهما فى قوله (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) الآية ، كما أشار إلى ذلك المصنف بقوله :

(كما جمع بين ذلك فى قوله « وهو الذى خلق السموات والارض » الخ .
 فأخبر سبحانه أنه خلق السموات والارض وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه ، فلو سبحانه وتعالى لا يناقض معيته ، ومعيته لاتبطل علوه بل كلاهما حق ، وهذه الآية من أحل شيء على مباينة الرب لخلقائه فانه لم يخلقهم فى ذاته بل خلقهم خارجاً عن ذاته ثم بان ذنهم باستوائه على عرشه ، وهو يعلم ما هم عليه وينفذ بصره فيهم ويحيط بهم علماً وقدره ومهماً وبصراً ، وفى هذه الآية إثبات علوه سبحانه وتعالى واستوائه على عرشه ، وفيها إثبات علوه وإحاطة علوه بالكلمات والجزئيات وبما كان وما يكون وما لم يكن ولو كان كيف يكون ، وفيها إثبات معيته سبحانه لخلقائه وأن معيته سبحانه وتعالى لاتنافى علوه وفوقيته ، فانه جمع بينهما ، وفيها الرد على من زعم أن الاستواء مجاز ، وأن معنى استوى استولى ، لأن الله قال استوى فى عدة مواضع والاستواء غير الاستيلاء فان الاستواء معناه العلو والارتفاع وأما الاستيلاء فلا يكون إلا بعد مغالبة ، ولأنه سبحانه خص العرش بالاستواء ولو كان المراد الاستيلاء لم يخصه لأنه مستول على الخلق جميعهم ، وقد رد تأويل

وليس معنى قوله وهو معكم إنه مختلط بالخلق ، فان هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة

الاستواء بالاستيلاء من وجوه عديدة أنهاها ابن القيم رحمه الله إلى اثنين وأربعين وجهاً وقد تقدم ذكر بعضها ، وفي الآية فوائد غير ما ذكر ، قد تقدمت الإشارة إليها في الكلام على الآيات .

قوله (وليس معنى قوله وهو معكم إنه مختلط بالخلق) بل المعنى أنه معهم بعلمه وإطلاعه ومشاهدته ، وقد تقدم طرف من الكلام في هذا الموضوع .

قوله (فان هذا لا توجبه اللغة) أى أن لغة العرب لا توجب أن (مع) تفيد اختلاطاً أو امتزاجاً أو مجاورة ، فان مع في كلام العرب للصحبة اللائقة لا تشمر بامتزاج ولا اختلاط ولا ملامسة ولا مجاورة ، فتقول زوجتى معى وهى فى مكان وأنت فى مكان ، ويقولون ما زلنا نسير والقمر معنا ، وقال تعالى (وكونوا مع الصادقين) فليس فى هذا ما يدل على الاختلاط والامتزاج ، فكيف تكون حقيقة المعية فى حق الرب ذلك فليس فى ذلك ما يدل على أن ذاته فيهم ولا ملاصقة لهم ولا مجاورة بوجه من الوجوه ، وغاية ما تدل عليه المصاحبة وهى فى كل موضع بحسبه .

قوله (وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة) أى أن ما زعمه أهل البدع أنه سبحانه فى كل مكان بذاته أو أنه مختلط بالخلق ممتزج بهم أو حال فيهم إلى غير ذلك من الأقوال مبتدعة مخالفة لما عليه السلف الصالح ، فان السلف الصالح أجمعوا على أن الله سبحانه مستو على عرشه عال على خلقه باين منهم ليس فى ذاته شئ من مخلوقاته ولا فى مخلوقاته شئ من ذاته كما تواترت بذلك الأدلة ، وقد تقدم أيضاً ذكر إجماع السلف على أن معنى قوله (وهو معكم) أنه معهم بعلمه ، وقال أبو بكر الاجرئ إمام عصره فى الحديث والفقه فى كتابه : فان قال قائل فما معنى قوله « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » الآية ، قيل له علمه معهم والله على عرشه ، وعلمه محيط

وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته

بهم ، كذا فسرهُ أهل العلم ، والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم وهو على عرشه ، هذا قول المسلمين . انتهى

قوله (فطر) أى خلق ابتداءً ومنه « فاطر السموات » الآية ، أى أن ما زعموه من أنه سبحانه مختلط بالخلق أو حال فيهم خلاف ما فطر الله عليه الخلق ، فإن الخلق فطروا على الإقرار بعلوه سبحانه على خلقه ، وإنما جاءت الرسل بتقرير ما فى الفطر والعقول ، فالمقل الصحيح لا يخالف النقل الصريح ، ولما سأل النبي ﷺ الجارية أين الله ؟ قالت فى السماء ، وقال يزيد بن هارون : من ذم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر فى قلوب العامة فهو جهى .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : والذى تقرر فى قلوب العامة هو ما فطر الله عليه الخليفة من توجهها إلى ربها عند النوازل والشدائد إليه تعالى نحو العلو لا هتفت بمنة ولا يسرة من غير موقف وقفهم عليه ولكن فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يحبسهم وينقله إلى التعطيل من يقبض له ، انتهى

قوله (بل القمر آية) الآية لغة العلامة والآية والدليل والبرهان والسلطان والحجة ألفاظ متقاربة ، أى أن القمر من الآيات الدالة على وجوده سبحانه وعظم قدرته وأنه المستحق للمعبادة ، قال الله سبحانه وتعالى « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر » الآية ، وقد أقسم الله سبحانه بالقمر الذى هو آية الليل ، وفيه من الآيات الباهرة الدالة على ربوبية خالقه وبارئه وحكمته وعلمه ما هو معلوم بالمشاهدة .

والآيات تنقسم إلى قسمين : آيات مشاهدة مرئية كالسموات والأرض والشمس والقمر ونحو ذلك ، وآيات مسموعة متلوة كالقرآن ، وكذلك السنة فانها مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن ، فأياته العيانة فى خلقه تدل على صدق آياته المسموعة المتلوة كما قال تعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

وهو موضوع في السماء ، وهو مع المسافرين وغير المسافرين أينما كان ، وهو سبحانه فوق العرش

أى أن القرآن حق فأخبر أنه يدل بآياته المرئية على صدق آياته المتلوة المسموعة .
قوله (وهو موضوع في السماء) أى القمر موضوع في السماء الدنيا .

قوله (وهو مع المسافرين) من السفر وهو لغة قطع المسافة من أسفر إذا برز ، ومنه السفر وهى السكتب لأنه يسفر عما فيه ، قيل معنى السفر بالفتح سَفَرًا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال . قوله (وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان) أى القمر مع المسافر وغير المسافر ، فإنه يقال ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم والقمر فى مكانه غير مختلط بهم ولا محاذ ولا مماس ولا مجاور ولا يفهم أحد منه هذا ، هذه لغة العرب المعروفة لديهم ، فإذا كان هذا فى القمر الذى هو من أصغر مخلوقات الله فكيف تكون حقيقة المعية فى حق الرب ذلك ، فإن غاية ما تدل عليه (مع) المصاحبة وهى فى كل موضع بحسبه ، وقد ضرب النبي ﷺ مثلا بذلك بالقمر (والله المثل الأعلى) ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق ، فقال النبي ﷺ « ما منكم من أحد إلا سبى ربه مخليا به » فقال له أبو رزین العقيلي : كيف يارسول الله وهو واحد ونحن جمع ؟ فقال النبي ﷺ : سأنبئك بمثل هذا فى آلاء الله ، هذا القمر كلّم رآه مخليا به ، وهو آية من آيات الله فالله أكبر أو كما قال النبي ﷺ ، فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئى مشابهاً للمرئى ، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ، ولا منافاة أصلا ، انتهى من الحوية باختصار .

قال ابن القيم رحمه الله على حديث أبى رزین : وفيه القياس فى أدلة التوحيد والمعاد والقرآن مملوء منه ، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره ، انتهى

قوله (فوق العرش) كما قال سبحانه (الرحمن على العرش استوى) فى سبع مواضع

رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم - إلى غير ذلك من معاني ربوبيته . وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يسان

من القرآن ، وقال تعالى (يخافون ربهم من فوقهم ، وهو القاهر فوق عباده) إلى غير ذلك من الآيات ، وقد تقدم الكلام على هذا الموضوع والإشارة إلى أن الأدلة على علو الله وفوقيته بلغت حد التواتر وتواطأ على ذلك دليل العقل والفطرة .

قوله (رقيب على خلقه) قال الله سبحانه (إن الله كان عليكم رقيباً) أى أنه سبحانه مراقب لأحوالكم وأعمالكم لا يخفى عليه خافية ، وفيها إرشاد وحث على مراقبة الله واستحضار قربهِ ، كما في الحديث « أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حينما كنت »

قوله (مهيمن عليهم) قال ابن عباس وغير واحد : المهيم أى الشاهد على خلقه بأعمالهم ، بمعنى هو رقيب عليهم ، كقوله سبحانه (والله على كل شيء شهيد) يقال هيمن يهيمن فهو مهيم إذا كان رقيباً على الشيء .

قوله (إلى غير ذلك من معاني ربوبيته) فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالاً مدبراً متصرفاً في خلقه ، يعلم ويقدر ، ويسمع ويبصر ، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته .

قوله (حق على حقيقته) فيجب اعتقاده والإيمان به لتواطؤ الأدلة على إثباته ، والحق في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، وفي اصطلاح أهل المعاني هو الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال والاديان والمقائد والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك ويقابله الباطل ، انتهى تعريفات

قوله (حقيقته) الحقيقة اسم لما أريد به ما وضع له فعيلة من حق الشيء إذا ثبت بمعنى فاعله وفي الاصطلاح هو كلة مستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب به .

قوله (ولكن) حرف استدراك . قوله (يسان) أى يحفظ ، يقال صانه يصونه

صيانة أى حفظه . قوله (من الظنون الكاذبة) الظن مصدر من باب قتل ، وهو خلاف اليقين ، قاله الازهرى وغيره ، وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله سبحانه (الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) الآية .

قوله (وكل هذا الكلام حق على حقيقته) الخ . هذا إشارة للرد على المعطلة من الجهمية والمعتزلة وأشباههم الذين يزعمون أن ما جاء من ذكر فوقيته وعلوه واستوائه على عرشه ليس بحقيقة وإنما هو مجاز ، وما زعموه باطل مصادم لأدلة الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة وإجماع السلف على أن ذلك حقيقة كما يليق بجلال الله سبحانه وعظمته قال ابن القيم رحمه الله فى الصواعق : وما ادعوا فيه أنه مجاز (الفوقية) وساق أدلة كثيرة فى إثبات الفوقية الكاملة من جميع الوجوه ، منها أن الاصل الحقيقة والمجاز على خلاف الاصل ، ومنها أن الظاهر خلاف ذلك ، ومنها أن الاستعمال المجازى لا بد فيه من قرينة تخرجه عن حقيقته ، فأين القرينة فى فوقية الرب ؟

وقال أبو عمر الظلمنى : أجمع أهل السنة على أن الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز . وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر أن الله فوق كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه العلى الاعلى ، وأنه مستو على عرشه ، وساق أدلة كثيرة فى إثبات ما ذكر وأنه حقيقة وإبطال ما زعموه من المجاز ، وقد تسكّرت الأدلة فى ذلك ، وأجمع على ذلك السلف ودل على ذلك أيضاً دليل العقل وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة والشبه الفاسدة التى لا يمارض بها ما دل عليه نصوص الوحي والأدلة العقلية ، وقد ذم الله سبحانه الظن المجرد وأهله فقال (إن يقبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس وإن الظن لا يغنى عن الحق شيئا) وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »

وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله : النفاة للعلو ونحوه من الصفات ممتزفون بأنه ليس

مثل أن يظن أن ظاهر قوله في السماء أن السماء تُقلَّه أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان

مستندهم خبر الانبياء لا الكتاب ولا السنة ولا أقوال السلف الصالح ، ولا مستندهم فطرة العقل وضرورته ، ولكن يقولون معنا النظر العقل ، وأما أهل السنة المئبئون للعلو فيقولون إن ذلك ثابت بالكتاب والسنة والإجماع مع فطرة الله التي فطر العباد عليها وضرورة العقل مع نظر العقل واستدلالة ، انتهى

وقوله (لا يحتاج إلى تحريف) إشارة للرد على المأطلة الذين حرفوا الأدلة ومحموا تحريفهم تأويلا ، نرويها على الجبال ، وهو في الحقيقة تبديل وتغيير لكلام الله ورسوله ، فان ما جاء من الأدلة في اثبات العلو والفوقية وغير ذلك من الصفات صريح اللفظ واضح المعنى نص في معناه لا يحتمل التأويل .

قوله (قلّه) أى تحمله وترفعه . قوله (أو تظله) أى تستره والظالة الشيء الذى يظلك من فوق . قوله (مثل أن يظن أن ظاهر قوله في السماء) الخ . أى فى مثل قوله سبحانه (أأمنتم من فى السماء) وقول الجارية لما سأها النبي ﷺ قالت « فى السماء » وهذا ظن فاسد مصادم لأدلة الكتاب والسنة الصريحة الدالة على علو الله سبحانه وفوقيته وعلى أنه فوق عرشه حقيقة بائن من خلقه لا يحل فيهم ولا يختلط ، فليس فى ذاته شيء من مخلوقاته ، ولا فى مخلوقاته شيء من ذاته ، من زعم غير ذلك فقد ظن به ظن السوء وتنقصه غاية التنقص .

وقال الشيخ نقي الدين رحمه الله : فأهل السنة إذا قالوا إنه فوق العرش أو أنة فى السماء لا يقولون إن هناك شيء يحويه أو يحصره ويكون محلا له أو ظرفا أو وعاء ، تعالى الله عن ذلك ، بل هو فوق كل شيء ، وهو مستغن عن كل شيء وكل شيء مفتقر إليه ، وهو عال على كل شيء ، وهو الحامل للعرش ولحمة العرش بقوته وقدرته ، وهو غنى عن العرش وعن كل مخلوق . . . قال : وما جاء فى الكتاب والسنة من قوله « فى السماء » قد يفهم منه بعضهم أن السماء نفس المخلوق العالى العرش فما دونه ، فيقولون إن قوله فى

فإن الله قد وسع كرسیه السموات والارض ، وهو الذى يمسك السموات والارض أن
تزولا — ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه ،

السماء بمعنى على السماء ، كما قال « لأصلبكم فى جذوع النخل » ولا حاجة لهذا ، بل السماء
جنس للعالمى لا يخص شيئاً ، فقوله فى السماء ، أى فى العالم دون السفلى ، وهو المسمى الاعلى
فله أعلى العالم ، وهو ما فوق العرش ، وليس هناك غير المسمى الاعلى سبحانه . انتهى
قال : فالجهمية وأشباههم لا يصفونه سبحانه بالعالم بل إما أن يصفونه بالعالم والسفلى
وإما أن ينفوا عنه العالم والسفلى فهم نوعان : قسم يقولون إنه فى كل مكان بذاته .
والقسم الآخر يقولون إنه لا داخل العالم ولا خارجه ، فالقسم الاول وصفوه بالخلول فى
الامكنة ولم ينزهوه عن المحال المستفردة ، والقسم الثانى وصفوه بالعدم — تعالى الله عن
قولهم علواً كبيراً —

قوله (فانه قد وسع كرسیه السموات والارض) لما ذكر المصنف رحمه الله العالم
والفوقية وانها حقيقة ثابتة لله على ما يليق بجلاله وعظمته أورد بعد ذلك بعض الأدلة
التقليدية والعقلية فى إثبات ذلك فقال (فإن الله قد وسع كرسیه السموات والارض) أى
ملا وأحاط ، والكرسى مخلوق عظيم بين يدى العرش ، وهو أعظم من السموات
والارض ، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء وقد ذكر ذلك ، فإذا كانت السموات
والارض بالنسبة إلى الكرسي الذى هو بالنسبة إلى العرش شيء صغير والله سبحانه
وتعالى العظيم الاعظم الذى لا أجل منه ولا أعظم ، فكيف تحويه السموات والارض
أو تحوطه أو تقله أو تظله ، فهذه الآية صريحة فى علو الله ومباينته لخلقه وأنه غير
مختلط بهم ولا مازج لهم ولا حال فيهم — تعالى الله عما يقول المبتدعة علواً كبيراً —

قوله (وهو يمسك السموات والارض أن تزولا) أى أن تضطربا عن أماكنهما .
قوله (ويمسك السموات أن تقع على الارض إلا باذنه) أى إلا بأمره ومشئته . وفى
الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى
السماء يمينه ثم يقول : أنا الملك أبين ملوك الارض »

ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره .
﴿ فصل ﴾ وقد دخل في ذلك

قوله (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) أى من العلامات الدالة على وجوده سبحانه وعظيم قدرته وقيام كل شيء به قال سبحانه (قل هو القائم على كل نفس بما كسبت) وقال (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) أى القائم بنفسه المقيم لغيره ، القائم بتدبير خلقه وأرزاقهم وجميع أحوالهم . وفي الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري أن الله لا ينام ولا يذبح له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، رواه مسلم

فهذه الآيات صريحة في أن الرب سبحانه ليس هو عين هذه المخلوقات ولا صفة ولا جزء منها ، فإن الخالق غير المخلوق وليس بداخل فيها محصور ، بل هى صريحة في أنه مبين لها وأنه ليس حالا فيها ولا محلا لها ، فإن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، والعرش من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته ، فكيف يقوم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه ، وفيها دلالة على عظمته سبحانه وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته ، وقد تعرف سبحانه إلى عباده بصفاته ومجائب مخلوقاته ، وكلها تدل على كماله وأنه المعبود الحق وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وأن العبادة لا تصلح إلا له ولا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلا عن غيرها ، وتدل أيضا على إثبات الصفات لله على ما يليق بجلاله إثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل ، وعلى هذا سلف الأمة ومن تبهم بإحسان . وهو الذى دلت عليه أدلة الكتاب والسنة .

﴿ فصل ﴾

قوله (وقد دخل في ذلك) أى في الإيمان بالله بأنه قريب مجيب كما جمع بين ذلك في الآية والحديث . وسبب نزول الآية أن أعرابياً قال يا رسول الله أقريب ربنا فذناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فسكت النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية . رواه ابن أبي حاتم وابن

الإيمان بأنه قريب مجيب ، كما جمع بين ذلك في قوله (وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب) الآية . وقوله ﷺ « إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »

جرير . وروى الإمام أحمد عن أبى موسى قال : كما مع رسول الله ﷺ فى غزوة نجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، قال فدنا منا فقال « يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصماً ولا غائباً ، إنما تدعون مميماً بصيراً ، إن الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ، يا عبد الله ابن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة : لا حول ولا قوة إلا بالله خرجاه فى الصحيحين وبقية الجماعة . قوله « اربعوا » بهزة وصل وبفتح الباء الموحدة معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فان رفع الصوت إنما يفعله الإنسان ليعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله وليس هو بأصم ولا غائب بل هو مميغ قريب . ففيه النذب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى الرفع كما جاءت به أحاديث كما فى التلبية وغيرها فقد ورد الشرع برفه فيها .

قوله (هو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) المراد به قرب الإحاطة والعلم كما فى قوله (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) انتهى نووى .

ومن أسمائه سبحانه القريب ، وقربه سبحانه نوعان : قرب عام ، وهو إحاطة علمه بجميع الاشياء كما فى الحديث المتقدم ، وقوله سبحانه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . وقيل إن المراد قرب ملائكته منه ، وأضاف ذلك الى نفسه بصيغة الجمع على عادة العظماء فى إضافة أفعال عبيدها إليها ، ورجحه ابن القيم واختاره الشيخ تقي الدين الثانى : قرب خاص وينقسم إلى قسمين : قربه من داعيه بالإجابة ، وقربه من عبده بالإثابة ، فالأول كقوله (وإذا سألك عبادى عنى) الآية ، ولهذا نزلت جواباً للصحابة وقد سألوا رسول الله : أقرب ربنا فنناديه أم بعيد فنناجيه ؟ والثانى كقوله ﷺ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وأقرب ما يكون الرب من عبده فى جوف

الليل ، فهذا قربه من أهل طاعته . وأما حديث أبي موسى المتقدم ففيه القرب الخاص بالداعين دعاء العبادة والثناء ، وهذا القرب لا ينفى كمال مباينته سبحانه خلقه واستواءه على عرشه بل بجماعه ويلازمه ، فانه ليس كقرب الاجسام بعضها من بعض تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولكنه نوع آخر .

قال ابن القيم رحمه الله في المدارج على قوله وأنت الباطن فليس دونك شيء ، قال فهذا قرب الإحاطة العامة ، وأما القرب المذكور في الكتاب والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه وهو من ثمرة التعمد باسمه الباطن ، قال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) الآية . وفي الصحيح : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون . انتهى

قوله (مجيب) أى المجيب لدعاء الداعين وسؤال السائلين ، وإجابته سبحانه وتعالى نوعان (الأول) إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة ، كما قال (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) فهذا يقع من البر والفاجر ويستجيب الله سبحانه لكل من دعاه بحسب الحال المقتضية وبحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه ، وهذا مما يستدل به على كرم المولى سبحانه وشمول إحسانه ، ولا يدل على حسن حال الداعي إن لم يقترن بذلك ما يدل عليه كسؤال الانبياء ودعائهم على قومهم ولقومهم فيجيب سبحانه ، فانه يدل على صدقهم فيما أخبروا به وكرامتهم على الله سبحانه وتعالى .

(الثاني) إجابة خاصة ولها أسباب عديدة ، منها دعوة المضطر ، قال الله سبحانه (أمّن يجيب المضطر إذا دعاه) ومن أسبابها طول السفر والتوسل إلى الله سبحانه بأحب أسمائه وصفاته ونعمه ، وكذلك دعوة المريض والمظلوم والصائم والوالد على ولده أو له وفي الاوقات والاحوال الفاضلة ، وفيما تقدم دليل على أن الدعاء من أقوى الاسباب في جلب المنافع ودفع المضار ، وفيه الرد على من زعم من المتصوفة وأتباعهم أن الدعاء لا ينفع ، وقولهم باطل مردود بأدلة الكتاب والسنة المتواترة والعقل

وما ذكر في الكتاب والسنة من قربيه لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فانه سبحانه ليس كمثل شيء في نعمته وهو على في دنوه قريب في علوه .

﴿ فصل ﴾ ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله

وتجارب الأمم . وفيه أن الدعاء يطلق على السؤال والطلب ويطلق على العبادة ، فالدعاء معناه لغة السؤال والطلب وينقسم إلى قسمين : دعاء عبادة ودعاء مسألة ، فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضرر ، وأما دعاء العبادة فهو سائر العبادات من تسبيح وتهليل وتكبير وصلاة وغير ذلك ، لأن العابد سائل في المعنى فيكون داعياً عابداً .

قوله (وما ذكر في الكتاب والسنة من قربيه لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته) فان علوه سبحانه من لوازم ذاته ، فلا يكون قط إلا عالياً ولا يكون فوقه شيء البتة كما قال أعلم الخلق بربه « وأنت الظاهر فليس فوقك شيء » فهو سبحانه قريب في علوه عالى في قربيه ، فأخبر ﷺ أنه أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته ، وأخبر أنه فوق سمواته على عرشه مطلع على خلقه يرى أعمالهم ، وهذا حق لا يناقض أحدها الآخر والذي يسهل عليك فهم هذا معرفة عظمته سبحانه وإحاطته بخلقته وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد ، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش . انتهى من الصواعق .

قوله (في دنوه) أى قربيه . قوله (في نعمته) أى في صفاته ، فالوصف والنعت مترادفان وقيل متقاربان ، فالوصف للذات والنعت للفعل .

﴿ فصل ﴾

قوله (ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله) فمن لم يؤمن بأن القرآن كلام الله لم يؤمن بالله وكتبه . قال عبد الله بن المبارك : من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ، ومن قال لا تؤمن بهذا الكلام فقد كفر)

قوله (كلام الله) قال تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) وقال (يريدون أن يبدلوا كلام الله) الآية . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه في الموسم فيقول : ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي ؟ فان قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي . رواه أبو داود . فأتضح بهذا أن القرآن كلام الله لا كلام غيره ، فمن زعم أنه كلام غيره فهو كافر بالله العظيم .

وقال غير واحد من السلف : من أنكر أن يكون الله متكلماً أو يكون القرآن كلامه فقد أنكر رسالة محمد ﷺ ، بل ورسالة جميع الرسل التي حقيقة تبليغ كلام الله عز وجل ، فاذا لم يكن ثم كلام فاذا يبلغ الرسول ، بل كيف يعقل كونه رسولاً ؟ ولهذا قال منكروا رسالته عن القرآن : إن هذا إلا قول البشر ، فمن قال إن الله لم يتكلم به - أي القرآن - فقد ضاعى قوله قوله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

قوله (منزل) هذا رد لكلام الجهمية والمعتزلة ممن يقول إنه لم ينزل منه ، فبين في غير موضع أنه منزل من الله ، فمن قال إنه منزل من بعض المخلوقات كالأرواح والهواء فهو مفترى على الله مكذب لكتابه ، قال تعالى (تنزيل من حكيم حميد) وقال (قل نزل به الروح القدس من ربك) وروح القدس جبريل وهو الروح الأمين المذكور في قوله (نزل به الروح الأمين) فجبريل عليه السلام سمعه من الله والنبي ﷺ سمعه من جبريل ، ولم يقل أحد من السلف أن النبي ﷺ سمعه من الله ، وإنما قاله بعض المتأخرين ، والآية صريحة في الرد عليهم ، وصريحة في أنه المتكلم به وأنه منه نزل ومنه بدء وهو الذي تكلم به ، ومن هنا قال السلف من الله بدء ، فأخبر في الآيات المتقدمة أنه منزل من الله ولم يخبر عن شيء أنه منزل من الله إلا كلامه بخلاف نزول الملائكة والمطر والحديد وغير ذلك ، وقد تقدم ذكر أقسام الإنزال في الكلام على الآيات .

قوله (غير مخلوق) هذا رد لكلام الجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن يقول كلام الله

مخلوق ، فالجهمية يقولون إن الله لا يتكلم ، بل خلق كلاما في غيره وجعل غيره يعبر عنه وما جاء من الأدلة أن الله تكلم أو يكلم أو نادى أو نحو ذلك قالوا هذا مجاز ، وأما المعتزلة فيقولون إن الله متكلم حقيقة لكن معنى ذلك أنه خلق الكلام في غيره فذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم ، وهذا باطل مخالف لقول السلف والأئمة ومخالف للأدلة العقلية والسمعية ، فإنه لا يعقل متكلم إلا من قام به الكلام ولا صريد إلا من قامت به الإرادة ولا محب ولا راض إلا من قام به ذلك ، ولأن كلام الله سبحانه من صفاته وصفاته سبحانه غير مخلوقة ، كما في الصحيح عن خوله بنت حكيم أن النبي ﷺ قال : من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك ، فاستدل العلماء بذلك على أن كلام الله غير مخلوق . قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، وقال الله سبحانه وتعالى (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) الآية ، فهذا دليل على أن كلام الله غير مخلوق لأن كل مخلوق ينفد ويبيد ، وكلماته لا تنفذ ولا تبيد ، وهذا الوصف لا يكون للمخلوق ، فالقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله فهو غير مخلوق ، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كما روى ذلك عن السلف .

وذكر الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي في كتابه الأصول قال : سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول : سمعت أبا حامد الاسفرايني يقول : ومذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، والقرآن حمله جبريل مسموعاً من الله عز وجل ، والنبي ﷺ مسموعاً من جبريل والصحابة مسموعون من رسول الله ﷺ ، وهو الذي نتلوه بالسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والناس أجمعين .

وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله : ولم يقل أحد من السلف إن القرآن مخلوق أو قديم بل الآثار متواترة عنهم بأنهم يقولون القرآن كلام الله ، ولما ظهر من قال إنه مخلوق قالوا رداً لكلامه إنه غير مخلوق ، وأول من عرف أنه قال القرآن مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان ، وأول من عرف أنه قال إنه قديم هو عبد الله بن سعيد بن كلاب . انتهى

وأما أفعال العباد كأصواتهم ومدادهم الذي يكتبون به القرآن وارق الذي يكتبون عليه ، فإن ذلك من جملة المخلوق ، ولذلك يقولون الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري . وفي الحديث : زينوا القرآن بأصواتكم . قال ابن القيم في النونية :

وكذلك القرآن عين كلامه المسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه لفظاً ومعنى ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله اللفظ والمعنى بلا روغان
لكن أصوات العباد وفملهم كمدادهم والرق مخلوقان
فالصوت للقاري ولكن الكلام م كلام رب العرش ذو الإحسان
قوله (منه بدا) أى ظهر وخرج منه سبحانه ، أى هو المتكلم به وهو الذى أنزله
من لده ، فمن قال إنه مخلوق يقول إنه خلق فى بعض المخلوقات القائمة بنفسها ، فمن
ذلك المخلوق نزل وبدأ ولم ينزل من الله ، فأخبار الله أنه منزل من الله يناقض أن
يكون قد نزل من غيره ، قال تعالى (ولكن حق القول منى) وقال (قل نزه روح
القدس من ربك)

وروى أحمد وغيره عن جبير بن نفير قال : قال رسول الله ﷺ « إنكم إن
ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه » وقال خباب بن الارت : يا هنتاه تقرب
إلى الله بما استطعت فلن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه ، وقال أبو بكر

وإليه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة

الصديق لأصحاب مسيلة الكذاب لما سمع قرآن مسيلة : ويحكم أين يذهب بقولكم إن هذا كلام لم يخرج من ال ، أى من رب . وقال أحد رجه الله : كلام الله من الله ليس بباين منه ، وهذا معنى قول السلف « القرآن كلام الله منه بدا وإليه يعود » ومقصود السلف الرد على الجهمية فانهم زعموا أن القرآن خلقه الله في غيره ، فيكون قد بدا وخرج من ذلك المحل الذى خلق فيه لا من الله ، كما يقولون كلامه لموسى خرج من الشجرة ، فبين السلف والأئمة أن القرآن من الله بدا وخرج وذكر واقوله سبحانه (ولكن حق القول منى) فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات و(من) لا ابتداء الغاية ، فان كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله ، كقوله (وسخر لكم ما فى السموات والارض جميعاً منه) وأما إذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محل كان صفة لله ، كقوله (ولكن حق القول منى)

قوله (وإليه يعود) أى يرجع بأن يسرى به فى آخر الزمان ويرفع فلا يبقى فى الصدور منه ولا فى المصاحف منه آية ، كما جاء ذلك فى عدة آثار ، وهو أحد أشرط الساعة الكبار كما فى حديث بن مسعود وغيره أنه قال : يسرى على القرآن فلا يبقى فى المصاحف منه آية ولا فى الصدور منه آية . أخرجه الطبرانى وأخرجه ابن ماجه عن حذيفة وأخرجه الديلمى عن معاذ .

قوله (وان الله تكلم به حقيقة) قال تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) والآيات والاحاديث فى إثبات كلامه سبحانه وأنه تكلم بالقرآن كثيرة جداً وكلها دالة على أنه سبحانه تكلم حقيقة لا مجازاً ، بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام المرسل ، وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام ، انتفت عنه حقيقة الرسالة والنبوة ، والرب يخلق بقوله وكلامه ، فاذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفى عنه الخلق ، وقد تاب الله آلهة المشركين بأنها لا تتكلم ولا تكلم عابديها ، والجهمية وصفوا الرب بصفة هذه الآلهة وقد تكاثرت الأدلة على أن الله نادى وناجى وأمر ونهى ، وكل هذا دال أنه تكلم

وأن هذا القرآن الذى أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره

حقيقة لا مجازاً فانضح بما ذكرناه أن الله يتكلم حقيقة ، وأما من ادعى المجاز بعد هذا البيان فقد شاق الله ورسوله والمؤمنين ، فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه ، هذا قول السلف . وفى قوله « حقيقة » رد على من زعم أن كلامه سبحانه معنى واحد قام بذات البارئ لم يسمع منه ، وإنما هو الكلام النفسانى ، ولم يتكلم به حقيقة لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفسانى ولم يتكلم به ، إن هذا كلام حقيقة والا يلزم أن يكون الاخرس متكلماً ولزم أن لا يكون الذى فى المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله ، ولكنه عبارة عنه ليست كلام الله كما لو أشار إلى شخص بإشارة مفهومة ، فكتب ذلك الشخص عبارة عن المعنى الذى أوحاه إليه ذلك الاخرس فالمكعوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى ، فعندهم أن الملك فهم منه معنى قائماً بنفسه لم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً ، بل فهم معنى مجرداً ثم عبر عنه ، فهو الذى أحدث نظم القرآن وتأليفه ، وقد تقدم الكلام فى الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسى وأن الشيخ تقي الدين رد ذلك من تسعين وجهاً كل واحد يدل على بطلانه بأدلة عقلية وعقلية وقال بن القيم فى التونية :

تسعون وجهاً بينت بطلانه أعنى كلام النفس ذا البطلان قوله (وان هذا القرآن) الخ . قال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء) الآية . وقال (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال (فأجره حتى يسمع كلام الله) والادلة على إثبات صفة الكلام كثيرة لا تنحصر ، والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص ، قال تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ، ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً) الآية فلم أن عدم التكلم قص يستدل به على عدم ألوهية العجل .

قال البخارى فى صحيحه « باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة » وساق فيه عدة أحاديث ، فأفضل نعم الجنة رؤية وجهه سبحانه وتكليمه وكفى الكتاب

ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن الله أو عبارة

والسنة من دليل على تكلم الله لأهل الجنة وغيرهم ، قال تعالى (سلام قولاً من رب رحيم) وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بيئنا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا أبصارهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قوله سبحانه (سلام قولاً من رب رحيم) الحديث ويأتى إن شاء الله .

قوله (ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية من كلام الله أو عبارة) كما نقوله الأشاعرة والكلابية ، فالأشاعرة يقولون إن هذا الوجود المقروء عبارة عن كلام الله والكلابية يقولون حكاية عن كلام الله ، وبعض هؤلاء يقول الخلاف لفظي لا طائل تحته فالأشاعرة والكلابية يقولون : القرآن نوعان ألفاظ ومعاني ، فالالفاظ مخلوقة وهى هذه الالفاظ الموجودة ، والمعاني قديمة قائمة بالنفس وهى معنى واحد لا تبعض فيه ولا تمدد إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراتاً أو بالسريانية كان انجيلاً ، وهذا القول تصوره كاف بمعرفة بطلانه ، وليس لهم دليل ولا شبهة إلا بيت ينسب للأختل النصراني وهو قوله .

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً
وهذا البيت إن ثبت فعنناه إن الكلام يخرج من القلب ويعبر عنه اللسان ، وأما الكلام الذى فى اللسان فقط فهو يشبه كلام النائم والهاذى ونحوهما ، وأدلة الكتاب والسنة ترد هذا القول ، والذى يعقله العقلاء إن الكلام صفة المتكلم المسموع منه ، وإن ما فى النفس لا يسمى كلاماً بوجه من الوجوه ، كما فى حديث : عفى لأمى عن الخطأ والفسيان وما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم فهذا صريح بأن ما حدثت به أنفسها ليس بكلام .

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على بطلانه ، وأيضاً فإن الحكاية تماثل المحكى ، فمن قال إن القرآن حكاية كلام الله بهذا المعنى فقد ضل ضلالاً مبيناً ، فإن

القرآن لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله ، ولا يقدر أحد أن يأتي بما يحكيه ، وأول من قال إنه حكاية عن كلام الله عبد الله بن سعيد بن كلاب . وأما القول بأنه عبارة عن كلام الله كما هو قول الأشاعرة فإنه يلزم عليه أن كل نال معبراً عما في نفس الله والمعبر عن غيره هو المنقش للعبارة ، فيكون كل قارئ هو المنقش للعبارة القرآن ، وهذا معلوم الفساد بالضرورة .

قال ابن القيم رحمه الله في الصواعق : وهذا المذهب مبنى على مسألة إنكار قيام الأفعال الاختيارية بالله ، ويسمونها مسألة حلول الحوادث ، وحقيقتها إنكار أفعاله سبحانه وتعالى وربوبيته ومشيتته انتهى . وأول من قال بالعبارة هو الأشعري وهو قول باطل كالقول بالحكاية فإن الأدلة دلت على أن القرآن لفظه ومعناه كلام الله . وأما القول بأن القرآن عبارة عن كلام الله أو حكاية فهو قول مبتدع باطل ترده الأدلة ولم يقل أحد من السلف بذلك . قال الإمام أحمد رحمه الله : القرآن كيف تصرف فيه ، فهو غير مخلوق ولا ترى القول بالحكاية والعبارة ، وغلط من قال بها وجهله ، وقال هذه بدعة لم يقل بها السلف .

قال الحافظ بن حجر العسقلاني في الفتح : المنقول عن السلف اتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق تلقاه جبريل عن الله وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ وبلغه محمد إلى أمته ، انتهى . قال الله سبحانه (فأجره حتى يسمع كلام الله) ولم يقل ما هو عبارة عن كلام الله والأصل الحقيقة ، ومن قال إن المكتوب في الصحف عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله وليس فيها كلام الله ، فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكفى بذلك ضلالاً . قال ابن القيم في النونية :

زعموا القرآن عبارة وحكاية قلنا كما زعموه قرآنان
هذا الذي نتملوه مخلوق كما قال الوليد وبعده الفئتان
والآخر المعنى القديم فقامم بالنفس لم يسمع من الديان

بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة ، فان الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً ، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً

ودليلهم في ذلك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني ولو كان مافى المصحف عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث منه ، ولو كان ما يقرأ القارئ ليس هو كلام الله لما حرم على الجنب ، بل القرآن كلام الله محفوظ في الصدور ومقروء بالالسن مكتوب في المصاحف كما قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر وغيره : وهو في هذه المواضع كلها حقيقة لا يصح نفيه ، والمجاز يصح نفيه ، فلا يجوز أن يقال ليس في المصحف كلام الله ولا ماقرأ القارئ كلام الله قوله (بل إذا قرأه الناس) الخ . قال تعالى (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون) وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) وقال تعالى (يتلو مصحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) وفي حديث ابن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض المدو مخافة أن يقال بسوء . وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن القرآن كلام الله حقاً حيث تلاه التالون أو حفظه الحافظون أو كتبه الكتاتيون وهو المعجزة بلفظه ومعناه .

قوله (فان الكلام إنما يضاف) الخ . قال تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) أي من مبلغه ، فسماع كلام الرب وغوره ينقسم إلى قسمين : مطلق ومقيد . فالمطلق ما كان بغير واسطة كما سمع موسى بن عمران كلام الرب ، وكما يسمع جبريل وغيره كلامه سبحانه وتكليمه ، ومنه قول الرسول « ما منكم من أحد إلا سمع كلامه ربه ليس بينه وبينه ترجمان .

وأما المقيد فالسمع بواسطة المبلغ كسماع الصحابة وسماعنا لكلام الله حقيقة بواسطة المبلغ عنه ومنه قوله (فأجره حتى يسمع كلام الله) وكما في الحديث المتقدم أن رسول الله ﷺ قال . ألا رجل يحملني حتى أبلغ كلام ربي . وكما قال أبو بكر الصديق

وهو كلام الله حروفه ومعانيه

لما خرج على قريش فقرأ (ألم غلبت الروم) الآية ، فقالوا هذا كلامك أو كلام صاحبك ، فقال (ليس بكلامي ولا بكلام صاحبي وإنما هو كلام الله) فبين أن ما يبلغه ويتلوه هو كلام الله وإن كان يبلغه بأفعاله وصوته ، والناس إذا سمعوا من يروي قصيدة أو كلاماً أو قرأنا قالوا هذا كلام فلان .

قوله (وهو كلام الله) لأنه هو الذي ألفه وأنشأه ، وأما قوله (إنه لقول رسول كريم) الآية ، فإضافته إليه إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء وابتداء ، فانه قال قول رسول ولم يقل قول ملك ولا نبي ، فان الرسول يبلغ كلام مرسله ، وأيضا فقوله أمين دليل على أنه لا يزيد ولا ينقص ، بل هو أمين على ما أرسل به يبلغه عن مرسله ، وأيضا فان الله كفر من جعله قول البشر ومحمد بشر ، فمن جعله قول محمد بمعنى أن محمداً أو غيره أنشأه فقد كفر ، وما ذكر الله في القرآن عن موسى عليه السلام وغيره وعن فرعون وإبليس ، فان ذلك الكلام كلام الله إخباراً عنهم ، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق والقرآن كلام الله لا كلامهم .

قوله (وهو كلام الله حروفه ومعانيه) ليس شيئا منه كلاما لغيره لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما ، بل قد كفر الله من جعله قول البشر ، ولم يقل أحد من السلف إن جبريل أحدث ألفاظه ولا محمد ولا أن الله خلقها في الهواء أو غيره من المخلوقات ولا ان جبريل أخذها من اللوح المحفوظ الى غير ذلك من الاقوال المبتدعة ، بل أهل السنة يقولون إن القرآن عين كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف عكس ما عليه أهل البدع من المعتزلة والاشاعرة والكلابية وغيرهم ، لأن كلام المتكلم هو عبارة عن ألفاظه ومعانيه ، وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة وكلام السلف فانه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعا لشموله لهما ، فللفظ القول والكلام وما تصرف منهما من فعل ماضى ومضارع وأمر ونحو ذلك إنما يعرف في القرآن وسائر كلام العرب إذا كان لفظا ومعنى .

ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله : والصواب الذي عليه السلف والأئمة ان الكلام حقيقة في اللفظ والمعنى كما أن الإنسان حقيقة في البدن والروح فالنزاع في الناطق كالنزاع في منطوقه . انتهى . والدليل على أنه حروف حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنة ، وقال النبي ﷺ اقرءوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتمجلون آخره ولا يتأجلونه ، رواه بنحوه أحمد وأبو داود والبيهقي في سننه والضياء المقدسي في المختاره عن جابر ، وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه ، وقال علي رضي الله عنه : من كفر بحرف منه فقد كفر به كله ، واتفق المسلمون على عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ، ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرف ، متفق عليه أنه كافر ، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف ، انتهى

قوله (ليس كلام الله الحروف) إلخ . فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني كما يقوله بعض المعتزلة ، ولا المعاني فقط دون الحروف كما هو قول الأشاعرة ومن شابههم ، وكلا القولين باطل مخالف للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة ، فان الأدلة دلت على أن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه سبحانه لا تأليف ملك ولا بشر وان القرآن جميعه حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به وليس بمخلوق ولا بعضه قديم وهو المعنى وبعضه مخلوق وهو الكلمات والحروف بل القرآن جميعه حروفه ومعانيه تكلم الله به حقيقة والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول عن جبريل عن رب العالمين قال تعالى (فاذا قرأت القرآن) وإنما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه المحددة ، وقال تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) الآية ، فأبطل سبحانه قول الكفار بأن لسان الذي يلحدون إليه أعجمي والقرآن لسان عربي مبين ، فلو كان الكفار

﴿فصل﴾ وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وملائكته وبرسله
الإيمان

قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردّاً لقولهم . فان الإنسان قد يتعلم من الأعجمي شيئاً بلغة ذلك العجمي ويعبر عنه بمباراته ، وإذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه بشر فأبطل الله ذلك بأن لسان ذلك أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين على أن روح القدس نزل باللسان العربي المبين وأن محمداً لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس ، وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم أنه سمعه ولم يؤلفه هو ، انتهى
﴿فصل﴾

قوله (وقد دخل فيما ذكرناه) الخ . أى قد دخل في الإيمان بالله وبكتبه وملائكته ورسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه سبحانه يوم القيامة ، فمن لم يؤمن بأنه سبحانه يرى يوم القيامة فقد رد أدلة الكتاب والسنة وخالف ما عليه سلف الأمة وأئمتها ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .

قال أحمد رحمه الله : من لم يقل بالرؤية فهو جهمي ، وقال أبو داود : سمعت الإمام أحمد رحمه الله يقول : من قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ، وقال من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب ، فان تاب وإلا قتل ، وقال ابن خزيمة رحمه الله : إن المؤمنين يرون ربهم خالقهم يوم المعاد ، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

وقال ابن القيم رحمه الله : دل الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة أهل الاسلام والحديث على أن الله يرى يوم القيامة بالابصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر وكما ترى الشمس صحوّاً ، فان كان لما أخبر الله به ورسوله حقيقة — وإن له والله حق الحقيقة — فلا يمكن أن يروه إلا من فوقها لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو وراهم أو قدامهم ونحو ذلك ولا يجتمع في قلب عبد اطلع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً ، اهـ

بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحوّاً ليس دونها
سحاب ، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته

قوله (بأن المؤمنين يرونه) كما تواترت بذلك الأدلة ، وهذا بخلاف الكفار فإنهم
لا يرونه سبحانه ، قال تعالى « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » قال الشافعي
رحمه الله : لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أوليائه يرونه في
حال الرضا . قال ابن كثير رحمه الله : وهذا الذي قاله الإمام الشافعي في غاية الحسن ،
وهو استدلال بمفهوم هذه الآية كما دل عليه منطوق قوله تعالى « وجوه يومئذ نافرة »
إلى ربهما فافطرة ، وكما دلت على ذلك الأحاديث المتواترة في رؤية المؤمنين لربهم في
الدار الآخرة بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنات الفاخرة . اهـ

قوله (يوم القيامة) إشارة للرد على من زعم أنه سبحانه يرى في الدنيا كما يقوله
بعض المتصوفة ، وهذا باطل تردده الأدلة كما في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي
الله عنه أنه سأل النبي ﷺ : هل رأى ربه ؟ فقال نور أنى أراه ، أى حالت بيني
وبين رؤيته الانوار . وقالت عائشة رضي الله عنها . من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد
كذب . وفي صحيح مسلم مرفوعاً : واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا . وقال
الشيخ تقي الدين رحمه الله : أهل السنة متفقون على أن الله سبحانه لا يراه أحد بعينه
في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ، ولم يقع النزاع إلا في نبينا خاصة ، مع أن الأحاديث
المعروفة ليس في شيء منها أنه رآه ، وإنما يروى ذلك باسناد موضوع باتفاق أهل المعرفة
قوله (عياناً بأبصارهم) كما في حديث جرير وغيره ، وقوله (عياناً) بكسر العين
من قولك : عاينت الشيء عياناً إذا رأيته بعينك ، أى ترونه رؤية محققة لا خفاء فيها
قال ابن القيم : وقوله (عياناً) تحقيقاً للرؤية ونفياً لتوهم الحجاز الذي يظنه المعطلون . اهـ
قوله (كما يرون الشمس صحوّاً) الخ . كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن
أناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل
تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال هل تضارون في رؤية

برونه سبحانه في عرصات القيامة

الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا لا ، قال فانكم ترونه كذلك . ونقدم حديث جرير إلى غير هذه الأحاديث التي بلغت حد التواتر والتي يحزم من أحاط بها علما أن الرسول ﷺ قالها ، فهذه الأحاديث فيها إثبات الرؤية والرد على الأشاعرة والقائلين بأنه سبحانه يرى من خير مواجهة ومعاينة .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : وهذا قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة وجهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة . وقوله (صحواً) أى ذات صحوى أيقظ منها الغيم . وقوله (كاترون) الخ ، هذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، فإن الكاف حرف تشبيه دخل على الرؤية ولم يشبه المرئي ، فانه سبحانه لا يشبهه له ولا مثيل ولا نظير . وقوله (لا تضامون في رؤيته) قال في النهاية : يروى بالتشديد والتخفيف ، فالتشديد معناه لا ينضم بعضكم إلى بعض وتزاحمون وقت النظر إليه ، ويجوز ضم التاء وفصحها ، ومعنى التخفيف لا ينالك ضم في رؤيته فإبراء بعضكم دون بعض ، والضم الظلم ، وأما من زعم أن الخبر يدل على أنهم يرونه لا في جهة فهذا تفسير باطل لم يقله أحد من أئمة أهل العلم ، بل هو تفسير منكر ، فإن الحديث يدل صراحة على أنه سبحانه يتجلى تجلياً ظاهراً ، فيرونه كما ترى الشمس والقمر بلا ضم يلحقهم في رؤيته على هذه الرواية ، وعلى الرواية الأخرى معناه لا ينضم بعضكم إلى بعض كما يتضمن الناس عند رؤية الشيء الخفى كالملال ، انتهى . من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية

قوله (يرونه في عرصات القيامة) كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما ، وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه : ان الله يتجلى للمؤمنين ، يعني في العرصات . قوله (العرصات) جمع عرصة وهي كل موضع واسع لا بناء فيه ، وعرصة الدار وسطها ، وعرصات القيامة مواقف الحساب والعرض وغير ذلك . وبرونه بعد دخول الجنة كما في حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفضوا أبصارهم فاذا

الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة ، وهو قول الله سبحانه « سلام قولا من رب رحيم » فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ، وتبقى بركته ونوره ، رواد ابن ماجه وغيره . قال ابن القيم رحمه الله : ففي هذا الحديث إثبات صفة الكلام وإثبات الرؤية وإثبات العلو ، والمعلقة تنكر هذه الثلاثة وتنكفر القائل بها ، اهـ

وأما ما استدلل به المعتزلة وغيرهم من نفاة الرؤية من قوله سبحانه وتعالى لا تدركه الابصار ، وقوله لموسى لن ترانى . فالجواب ان الآية الاولى هى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فان الله سبحانه إنما ذكرها فى سياق المدح ، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكالم ولا يمدح به ، فهو كان المراد بكونه لا تدركه الابصار انه لا يرى بحال لم يكن فى ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدم له فى ذلك ، فان العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الابصار ، والرب سبحانه وتعالى جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض ، فإذا المعنى انه يرى ولا يدرك ولا يحاط ، فقوله لا تدركه الابصار يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لمعظمته لا يدرك بحيث يحاط به ، فان الإدراك هو الإحاطة بالشئ وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا » فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم إنا لمدركون إنا لمرئيون فان موسى عليه السلام نفى إدراكهم بإمام بقوله كلا ، وأخبر أنه لا يخاف دركهم بقوله لا تخاف ذركا ولا تخشى ، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا الذى فهمه الصحابة والأئمة من الآية . قال ابن عباس : لا تدركه الابصار لا تحيط به ، وقال قتادة هو أعظم من أن تدركه الابصار ، انتهى ملخصا من حادى الارواح :

وأجاب بعضهم بقوله (لا تدركه الابصار) أى فى الدنيا ، وبأن نفى الإدراك

كما يشاء الله تعالى .

﴿ فصل ﴾ ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت

لا يستلزم نفي الرؤية لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته ، والجواب عن الاستدلال بقوله لموسى لن تراني استدلال فاسد ، والآية حجة عليهم فاتها دالة على الرؤية من وجوه (أحدها) انه لا يظن بموسى عليه السلام أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه (الثاني) انه لم يفكر عليه سؤاله ولو كان محال لأنكره عليه (الثالث) انه أجابه بقوله لن تراني ولم يقل إني لا أرى أو لا تجوز رؤيتي ، فهذا يدل على أنه يرى ولكن موسى لا يثبته قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى إلى غير ذلك من الوجوه الدالة على أن الآية فيها إثبات الرؤية ، وليست دالة على نفيها كما يقوله المعتزلة وأشباههم في إثبات الرؤية ، هذا مع ما جاء من الأحاديث الدالة على إثبات الرؤية والتي تلقاها المسلمون بالقبول من لدن الصحابة والتابعين حتى حدث من أنكر الرؤية وخالف السلف .

قوله (كما يشاء الله) أي من غير إحاطة ولا تكييف كما نطق بذلك الكتاب وفسرته السنة على ما أراد الله سبحانه وعلمه ، وكل ما جاء في الكتاب والسنة فهو كما قال ومعناه على ما أراد ، ولا تدخل في ذلك متأولين بأرائنا ولا مترجمين بأهوائنا كما قال الإمام الشافعي رحمه : آمنت بالله على ما جاء من عند الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ .

﴿ فصل ﴾

قوله (الإيمان باليوم الآخر) الذي هو أحد أصول الإيمان الستة المذكورة في حديث عمر وغيره ، والمراد بالإيمان به التصديق بما يقع من الحساب والميزان والجنة والنار وغير ذلك ومعي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا .

قوله (الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت) أي من فتنة القبر

وعذابه ، ونعيمه ، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وتوسيعه على بعض وتضييقه على بعض وضغطه ونحو ذلك وإعادة الروح إلى الميت فهو ممنون بما يقع في البرزخ مما وردت به الأدلة ، والبرزخ لغة الحاجز بين الشيئين كما قال سبحانه (بينهما برزخ) أى حاجز ، وفي الشرع البرزخ من وقت الموت إلى القيامة من مات دخله ، وسمى برزخاً لكونه يحجز بين الدنيا والآخرة .

قوله (فتنة القبر) الفتنة لغة الامتحان والاختبار ، والفتانان منكر ونكير ، ويريد بفتنة القبر مسألة منكر ونكير ، ويجب الإيمان بذلك لقبوته من النبي ﷺ في عدة أخبار يبلغ مجموعها حد التواتر .

قوله (وبمذاب القبر ونعيمه) تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلاً لذلك ، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ولا يتكلم في كيفية إذ ليس للعقل وقوف على كيفية لكونه لا يهدله به في هذه الدار ، وعلى هذا درج السلف الصالح ، وأنكر ذلك المخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة .

قال ابن رجب رحمه الله : تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سألت النبي ﷺ عن عذاب القبر قال نعم عذاب القبر حق ، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : اللهم إني أهوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ، وأهوذ بك من فتنة الحيا والمات وأهوذ بك من فتنة المسيح الدجال . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : سألت النبي ﷺ بقبرين فقال إنيهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، ثم قال بلى إنه كبير ، أما أحدهما فكان لا يستقر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة .

وقال المروذي : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله : عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل اهـ . وعذاب القبر على الروح والبدن .

فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل من ربك وما دينك ومن نبيك ؟

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : العذاب والتعذيب على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة .

قوله (فإن الناس يفتنون في قبورهم) أى بأن تعاد إليهم أرواحهم كما في حديث البراء وغيره فتعاد إليه روحه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا ليسأل ويتمتعن في قبره ، انتهى . وهذا الرد إعادة خاصة توجب حياة البدن قبل يوم القيامة ، فإن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الاحكام : أحدها تعلقها به في بطن الأم جنيناً ، الثانى تعلقها به بعد خروجه إلى الأرض ، الثالث تعلقها به في حال النوم ، فلها تعلق به من وجه ومفارقة من وجه ، الرابع تعلقها به في البرزخ فانها وإن فارقت وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقاً كلياً ، الخامس تعلقها به يوم بعث الاجساد وهذا أكل أنواع تعلقها بالبدن ، اهـ . من كتاب الروح .

قوله (فيقال للرجل) أى للانسان من رجل وامرأة وغيرهما ممن وردت الأدلة أنه يتمتعن في قبره أى يقول له الملكان « واسمهما المنكر والنكير » نص على ذلك أحد وفى حديث أبى هريرة : يأتيه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير . رواه ابن حبان والترمذى ، وفى رواية ابن حبان : يقال لهما منكرو نكير ، وقوله منكرو مفعول ونكير مفعول بمعنى مفعول من أنكر وكلاهما ضد المعروف وسميا به لأن الميت لم يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتها ، وظاهر هذا ومقتضى الأحاديث استواء الناس فى اسمهما ، وذكر بعض العلماء أن الذين يسألان المؤمن اسمهما البشير والمبشر والاول هو الصحيح .

قوله (فيقال للرجل من ربك) الخ ، كما أخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبي ﷺ فى قوله « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا » الآية ، نزلت فى عذاب القبر ، زاد مسلم : فيقال له من ربك ؟ فيقول ربى الله ونبيى محمد ، فذلك « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » الآية .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال
 « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان
 فيمدهانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ ، فأما المؤمن فيقول
 أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له انظر مقعدك من النار وقد أبدلك الله به مقعداً
 من الجنة ، قال فبراها جميعاً - يعنى المقعدين -

قال قتادة : ذكر لنا أنه يفسح له في قبره ، وأما المنافق والكافر فيقال له ماتقول
 في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال لا دريت ولا
 تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين
 قوله (فإن الناس يفتنون) الخ ، ظاهره أن السؤال في القبر عام للمؤمن والفاسق
 والكافر كما اختاره الشيخ تقي الدين وابن القيم وجهور العلماء ، خلافاً لابن عبد البر
 حيث قال : لا يسأل إلا مؤمن أو منافق كان منسوباً لدين الاسلام بظاهر الشهادة ،
 بخلاف الكافر ، والكتاب والسنة تدل على خلاف هذا القول ، قال الله تعالى (يثبت
 الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين) وفي
 البخارى : وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدري بالواو ، ورجحه أيضاً ابن حجر ،
 ويفيد أيضاً أن السؤال عام للأمم كلها ليس خاص بهذه الأمة ، كما اختاره ابن القيم
 وعبد الحق الاشيبلى وغيرهم ، وجزم به القرطبي ، وقال الحكيم الترمذى : إنه خاص
 بهذه الأمة ، وموقف ابن عبد البر ، ويستثنى مما تقدم المراتب في سبيل الله فقد صح أنه
 لا يمتن في قبره كما في صحيح مسلم وغيره ، وكشيد المعركة والصابر في الطامون وغير
 هؤلاء مما جاء في الأحاديث .

قوله (في قبورهم) وكذا من لم يدفن من مصلوب ونحوه يناله نصيبه من فتنة
 السؤال وضغطة القبر . قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح : ومما ينبغي أن يعلم أن
 عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه من

فثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فيقول المؤمن :
ربى الله والاسلام دينى ومحمد ﷺ نبي .

ذلك قبر أولم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً أو نسف في الهواء أو
غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور ، اه
وقوله (فيقال للرجل) ظاهره اختصاص السؤال بالمكلف ، أما الصغير فجزم غير
واحد من الشافعية أنه لا يسأل ، وجزم القرطبي في التذكرة بأنه يسأل ، وهو منقول
عن الحنفية .

وأفاد قوله فيقال للرجل إلى آخره ان السؤال والجواب يكون باللغة العربية خلافاً
لما ذكر عن البلقي أنه يجيب باللغة السريانية إذ لا دليل عليه ، وأفاد أيضاً أن
السؤال في القبر للروح والبدن وكذلك عذاب القبر ونعيمه ، والأدلة صريحة بذلك
وعليه أهل السنة والجماعة ، وأفاد قوله (فيقولان له) ان الملائكة الذين يسألون في
القبر إثنان ، وزعم بعضهم أنهم أربعة ، والصحيح الاول للأدلة الصحيحة في ذلك ،
وأفاد أيضاً أن السؤال مرة واحدة .

وقال القسطلاني : وذكر ابن رجب عن بعضهم أن المؤمن يفتن سبعا والكافر
أربعين صباحاً ، ومن ذلك كانوا يستحبون أن يطعم عن المؤمن سبعة أيام من يوم دفنه
قال وهذا مما انفرد به ولا أعلم أن أحداً قاله غيره ، انتهى .

وأفاد أيضاً أن عذاب القبر واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين ، وأفاد
ثم التقليد في الاعتمادات لمناقبة من قال سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، وأفاد
أيضاً أن الميت يجبي في قبره للمساءلة ، خلافاً لابن حزم وقد سبقت الإشارة إلى ذلك
قوله (يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة) نزلت هذه الآية في
سؤال المكلفين في القبر كما قاله الجمهور ، قال الطبري يثبتهم في الدنيا على الإيمان حتى
يموتوا وفي الآخرة عند المسألة ، انتهى

وقوله (بالقول الثابت) أى الذى ثبت عندهم بالحجة وهي كلمة التوحيد وثبوتها

وأما المرتاب فيقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا قبلته ، فيضرب
بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعا كل شيء إلا الانسان ولو سمعا الانسان لصق
ثم بعد هذه الفتنة - إما نعم وإما عذاب

تمكنها في القلب واعتقاد حقيقةها واطمئنان القلب بها وتشبثهم في الدنيا أنهم إذا فتنوا
لم يزالوا عنها وإن ألقوا في النار ولم يرتابوا ، وتشبثهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا في
القبر لم يتوقفوا في الجواب ، وكذلك إذا سئلوا في الحشر وعند موقف الاشهاد عن
معتقدهم ودينهم لم تدهشهم أحوال يوم القيامة ، وبالجملة فالمرء على قدر ثباته في الدنيا
يكون ثباته في القبر وما بعده .

قوله (وأما المرتاب) أى الشاك (فيقول هاه هاه) هى كلمة توجع والهاء الاولى مبدلة
من همزة آه وهو الاليق بمعنى هذا الحديث ، اه

قوله (فيضرب بمرزبة من حديد) قال فى النهاية : المرزبة بالتخفيف المطرقة
الكبيرة التى للعداد .

قوله (يسمعا كل شيء إلا الانسان) وفى حديث آخر فيصيح صيحة يسمعا من
يليه غير الثقلين ، أى غير الجن والإنس ، قيل لهم ذلك لانهم كالنقل على وجه
الارض ، انتهى فتح البارى

قوله (لصق) أى خر ميتا ، وصق أيضا إذا غشى عليه . قوله (ثم بعد هذه
الفتنة إما نعم وإما عذاب) المراد أنه لا بد من أحد الأمرين ، ولا يفهم منه دوام
العذاب ، فان الناس بالنسبة لدوام عذاب القبر وعدمه ينقسمون إلى قسمين : قسم
عذابه دائم لا ينقطع كما قال سبحانه (النار يمرضون عليها غدواً وعشيا) الآية ، وكما
فى حديث البراء بن عازب فى قصة الكافر : ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى
مقدمه فيها حتى تقوم الساعة . رواه أحمد فى بعض طرقه .

النوع الثانى : إلى مدة ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم
فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه ، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو

إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الارواح إلى الاجساد

استغفار أو ثواب حج أو غير ذلك من الاسباب . قوله (إلى أن تقوم القيامة الكبرى) بعد ما ينفخ في الصور نفخة البعث ، فان يوم القيامة يقع على ما بعد نفخة البعث من أهوال وزلزلة وغير ذلك إلى آخر الاستقراز في الجنة أو النار .
قوله (الكبرى) إشارة إلى أن فيه قيامة صغرى وهو الموت كما قيل :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى غداة أقل الحاملون جناساتى

قال القرطبي رحمه الله : القيامة قيامتان صغرى وكبرى ، فالصغرى ما تقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه ، حصوله على علمه ، وأما الكبرى فهي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة ، قيل سمي ذلك اليوم يوم القيامة لكون الناس يقومون من قبورهم ، قال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) وقال (يخرجون من الاجداث سراعا) وروى مسلم في صحيحه مرفوعا يقوم الناس لرب العالمين ، قال يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه ، قال ابن عمر يقومون مائة سنة .

قوله (فتعاد الارواح إلى الاجساد) وذلك حين ينفخ إسرافيل في الصور نفخة البعث والنفثور ، قال تعالى (وإذا نفخ في الصور فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون) وإذا أطلق النفخ في الصور فالمراد به نفخة البعث ، والارواح جمع روح وهو ما يحيا به الانسان ، وهو من أمر الله كما قال سبحانه (قل الروح من أمر ربي) قال شيخ الاسلام تقي الدين : وروح الادمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الامة وأئمتها وسائر أهل الحديث ، وقد حكى إجماع الامة على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة السلف ، ويجب الايمان بالبعث والنفثور ويكفر الانسان بانكاره ، قال الله سبحانه (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بل يربى لتبئن ثم لئنئذون بما همتم وذلك على الله يسير) والبعث لغة إثارة الشيء ، والمراد به هنا إحياء الأموات وخروجهم من قبورهم ونحوها إلى حكم يوم القيامة ، والبعث والنفثور مترادفان وهما بمعنى إعادة

وفتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون ،

الابدان وإدخال الارواح فيها ، يقال نشر الميت وأنشره بمعنى أحياءه ، وأما الحشر فهو لغة الجمع ، تقول : حشرت الناس إذا جمعتهم ، والمراد جمع أجزاء الانسان بعد تفرقها ثم إحياء الابدان بعد موتها ، فيبعث الله جميع العباد ويعيدهم بعد موتهم ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء بينهم ، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة والاجماع قال ابن القيم وغيره : معاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى ، قال جلال الدين الدارنى : هو باجماع أهل الملل وبشهادة نصوص القرآن الذى لا يقبل التأويل كقوله سبحانه (قل يحياها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والضياء فى المختاره وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : جاء العاص بن وائل إلى النبى ﷺ بمعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد يحيى الله هذا بعد ما أرم ؟ قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم ، فنزلت الآيات من آخر سورة ياسين (أو لم يرى الانسان أنا خلقناه من نطفة) الآيات ، فهذا نص صريح فى الحشر الجسمانى ، وقد ورد فى عدة مواضع من القرآن التصريح به بحيث لا يقبل التأويل ، فيجب الايمان به واعتقاده ويكفر منكره كما تقدم .

وأما النفخ فى الصور فينفخ فيه ثلاث نفخات : نفخة الفزع وهى التى يتغير بها العالم ، قال الله سبحانه (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق) أى رجوع ومرد ، وقال تعالى (ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات والارض إلا من شاء الله) سميت نفخة الفزع لما يقع من هول تلك النفخة ، والنفخة الثانية نفخة الصعق وفيها هلاك كل شئ . ، قال تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات والارض إلا من شاء الله) الآية .

وفسر الصعق بالموت وهو مقتول حتى الملائكة ، والاستثناء مقتول لمن فى الجنة من الحور العين وغيرهم . الثالث نفخة البعث والنشور ، قال تعالى (ونفخ فى الصور

فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاةً هراةً غرلاً ، وتدنو منهم الشمس ، ويلجهم المرق

فإذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون) . قال (ونفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وأخرج ابن جرير والبيهقي وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : وما الصور ؟ قال عظيم إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض ، فيه نفخ فيه ثلاث نفخات : الأولى نفخة الفرع ، والثانية نفخة الصق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، انتهى .

قوله (فيقوم الناس من قبورهم) الخ . قال الله سبحانه (يوم يقوم الناس لرب العالمين) وروى مسلم في صحيحه عن ابن عمر مرفوعاً (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال يقوم الناس حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى نصف أذنه ، وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول « إنكم ملائكة ربكم حفاة هراة غرلا » وزاد في رواية « مشاة » وفي رواية فيها قال : قام رسول الله فينا بموعظة فقال « يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة هراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاهلين » .

قوله (حفاة) جمع حاف وهو الذي ليس عليه نمل ولا خف .

قوله (هراة) جمع هار وهو الذي ليس عليه لباس . وقوله (غرلا) بضم الغين المعجمة وإسكان الراء جمع أغرل وهو الأقف ، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت ، قلت يا رسول الله « الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض » قال الأمر أشد من أن يهجم ذلك ، قال العلماء رحمهم الله مراتب المعاد البعث والنشور ثم المحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال ثم السؤال والحساب ثم الميزان ، انتهى .

قوله (تدنو منهم الشمس ويلجهم المرق) أي تقرب منهم الشمس حتى تكون قدر ميل أو ميلين ، كما روى مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله

وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد

ﷺ يقول « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين ، قال فتصهرم الشمس فيكونون في العرق كقندر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً »
قوله (عقبيه) هو مؤخر القدم . وقوله (حقويه) الحقو معقد الازار .

قوله (يلجمهم العرق) أى يصل إلى أفواههم فيصير لهم بمنزلة اللجام بمنعهم عن الكلام . انتهى نهاية . وقوله « يلجمهم العرق » ظاهره التعميم لكن دلت أحاديث على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر ، ويستثنى من ذلك الانبياء والشهداء ومن شاء الله ، انتهى .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً : يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب هرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم ، فهذا اليوم العظيم فيه من الأهوال العظيمة والشدائد الجسيمة ما يذيب الأكباد ويذهل المراضع ويشيب الأولاد قال الله تعالى « يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » . قوله « يوم تذهل كل مرضعة » وذلك يوم القيامة وهو حق ثابت ورد به الكتاب والسنة والإجماع .

قوله (وتنصب الموازين ، وتوزن بها أعمال العباد ، فن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك في جهنم خالدون) تكاثرت أدلة الكتاب في إثبات الميزان كما تواترت بذلك الأحاديث وأجمع أهل الحق على ثبوته ووجوب الإيمان به وأنه ميزان حقيقى حسى له لسان وكفان كما هو صريح الأدلة ، فمن أبى سمعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن موسى عليه السلام قال يارب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به ، قال قل يا موسى لا إله إلا الله ، قال يارب كل عبادك يقولون هذا ؟ قال يا موسى لو أن السموات السبع وعاصرهن غبرى في كفة

ولا إله إلا الله في كفة لرجعت بهن لا إله إلا الله ، الحديث ، وروى الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو في حديث البطاقة ، وفيه فيخرج له بطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع السجلات في كفة ولا إله إلا الله في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة . الحديث إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي بلغت حد التواتر وجمع المصنف الموازين ظاهره تمدها ، والصحيح أنه ميزان واحد وجمعه ، قيل لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان ، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها ، ويحتمل أن الجمع للتفخيم كما في قوله (كذبت قوم نوح المرسلين) مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد ، وقيل يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد ، كقوله (يا أيها الرسل) وأما الوزن فهو للأعمال كما أشار إليه المصنف ، واستدل بالآية المذكورة ، وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري قال ، قال رسول الله ﷺ « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان » الحديث .

وأخرج أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء عنه ﷺ قال : ما يوضع في الميزان أنقل من خلق حسن ، وفي الصحيحين وغيرها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على أن الوزن للأعمال ، وإلى هذا ذهب أهل الحديث ، وقيل الوزن لصحائف الأعمال كما في حديث صاحب البطاقة ، وصوبه صرعى في بهجته ، وذهب إليه جمهور من المفسرين وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرها ، وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث « يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة ثم قرأ قوله سبحانه (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) الآية .

وقال ابن كثير رحمه الله : وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً ، فقارة توزن الأعمال ، وقارة توزن محالها ، وقارة يوزن فاعلها والله أعلم .

فن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ، وتنشر الدواوين

قال الفزالي والقرطبي : ولا يكون الميزان في حق كل أحد ، فالسبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً ، اهـ

وقال القرطبي رحمه الله قال العلماء إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها ، قال الشيخ مرعي رحمه الله : والحكمة في الوزن مع أن الله عالم بكل شيء إظهار العدل وبيان الفضل حيث يزن مثاقيل الذر من خير وشر ، انتهى ، ومن المقرر أن أحوال البرزخ وأحوال الآخرة لا تناس على مافي الدنيا وإن اتفقت الاسماء ، فنؤمن بها كما ورد من غير بحث عن كنهها وحقيقتها كما أخبر الصادق المصدوق من غير زيادة ولا نقصان .

قوله (فن ثقلت موازينه) أى رجحت حسناته على سيئاته ولو بوحدة .
قوله ابن عباس .

قوله (فأولئك هم المفلحون) أى الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة والفلاح هو الفوز والظفر والحصول على المطلوب .

قوله (ومن خفت موازينه) أى ثقلت سيئاته على حسناته (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أى خابوا وفازوا بالصفقة الخاسرة ، وقوله (في جهنم خالدون) أى ما كثثون فيها دائمون ، والمخلود هو المكث الطويل

أفادت هذه الآية إثبات الميزان والرد على المعتزلة الذين أنكروه وقالوا الميزان عبارة عن العدل ، وهذا تأويل فاسد مخالف للكتاب والسنة والإجماع ، وأفادت أن الوزن للأعمال ، وأما جمع الموازين مع أنه ميزان واحد فقد تقدم الجواب عنه .

قوله (وتنشر الدواوين) جمع ديوان وهو دفتر الذى يكتب فيه أعمال العباد والصحائف جمع صحيفه وهى الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس ، والمراد بها

وهي صحائف الأعمال ، فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره كما قال سبحانه وتعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه

هنا الكتب التي كتبتها الملائكة وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله القولية والفعلية ، قال تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الثعلبي أي التي فيها أعمال المباد نشرت للحساب ، فيجب الإيمان بنشر الصحف وأخذها بالإيمان أو بالشك لثبوت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع ، قال تعالى « وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال : تدرى الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فاما عرضتان فجدال معاذير ، وعند ذلك تطير الصحف في الايدي فأخذ كتابه بيمينه وأخذ بشماله ، رواه الترمذي . وقال الترمذي لا يصح لأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، وهو عند أحمد وابن ماجه من هذا الوجه مرفوعاً ، وأخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً .

وروى أحمد والترمذي وأبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي موسى الاشعري قال ، قال رسول الله ﷺ يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فعرضتان جدال ومعاذير وعرضة تطاير الصحف ، فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار .

قوله (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) الآية ، قال مجاهد تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه ، وقال سعيد بن المسيب : الذي يأخذه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه .

وقوله سبحانه وتعالى (وكل إنسان) انتصب كل بفعل مضمر ، وقونه (طائره) هو ما طار عنه من عمله من خير وشر . قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : والمعنى ان عمله لازم له والمقصود أن عمل الانسان محفوظ عليه قليله وكثيره ويكتب عليه

ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ، اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
(حسباً)

ليلاً ونهاراً كما قال سبحانه (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال تعالى (وإن
عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ، وقوله (فى عنقه) خص العنق بالذكر
لأن اللزوم فيه أشد ، ومن أُلزم شيئاً فيه فلا محيد له عنه ، والمعنى أن عمله لازم له
لزوم القلادة أو لعل فى العنق لا ينفك عنه .

قوله (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) أى صحيفة أعماله بالحسنات
والسيئات ، يعطاه بيمينه إن كان سعيداً وبشماله إن كان شقيماً .

قوله (يلقاه منشوراً) أى يلقى الانسان ذلك الكتاب ، أى يراه منشوراً أى مفتوحاً
يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره كما قال تعالى (يُنبأ الانسان
يومئذ بما قدم وأخر)

قوله (اقرء كتابك) تقديره يقال له اقرء كتابك ، أى كتاب أعمالك وما كان
منك . قوله (كفى بنفسك) الباء زائدة فى الفاعل . قوله (اليوم عليك حسب) أى
محاسباً لأنك ذكرت جميع ما كان منك وعرفته ، ولا ينسى أحد ما كان منه ، وكل
أحد يقرأ كتابه من كاتب وأُمي .

الحساب مصدر حاسب وحسب الشيء يحسبه إذا عده فهو لثة العدد ، واصطلاحاً
هو توقيف الله العباد قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً
إلا من استغنى منهم ، وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق فيجب الايمان به
واعتقاد ثبوته ، قال تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وقال تعالى
(أما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً) الآية ، وقال تعالى (ووضع
الكتاب ففرى المجرمين مشفقين مما فيه ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً)
وقوله (ما لهذا الكتاب لا يقادر صفيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) أى عدها وكتبها
وأثبتها فيه إلى غير ذلك من الايات الدالة على إثبات الحساب . وفى الصحيحين من

ويحاسب الله الخلائق ، ويخلو بعبد المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة ، وأما الكفار فلا يحاسبون بحاسبة من توزن حسناته وسيئاته فانه لا حساب لهم

حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ من نوقش الحساب عذب ، قالت فقلت : أليس يقول الله (وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً) الآية ، فقال إنما ذلك المرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، والمعنى انه لو ناقش في حسابه لعبيده لمذنبهم ولكنه يعفو ويصفح .

قوله (ويحاسب الله الخلائق) الخ ، ظاهره العموم ولكن دلت الأدلة انه يستثنى من ذلك من يدخل الجنة بغير حساب ، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا هذاب .

قوله (ويخلو بعبد المؤمن فيقرره بذنوبه) أى ينفرد سبحانه بعبده ويقرره بذنوبه فيقول : أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ، يقال قرره بكذا أى جمعه يعترف به كما في الصحيح من حديث ابن عمر ، وفيه يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أخفها لك اليوم ، ثم تطوى صحيفة حسابه ، وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رهوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين . قال المهلب في الحديث : تفضل الله سبحانه على عباده وستره لذنوبهم يوم القيامة ، وأنه يفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان اه قوله (وأما الكفار) الخ ، أى لانه إنما يحاسب من له حسنات وسيئات ، والكافر ليس له في الآخرة حسنات توزن ، فان أعمالهم حابطة باطلة لأنها فاقدة لشروط العبادة التي هي الإخلاص والمتابعة ، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل ، وأعمال الكفار لا تخلو من ذلك فلا يحصل لهم من أعمالهم التي عملوها فائدة ، كما قال سبحانه وتعالى (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) ففيها دليل على أن الكافر لا توزن أعماله إذ لا ثواب له في الآخرة ولا يجازي فيها بشيء من عمله في الدنيا ، قال

ولكن تمد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقرون بها ويمجزون بها

تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا) وان عمل كافر من فهو حق أو صدقه أو عمل حسن وفي له في حياته الدنيا ، فليس له في الآخرة جزاء عمل لكن يرجى أن يخفف عنه من عذاب معاصيه لحديث ثوبه حين أعتقها أبو طالب . وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يطلي بها في الدنيا ويمجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بمحسنت ما همل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يمجزى بها . قال النووي في شرح صحيح مسلم : أجمع العلماء على أن الكافر الذى مات على كفره لا ثواب له في الآخرة ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا مقربا به إلى الله ، وصرح في هذا الحديث بأنه يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات ، أى بما فعله مقربا به إلى الله مما لا تفتقر صحته إلى النية كصلة الرحم والصدقة والعق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها ، وأما المؤمن فيدخر له أيضا حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ويمجزى بها مع ذلك في الدنيا ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة ، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده .

وقوله (ولكن تمد أعمالهم وتحصى ويوقفون عليها) الخ ، أى تحسب أعمالهم ويحبرون بها ويقررون بها ، كقوله « ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر » وقال « ووضعت الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه » الآية ، إلى غير ذلك من الآيات .

قوله (حرصا) بوزن ضربه لغة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، وحرصات القيامة مواقفها من العرض والحساب وغير ذلك ، والحوض لغة مجمع الماء ، والمراد به هنا هو ما ذكره المصنف وهو حق ثابت باجماع أهل الحق ، وأنسكه الخواارج وبعض المعتزلة ، وقد تواترت الأحاديث في إثبات الحوض . قال ابن القيم رحمه الله : قد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة وكثير منها أو أكثرها في الصحيح ، اهـ

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة : ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً ، منهم الخلفاء الأربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المسكنون رضي الله عنهم ، ثم ذكر الأحاديث واحداً واحداً ، انتهى . فمنها ما رواه البخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : إن قدر حوض ما بين أيلة إلى صنعاء اللبن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء .

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا فرطكم على الحوض ، والفرط الذي سبق إلى الماء ، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : حوض مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكبرانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظلم أبداً ، وفي رواية : حوض مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورد وهي عندهما أيضاً إلى غير ذلك من الأحاديث المتواترة في إثبات الحوض ، فيجب الإيمان بذلك واعتقاد ثبوته .

قوله (وفي عرصة القيامة) ظاهره أن الحوض قبل الصراط لأنه يختلج ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم ، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط ، وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري قال ، قال رسول الله ﷺ : إني فرطكم على الحوض من صر على شرب ومن شرب لم يظلم أبداً يهردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم .

قوله (الحوض المورد للنبي ﷺ) ظاهره أن الحوض خاص به ﷺ دون غيره من الأنبياء والمرسلين ، ولكن جاء في عدة أحاديث أن لكل نبي حوضاً ترد عليه أمته ، وإنما الحوض الأعظم يختص به ﷺ لا يشركه فيه غيره ، فحوضه ﷺ هو أعظم الحياض وأحلاها وأكثرها وارداً ، كما أخرج الترمذي من حديث سمرة رفته : إن لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته إلا

ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، آتيته عدد نجوم السماء ، طوله شهر وعرضه شهر ، من يشرب منه شربة لا يظأ بعدها أبدا .

والصراط منصوب على متن جهنم — وهو الجسر الذى بين الجنة والنار — يمر الناس عليه على قدر أعمالهم

أنهم يتباهون أيهم أكثر تبعا ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعا ، واختلف فى الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر ، تقيل الميزان وقيل الحوض . قال أبو الحسن القاسمى : والصحيح ان الحوض قبل . قال القرطبي : والمعنى يقتضيه ، فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم قبل الميزان والصراط . قال القرطبي : هما حوضان الأول قبل الصراط وقبل الميزان على الاصح ، فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيرددونه قبل الميزان ، والثانى فى الجنة ، وكلاهما يسمى كوثرآ ، كما روى مسلم فى صحيحه عن أنس قال : بينا رسول الله بين أظهرنا إذ أغفى لإغفائه ثم رفع رأسه مبتسما ، قلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال أنزلت على أنفا سورة ، فقرأ إذا أعطيتك الكوثر ، ثم قال : أندرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال فافه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير ، وهو حوضى ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آتيته عدد نجوم السماء يحتاج المبد منهم فأقول يا رب انه من أمتى ، فيقال أما تدري ما أحدثوا بعدك .

قوله (الصراط) لغة الطريق الواضح ، وفى الشرع جسر منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذى بين الجنة والنار يرده الأولون والآخرون فيمرون عليه على قدر أعمالهم ، وذلك بعد مفارقة الناس للوقوف وحشرهم وحسابهم ، فان الصراط عليه ينجون إلى الجنة ويسقط أهل النار فيها ، كما ثبت ذلك فى الاحاديث .

قوله (يمر الناس عليه على قدر أعمالهم) أى أنهم يكونون فى سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم ، فبحسب استقامة الإنسان وثباته على دين الاسلام يكون ثباته واستقامته على الصراط ، فمن ثبت على الصراط المعنوى الذى هو دين الاسلام

فمنهم من يمر عليه كالبحر ومنهم يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر
كالفرس ومنهم من يمر كركاب الإبل ومنهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشى مشيا
ومنهم من يزحف زحفا ومنهم من يُخطف ويلقى في جهنم ، فان الجسر عليه كلاليب
تخطف الناس

ثبت على الصراط الحسى المنصوب على متن جهنم ، ومن زل عن الصراط المعنوى
زل عن الصراط الحسى جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد ، وقد تكاثرت الاحاديث
في إثبات الصراط ، فيجب الإيمان به واعتقاد ثبوته .

في الصحيح أن النبي ﷺ قال : يضرب الصراط بين ظهري جهنم ويمر المؤمنون
عليه فرقا فمنهم كالبرق ثم كر الريح ثم كر الطير وأشد الرجال حق يحمي الرجل ولا
يستطيع السير إلا زحفا ، وفي حافته كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه
فمخدوش ناج ومكردس في النار . ووقع في حديث أبي سعيد : قلنا وما الجسر ؟ قال
مدحضة مزلة أى زلق تزلق فيه الاقدام ، ووقع عند مسلم قال قال أبو سعيد : بلخى
أن الصراط أحد من السيف وأدق من الشعرة . وعن سعيد بن هلال قال : بلغنا أن
الصراط أدق من الشعر على بعض الناس ، ولبعض الناس مثل الوادى الواسع ،
أخرجه ابن المبارك وابن أبي الدنيا وهو حديث معضل إلى غير ذلك من الاحاديث
الثابتة في الصحاح والمسانيد والسنن مالا يحصى إلا بكلفة ، وقد أجمع السلف على إثباته
قوله (وهو الجسر) بفتح الجيم وكسرها لعتان وهو الصراط .

قوله (يمر الناس على قدر أعمالهم) أى انهم يكونون في سرعة المرور على حسب
مراتبهم وأعمالهم . قوله (يعدو عدوا) أى يجرى أو يركض .

قوله (يزحف زحفا) قال ابن دريد : الزحف هو المشى على الأست مع إشرافه
بصدره . قوله (فان الجسر عليه كلاليب) جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام
المشددة وهى حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها الاحم ويرسل إلى القنور .

قوله (تخطف) هى بفتح الطاء ويجوز كسرهما أى يختلسها ، والخطف هو استلاب

بأعمالهم ، فمن مر على الصراط دخل الجنة ، فاذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض ، فاذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة

الشيء وأخذه بسرعة . قوله (بأعمالهم) أى تخطفهم بسبب أعمالهم القبيحة .
قوله (فاذا عبروا عليه وقفوا) الخ . وذلك لما فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : يخلص المؤمنون من النار فيمحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالمهم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا . وأخرج ابن أبى حاتم بسند صحيح عن الحسن قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « يحبس أهل الجنة بعد ما يجوزون الصراط حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلمات الدنيا ويدخلون الجنة ، وليس فى قلوب بعضهم على بعض شيئا .
قوله (عبروا) أى مضوا ونجوا من السقوط فى النار بعد ما جازوا على الصراط ، قال القرطبي : هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفد حسناتهم اه .
وخرج من هذا صنفان : من دخل الجنة بغير حساب ومن أوقفه عمله .

قوله (على قنطرة) القنطرة الجسر وما ارتفع من البنيان ، قاله فى القاموس ، وهذه القنطرة المذكورة فى الحديث قيل هى من تمة الصراط وهى طرفه الذى يلى الجنة وقيل إنها صراطان ، وبهذا جزم القرطبي ، ولكن القنطرة صراط خاص بالمؤمنين وليس يسقط أحد منهم فى النار . اه

قوله (فيقتص لبعضهم من بعض) أى يستوفى لكل واحد ما له عند الآخر .
قوله (فاذا هذبوا ونقوا) بضم الهاء والنون وهما بمعنى التمييز والتخليص من التبعات انتهى ، فتح

وقوله (أذن لهم فى دخول الجنة) أى بعد اقتصاص بعضهم من بعض وخلاصهم من التبعات التى بينهم فلا يبقى فى قلوب بعضهم على بعض شيء فيدخلون الجنة وقد ذهب ما فى قلوب بعضهم على بعض من الغل والحقد وغير ذلك ، قال تعالى (ونزعنا

وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ،

ما في صدورهم من غل) الآية . قوله (وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ) أى يطلب الفتح للجنة بالفرع فيفتح له ﷺ ، كما في الصحيح من أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » وفي رواية « وأنا أول من يقرع باب الجنة » الحديث

قوله (وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته) وذلك لفضلها على الأمم ، قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) الآية . وفي المسند عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » وأما قوله سبحانه في بني إسرائيل (وقضيناكم على العالمين) فالمراد والله أعلم على عالمي زمانهم ، كشعب يختصر وغيرهم .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله قال : قال رسول الله ﷺ « نحن السابقون الاولون يوم القيامة ، بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم » أى لم يسبقونا إلا بهذا القدر ، فعنى (بيد) معنى سوى وغير وإلا ونحوها . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « نحن الآخرون الاولون يوم القيامة » ونحن أول من يدخل الجنة »

وروى الدارقطني من حديث عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » قال ابن القيم رحمه الله : فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض وأسبغهم إلى أعلى مكان في الموقف ، وأسبغهم إلى ظل العرش ، وأسبغهم إلى الفصل والقضاء بينهم وأسبغهم إلى الجواز على الصراط ، وأسبغهم إلى دخول الجنة ، فالجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها محمد ﷺ ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته ، وأما أول الأمة دخولا فأبو بكر الصديق كما رواه أبو داود في السنن عن أبي هريرة عن النبي ،

وله ﷺ ثلاث شفاعات أما الشفاعة الأولى فيشتمع في أهل الموقف حتي يقضى بينهم

الشفاعة هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، وعرفها بعضهم بقوله هي سؤال الخير للغير ، وهي مشتقة من الشفع وهو ضد الوتر ، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له ، والشفاعة ثابتة توارثت الأدلة في إثباتها فمنها ما في صحيح مسلم من أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لكل نبي دعوة يدعوها فأريد أن أخبأ دعوتي شفاعة لأمي يوم القيامة . وعنه قال : قال رسول الله ﷺ « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإنى اختبأت دعوتي شفاعة لأمي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا » متفق عليه . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « أنا أول شافع وأول مشفع » وأنه ذكر عنده عنه أبو طالب فقال « لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في فضاح من نار » . وروى البيهقي حديث « خبرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أتروننا للمتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين الملوئين الخطائين » إلى غير ذلك من الأحاديث التي بلغت حد التواتر ، فيجب الإيمان بها واعتقاد مضمونها عكس ما عليه الخوارج والمعتزلة الذين أنكروا شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته ، فالناس في إثبات الشفاعة وعدمه انقسموا إلى ثلاثة أقسام : قسم غلوا في إثباتها حتى اثبتوا شفاعة الأصنام والاولئان ، وهم المشركون ومن وافقهم من مبتدعة هذه الأمة ، فأثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن ، كما ذكر الله عنهم في قوله (ويقولون ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

القسم الثاني : غلوا في نفي الشفاعة ، وهم الخوارج والمعتزلة ، فأنكروا شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته .

القسم الثالث : أهل السنة والجماعة اثبتوا الشفاعة للنبي (ص) ولغيره من النبيين والصديقين وغيرهم بقيودها حسب ما جاءت بذلك الأدلة وتوارثت الأحاديث في إثبات شفاعته ﷺ ، وأما ما احتجبت به المعتزلة لمذهبهم الفاسد في نفي الشفاعة من

بعد أن تراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنفخ إليه ، وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة

قوله سبحانه (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) وقوله سبحانه (لا يقبل منها شفاعة) فاستدلال فاسد أن الآيات المذكورة مخصوصة بالكفار ، ويؤيد هذا أن مساق الخطاب معهم ، وأيضا فالشفاعة المذكورة في القرآن تنقسم إلى قسمين : شفاعة منفية وشفاعة مثبتة ، فالمنفية هي الشفاعة للكافر والمشرک كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وقوله (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله - إلى قوله - عما يشركون ، فتنى وقوع شفاعة هؤلاء وأخبر أنها شرك بقوله (عما يشركون)

النوع الثاني من الشفاعة المثبتة وهي التي أثبتها القرآن ، وهي خالصة لأهل الاخلاص وقيدتها بأسرين : إذن الله لشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) وقوله (ولا يشفعون إلا لمن أراضى) الآية وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ، اهـ »

قوله (وله ﷺ ثلاث شفاعات) الشفاعة الأولى في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وقد تكانرت الأحاديث في إثباتها ، فوردت من حديث أبي بكر الصديق وأنس وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعقبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وشعلان وغيرهم ، وهي المرادة بقوله ﷺ « لكل نبي دعوة مستجابة » الحديث ، وهذا الحديث ذكر السيوطي أنه متواتر ، وهذه الشفاعة خاصة به ﷺ وهي مجمع عليها لم ينسكها أحد .

قوله (وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة) وقد ذكرها

وهاتان الشفاعتان خاصتان له ، وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقيين وغيرهم فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها

أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه ، وفي صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أنا أول شفيع في الجنة» وهذه الشفاعة كالتى قبلها خاصتان له صلى الله عليه وسلم .

قوله (الثالثة فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها) الخ . فهذه الشفاعة فى عصاة الموحدين الذين يدخلون النار بذنوبهم ، والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدعوا من أنكروها وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال .

قوله (ولسائر) أى باقى وجميع ، وذلك لما روى ابن ماجه فى حديث عثمان : يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء . وفى الصحيح عن أبى سعيد عن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى « شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط » الحديث ، ذكر المصنف رحمه الله هذه الأنواع الأربعة ، وزاد فى شرح الطحاوية وغيره أربعة أنواع آخر ، فيكون الجميع ثمانية بالأربعة التى ذكرها المصنف .

والخامس شفاعته لقوم من أهل الجنة فى زيادة ثوابهم ورفعته درجاتهم ، وهذه مما لم ينازع فيه أحد .

السادس : شفاعته ﷺ فى قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة . السابع : شفاعته فى أقوام أن يدخلوا الجنة من غير حساب ولا عذاب ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بما فى الصحيحين من حديث عكاشة بن محصن حين دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب .

ويخرج الله من النار أقواماً بنير شفاعه بل بفضل ورحمته ويبقى في الجنة فضل عن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة

الثامن : شفاعته ﷺ في بعض أهله الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه وهذه خاصة بأبي طالب ، فان قيل إن أبا طالب مات كافراً وقد قال الله سبحانه وتعالى لا تنفعهم شفاعاة الشافعين) فأجاب بعض العلماء بقوله إن شفاعاة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب شفاعاة تخفيف لا شفاعاة إخراج ، والمقصود في الآية أنها لا تنفعهم في الإخراج من النار .

وقوله (ويخرج الله أقواماً من النار) الخ ، قال الله سبحانه (إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال (وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديثه الطويل قال : فيقول الله « شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط » قوله (بل بفضل ورحمته) يفيد أن دخول الجنة والنجاة من النار بفضل سبحانه ورحمته لا بمجرد العمل ، كما قال صلى الله عليه وسلم « ليس أحد منكم يدخل الجنة بعمله » الحديث ، وإنما العمل سبب لدخول الجنة كما قال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) والله سبحانه هو خالق السبب والمسبب فرجع الكل إلى محض فضله وإحسانه ورحمته قوله (ويبقى في الجنة فضل) الخ ، أي زيادة في الجنة عن دخلها من أهلها وذلك لسمتها العظيمة ، فاتها كما وصفها في كتابه (عرضها كعرض السموات والأرض) قوله (فينشئ الله) أي يخلق ويحدث سبحانه أقواماً فيدخلهم الجنة بفضل ورحمته كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي (ص) قال « لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول : هل من مزيد حتى يضع رب العزة عليها قدمه فيتروى بعضها إلى بعض وتقول قط قط بمنزلك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » وفي لفظ مسلم « يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى »

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب

ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة ، قال ابن القيم رحمه الله : وأما اللفظ الذي في البخارى من حديث أبى هريرة انه ينفث النار من يشاء فيلقى فيها ، فتقول هل من مزيد ، فنلطف من بعض الرواة انقلاب عليه لفظه ، والروايات الصحيحة ونص القرآن يردّه ، فان الله سبحانه أخبر انه يملأ النار من إبليس وأتباعه ، فانه لا يمتدب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله ، كما قال سبحانه (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) الآيتين .

قوله (وأصناف) جمع صنف وهو النوع والصنف والنوع والضرب بمعنى واحد قوله (تضمنته) أى اشتملت عليه .

قوله (الدار الآخرة) محميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها .

قوله (والثواب والعقاب) الثواب والمثوبة جزاء الطاعة ، وهو من ثاب يشوب إذا رجع ويكون الثواب فى الخير والشر إلا أنه فى الخير أخص وأكثر استعمالاً وهو المراد هنا والعقاب العقوبة . قال الله سبحانه (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقال (يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) الآية ، وقال تعالى (والله ما فى السموات وما فى الأرض ليحزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وفى حديث أبى ذر عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه انه يقول « يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه » إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن الجزاء مرتب على الأعمال ، قال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالكم ، فالباء بـ « السببية » وأما قوله ﷺ « ليس أحد منكم يدخل الجنة بعمله » الحديث ، فالباء المنفية بـ « العوض » ، وهو أن يكون العمل كالتمن لدخول الجنة كما رُفعت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله ، وقولهم باطل ، وقد

تقدم الكلام على هذا البحث .

قوله (الجنة والنار) الجنة لنة البستان الذى فيه أشجار مثمرة ، سميت جنة لاجتماعها وتسورها بالأشجار ، والمراد هنا الدار التى أعدها الله لأوليائه وعباده الصالحين ، وأما النار فأعدها الله سبحانه وتعالى لأعدائه أعادنا الله منها — فيجب الإيمان بهما واعتقاد انهما حق موجودتان الآن لثبوت ذلك فى الكتاب والسنة واجماع الامة ، قال الله سبحانه عن الجنة (أعدت للمتقين أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) وعن النار (أعدت للكافرين إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآباً) وأما الاحاديث فمن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها ، فنظر إليها فقال : أى رب وعزتك وجلالك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفها بالمسكاره ثم قال يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب ونظر إليها ثم جاء فقال : أى رب لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، فلما خلق النار قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها فقال : أى رب وعزتك وجلالك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، ثم حفها بالشهوات ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها قال أى رب وعزتك وجلالك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها » رواه أبو داود والترمذى والنسائى وقال الترمذى حسن صحيح .

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ، وفى الصحيحين واللفظ للبخارى عن عبد الله بن عباس قال : انخفضت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث وفيه فقالوا : رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك ثم رأيناك تكلمت ، فقال إني رأيت الجنة وتناولت عنقود لو أصبته لا كلمت منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظراً كالיום قط أفظع منها ، الحديث .

وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضى الله عنه « وأيم الذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، قالوا وما رأيتم يا رسول الله ؟ قال رأيتم الجنة والنار » الحديث ، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن الجنة والنار مخلوقتان وإنهما موجودتان الآن ، أعد الله الجنة لأولياؤه وأعد النار لأعدائه ، ولم يزل على ذلك أهل السنة والجماعة حتى نبئت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وزعمت أن الله ينشئهما يوم القيامة وأن إيجادهما الآن عبث ، وحلهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه فى أفعاله ، فهم مشبهة فى الأفعال معطلة فى الصفات ، والأدلة على بطلان هذا القول أكثر من أن تحصى ، كما تكاثرت أدلة الكتاب والسنة على دوام الجنة والنار وأنها لا تفنيان أبداً ولا تنبیدان ، قال تعالى (أكلها دائم وظلها) وقال (إن هذا الرزقنا ما له من نفاد) وقال (وما هم منها بمخرجين) وقال فى النار (ولهم عذاب مقيم) وقال (خالدين فيها أبداً) إلى غير ذلك من الأدلة التى لا تحصى قوله (وتفاصيل ذلك) أى تبين ذلك وتوضيحه (مذكورة فى الكتب المنزلة من السماء) فإن يوم القيامة وما اشتمل عليه معروف عند الأنبياء عليهم السلام من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من حين أهبط آدم ، قال تعالى « اهبطوا بهضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين » وقال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » ولما قال إبليس انظرنى إلى يوم يبعثون قال « إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » وأما نوح فقال سبحانه حكاية عنه « والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً » وقال إبراهيم « الذى أطمع أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين » وقال « رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » وقال عن موسى « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » ومؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد وإنما آمن بموسى وحذر قومه مما يقع

والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء عليهم السلام ، وفي العلم

يوم القيامة ، فقال تعالى حكاية عنه « ويا قوم إني أخاف عليكم يوم القنادر » إلى قوله « إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار » إلى غير ذلك مما هو مذكور في الكتب السابقة وعن الأنبياء عليهم السلام .

قوله (المأثور) أى المنقول المذكور ، يقول أنزل الحديث إذا نقلته عن غيرك واصطلاحاً الأثر يطلق على المروى مطلقاً سواء كان عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي ، وهو قول الجمهور .

قوله (العلم) أى العلم الشرعى النافع ، وهو ما جاء عن الرسول ﷺ . قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : العلم ما قام عليه الدليل والنافع ما جاء عن الرسول ﷺ ، وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبی ﷺ قال « العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل علم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة ، قال ابن القيم رحمه الله فى النونية العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولوا العرفان ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأى فلان قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : العلم الممدوح هو الذى ورثه الأنبياء ، وهذا العلم أقسام ثلاثة :

الأول : علم بالله وأسمائه وصفاته وما يتبع ذلك ، وفى مثله أنزل الله سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوها .

الثانى : العلم بما أخبر الله به مما كان من الامور الماضية ومما يكون من المستقبل وما هو كائن من الامور الحاضرة ، وفى مثله أنزل الله القصص والوعد والوعيد وصفة الجنة والنار .

الثالث : العلم بما أمر الله به من الامور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله ومن معارف القلوب وأحوالها وأحوال الجوارح وأعمالها ، وهذا يندرج فيه العلم بأصول الدين وقواعد الإسلام والعلم بالأقوال والأفعال الظاهرة مما هو مذكور فى

الموروث عن محمد ﷺ من ذاك ما يشفى ويكفى

كتب الفقه ، انتهى . وقال ابن القيم :

والعلم أقسام ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيين
علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني
قوله (الموروث عن محمد ﷺ) الموروث من الإرث وهو لغة البقية وانتقال
الشئ من قوم إلى قوم آخرين ، والمراد به هنا إرث العلم والحكمة كما قال النبي
ﷺ في حديث أبي الدرداء : والعلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا شيئاً
ولا ذرهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، ولهذا قال ابن عباس رضى الله
عنه : إنما ترك ما بين الدفتين ، يعنى القرآن والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة ،
أى تابعة له ، والمقصود الأعظم كتاب الله .

قوله (يكفى) أى يغنى . قوله (يشفى) مأخوذ من شفى يشفى ، أى يبرىء ،
فالكتاب والسنة بهما غاية الشفاء والكفاية ، فقد أنزل الله على نبيه القرآن العظيم
الذى شرفه الله على كل كتاب أنزله وجعله مبيناً عليها وناسخاً لها ، والسنة مفسرة
للقرآن ومبينة له وموضحة له كما قال تعالى « وأنزلنا عليك الذكر لتبين للناس
ما نزل إليهم » وقال تعالى « أو لم يكفهم أنا أنزلنا إليك الكتاب يتلى عليهم »
وقال « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » وقال « قد جاءكم موعظة
من ربكم وشفاء لما فى الصدور » ففى كتاب الله وسنة رسوله غاية الشفاء لجميع
الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة ، وفى حديث ابن عباس أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ولما رأى مع عمر ورقة
من القنطرة غضب ﷺ وقال « أمتهم كون يا ابن الخطاب ، لو كان موسى حياً
ما وسعه إلا اتباعى »

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه حينما سمع رجلاً من قيس كتب كتاب دانهال

فمن ابتغاه وجده . وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر

غضب عليه وأمره فحاه وساق ما عمل معه النبي ﷺ ولم يمت رسول الله ﷺ حتى أكل الله له الدين فلا خير إلا دل الامة عليه ولا شر إلا حذرنا عنه ، وقد أعطي ﷺ جوامع الكلام وخواتمه ، وقال ﷺ « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » وقال أبو ذر رضى الله عنه توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وذكر لنا منه علما .

قوله (فمن ابتغاه) أى طلبه . قوله (وجده) أى حصله وأدركه فهو سهل اللفظ قريب المعنى واضح الأسلوب ، قال الله سبحانه (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر .

قوله (وتؤمن الفرقة الناجية) الخ . القدر بالفتح والسكون لغة مصدر قدرت الشيء إذا أحطت بمقداره وعرفه بعضهم بقوله هو تعلق علم الله وإرادته أزلا بالكائنات قبل وجودها فلا حادث إلا وقد قدره الله أزلا أى سبق به علمه وتعلقت به إرادته ، والإيمان بالقدر هو أحد أصول الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل وغيره وأجمع عليها أهل السنة والجماعة ولم يخالف في ذلك إلا مجوس هذه الامة القدرية ، وقد خرجوا في أواخر عهد الصحابة ، وأنكر عليهم الصحابة الموجودون إذ ذاك ، وأول من قال ذلك معبد الجهنى بالبصرة ، كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر أنه قال : والذي نفسى بيده لو كان لأحدم مثل أحد ذهباً ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، ثم استدلل بقول النبي ﷺ « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » فجعل الإيمان بالقدر سادس أصول الإيمان فمن أنكره فليس بمؤمن بل ولا مسلم فلا يقبل عمله ، وقال ابن القيم رحمه الله بعد ذكر آثار في الإيمان بالقدر ، قال وهذه الآثار كلها تحقق هذا المقام وتبين أن من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد ولبس جلباب الشرك ، بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه ، وهذا في كل كتاب أنزله الله على رسله ، انتهى

خيره وشره ، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين

وقال طاووس رحمه الله : أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله يقولون كل شيء بقدر . وقال أيوب السخيتاني : أدركت الناس وما كلامهم إلا أن قضى وقدر . وفي صحيح مسلم عن طاووس : أدركت أناساً من أصحاب رسول الله يقولون كل شيء بقدر ، وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ كل شيء بقدر حتى العجز والكيس .

قوله (خيره وشره) فلا كائن إلا بإرادته ومشيئته فهو الخالق لكل شيء . قال ابن القيم رحمه الله : إثبات الشر في القضاء إنما هو بالإضافة إلى العبد والمفعول إذا كان يقدر عليه بسبب جهله وظلمه وذنوبه لا إلى الخالق فله في ذلك من الحكم ما تقصر عنه أفهام البشر فهو شر بالإضافة إلى العبد ، وأما بالإضافة إلى الخالق فكله خير وحكمة ، فانه صادر عن حكمة وعلم ، وما كان كذلك فهو خير محض بالنسبة إلى الرب إذ هو موجب أممائه وصفاته ، ولا تعارض بينه وبين قوله « والشر ليس إليك لأن معناه انه يمنع إضافة الشر إليك بوجه من الوجوه ، فلا يضاف الشر إلى ذاته ولا إلى أممائه وصفاته وأفعاله ، فان ذاته منزهة عن كل شر وصفاته كذلك ، إذ كلها صفات كمال ونعوت جلال لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، انتهى بتصرف .

قوله (والإيمان بالقدر على درجتين) الخ . ذكر المصنف مراتب الإيمان بالقدر فبدأ بمرتبة العلم ، وقد تقدم الكلام على صفة العلم وانها من الصفات الذاتية وانها متناولة الموجود والمعدوم والواجب والممكن والممتنع . قال شيخ الإسلام : إن علم الله السابق محيط بالاشياء على ما هي عليه لا محو فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون ولو كان كيف يكون ، انتهى ، والادلة على إثباتها من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر وانفق عليها الصحابة والتابعون ومن تبعهم ولم يخالف فيها إلا مجوس هذه الامة .

الأولى الإيمان بأن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلاً ،
وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والارزاق والآجال

قوله (الأولى الإيمان بأن الله) الخ . قال تعالى (إن الله بكل شئ عليم ، فهو سبحانه موصوف بالعلم وبأنه بكل شئ عليم أزلاً وأبداً ، فلم يتقدم علمه جهالة ، وما كان ربك نسياً ، فيعلم سبحانه ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، كما قال تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وأشار بما تقدم للرد على غلاة المعتزلة والرافضة الذين أنكروا أن الله عالم بالازل وقالوا إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوها — تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً — قال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

قوله (أزلاً أبداً) الازل القدم الذى لا نهاية له ، فالازل هو الدوام فى الماضى والأبد ما ليس له آخر فهو الدوام فى المستقبل ، فالأزلى هو الذى لم يزل كائناً ، والأبدى هو الذى لا يزال كائناً ، وكونه لم يزل ولا يزال معناه دوامه وبقاؤه الذى ليس بمبدأ ولا منتهى ، انتهى ، من كلام شيخ الاسلام .

قوله (من الطاعات) جمع طاعة مأخوذة من طاع بطوع ، واصطلاحاً الطاعة هى موافقة الامر وكل قرينة طاعة ولا عكس ، والمعاصى جمع معصية وهى ضد الطاعة ، والمعصية هو الذنب والإثم ألفاظ مترادفة ، والمعصية اصطلاحاً مخالفة الامر .

قوله (والارزاق والآجال) الارزاق جمع رزق وهو لغة الحظ والنصيب وشرعاً هو ما ينفع من حلال وحرام ، قال الله تعالى (وما من دابة فى الارض إلا على الله رزقها) فلا بد لكل مخلوق من استكمال رزقه ، كما فى حديث حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هذا رسول رب العالمين نفث فى روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها » رواه البزار ، وفى المتفق عليه من حديث ابن مسعود قال « يرسل الملك فيؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد » الحديث ، وزعمت المعتزلة أن الحرام ليس برزق ، فعلى قولهم يكون من أكل الحرام

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ، فأول ما خلق الله القلم قال له اكتب ، قال ما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة

طول عمره لم يرزقه الله ، وهذا باطل مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف ، فان الله سبحانه رازق كل الخلق ، وليس مخلوق بغير رزق ، ومعلوم أن الحرام معيشة لبعض الناس ، وقد قال تعالى « وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها » وقد قسم سبحانه معاشهم في الحياة الدنيا قال تعالى « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » وفي الحديث « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم » إلى غير ذلك من الأدلة .

قوله (والآجال) أى انه سبحانه قد علم رزقه وأجله قبل خلقه وإيجاده ، قال تعالى « إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » والآجل هو غاية الوقت في الموت ومدة الشيء . وفي صحيح مسلم عن عبد الله قال : قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ « اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية » قال فقال النبي ﷺ « لقد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئاً قبل أجله أو يؤخر شيئاً عن أجله ، ولو كنت سألت الله أن يعمدك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً أو أفضل » إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن الميت مات بعد استيفاء أجله واستكمال رزقه ، سواء مات حتف أنفه أو مات بالقتل ، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن المقتول قطع عليه أجله ، وقولهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة .

قوله (ثم كتب الله في اللوح) إلخ . هذه المرتبة الثانية من مراتب الايمان بالقدر وهي مرتبة الكتابة ، وهي أن الله كتب مقادير الخلائق وما هو كائن إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ ، فأعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابته ، والأدلة من الكتاب والسنة على إثبات هذه المرتبة كثيرة جداً ، وأجمع على إثباتها الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث ، قال الله تعالى (ما أصاب من مصيبة في

فأصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام
وطويت الصحف

الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب) الآية ، وفي سنن أبي داود عن عبادة بن
الصامت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب
قال وما أكتب ؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، وفي الصحيح من
حديث عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « قدر الله مقادير الخلق قبل
أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وأفاد هذا
الحديث أن التقدير وقع بعد خلق العرش ، فدل على أن العرش مخلوق قبل القلم .

قوله (فما أصاب الإنسان) الخ هذا هو حقيقة الإيمان بالقدر فما يصيب الإنسان
مما يضره وينفعه فكله مقدر عليه ولا يصيب العبد إلا ما كتب له من مقادير ذلك
في الكتاب السابق كما قال سبحانه (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) وفي حديث
ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له : واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك
وما أخطأك لم يكن ليصيبك . الحديث

قوله (جفت الأقلام وطويت الصحف) هذا كناية عن تقديم كتابة المقادير كلها
والفراغ منها من أمد بعيد ، وقد دل الكتاب والسنة على مثل هذا المعنى كما في
حديث ابن عباس المتقدم : واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم
ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا
بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له :
جف القلم بما أنت لاق . وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رجلا قال
يا رسول الله : فيم العمل ؟ أفبا جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما يستقبل ؟
قال فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، قال ففيم العمل ؟ قال اعملوا فكل ميسر

قال تعالى « ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير » وقال « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها

لما خلق له » . قال ابن القيم رحمه الله : قد تضمن هذا الحديث الرد على القدرية والجبرية وإثبات القدر والشرع وإثبات الكتاب الأول المتضمن لعلم الله سبحانه الاشياء قبل كونها وإثبات خلق الفعل الجزائي وهو يبطل أصول القدرية الذين ينفون خلق الفعل مطلقا ، ومن أقر منهم بخلق الفعل الجزائي دون الابتداء هدم أصله ونقض قاعدته والنبي ﷺ أخبر بمثل ما أخبر به الرب أن العبد ميسر لما خلق له لا مجبور ، فالجبر لفظ بدعي والتميسير لفظ القرآن والسنة ، اهـ

قوله (الأقلام) ذكر الأقلام في هذه الاحاديث وغيرها مجموعة — دليل على أن للمقادير أقلاما غير القلم الأول الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة .

الأول : القلم العام الشامل لجميع المخلوقات وهو الذي كتب به مقادير كل شيء .
الثاني : خبير خلق آدم وهو قلم عام أيضا لكن لبنى آدم ، وورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بنى آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أيهم .
الثالث : حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد .

الرابع : الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم كما ورد ذلك في الكتاب والسنة ، انتهى من كلام ابن القيم قوله (ما أصاب من مصيبة في الأرض) أى من قحط وقلة نبات وقلة ثمار .
قوله (ولا في أنفسكم) من أمراض وقعد أولاد ونحو ذلك .
قوله (إلا في كتاب) وهو اللوح المحفوظ .
قوله (من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الأرض والانفس .

إن ذلك على الله يسير) وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه يمث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال : اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ، ونحو ذلك

قوله (إن ذلك على الله يسير) أى أن علمه الاشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله لأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، ففي هذه الايات أخبر سبحانه عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية ، فما أصابهم من خير وعسر قد كتب عليهم وقدر ولا بد من وقوعه ، وهذه الايات فيها الرد على القدرية نفاة العلم السابق .

قال النووي في شرح مسلم : قال العلماء رحمهم الله : وكتاب الله ولوحه وقلمه والصحف المذكورة في الاحاديث ، كل ذلك مما يجب الايمان به ، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمه إلى الله ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، اهـ

قوله (وهذا التقدير) الخ ، أى المتقدم ذكره ، وهو تقدير الله سبحانه وتعالى لتقدير الخلق في علمه وكتابه قبل تكوينها وإيجادها يكون في مواضع جملة وتفصيلا فمنها ما هو عام شامل لكل كائن كما في حديث : لما خلق الله القلم قال له اكتب فخرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، ومنها ما هو كالتفصيل من القدر السابق وبعضها أخص من بعض فما في الحديث المتقدم تقدير شامل ، وأخص منه ما في حديث ابن مسعود : يجمع خلق أحدكم ، الحديث ، وأخص منها ما ورد أنه يقدر في لهلة القدر ما يلقاه في تلك السنة إلى السنة الاخرى ، فقوله (فقد كتب الله في اللوح المحفوظ) إلى آخره ، هذا هو التقدير العام قبل خلق السموات والارض ، وما ذكره في حديث ابن مسعود : يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم أربعين يوماً علقة مثل ذلك ثم أربعين يوماً مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ، الحديث ، فهذا تقدير عمري وما رواه عبد الرزاق

فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل

وابن جرير عن قتادة رضى الله عنه فى قوله تعالى (تنزل الملائكة والروح) الآية قال : يقضى ما يكون فى السنة إلى مثلها ، فهذا التقدير تقدير حولى وما فى حديث ابن عباس رضى الله عنه « إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفنائه من ياقوتة حمراء قلعه نور وكتابه نور عرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة بحمى ويموت ويمز ويذل ويفعل ما يشاء ، فكذلك قوله سبحانه (كل يوم هو فى شأن) رواه عبدالرزاق وابن المنذر والطبرانى والحاكم ، فهذا التقدير المذكور فى هذا الحديث تقدير يومى .

قال ابن القيم رحمه الله : وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من القدر السابق وفى ذلك دليل على كمال علمه سبحانه وقدرته وحكمته وزيادة تعريفه الملائكة وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه ، قال فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد .

قوله (فهذا القدر) أى المذكور فيما تقدم وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد فى حينها قد كان ينكره غلاة القدرية كمعبد الجهنى الذى سأل ابن عمر عن مقالته ، وكعمرو بن عبيد وغيره فينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة ويؤمنون أنه أمر ونهى وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر أنف أى مستأنف وهذا القول أول ما حدث فى الاسلام بعد انقراض عصر انخلفاء الراشدين ، وكان أول من أظهر ذلك بالبصرة معبد الجهنى وأخذ عنه هذا المذهب خيلان الدمشقي ، فلما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رد عليهم من قى من الصحابة كمعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ووائل بن الاسقع وغيرهم ، والقدرية ينقسمون إلى فرقتين : الأولى تنكر أن الله سبق علمه بالأشياء قبل وجودها وتزعم أن الله لم يقدر الأمور أزلاً ولم يتقدم علمه بها ، وإنما يعلمها إذا وقعت ، قال العلماء : والمنكرون لهذا انقرضوا وهم الذين كفرهم الأئمة مالك والشافعي وأحمد ، وهم الذين قال فيهم الشافعي

وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة

ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا .
 الفرقة الثانية : المقرون بالعلم وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة
 لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال ، وهو مع كونه مذهباً باطلاً أخف من المذهب
 الأول . قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : وأما هؤلاء — يعنى الفرقة الثانية — فإنهم
 مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك ، قال وفى هؤلاء خلق كثير من العلماء
 والعباد وكتب عنهم . وأخرج البخارى ومسلم لجماعة منهم ، لكن من كان داعية لم
 يخرجوا له ، وهذا مذهب فقهاء الحديث كأحمد وغيره ، ومن كان داعية إلى بدعة
 فانه يستحق العقوبة بدفع ضرره عن الناس ، وإن كان فى الباطل مجتهداً فأقل عقوبته
 أن يهجر فلا يكون له رتبة فى الدين ، فلا يستقضى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك . اهـ
 قوله (وأما الدرجة الثانية) الخ . هذه المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر
 وهو إثبات مشيئة الله النافذة ، أى الماضية التى لا راد لها من نفذ السهم نفوذاً إذا
 خرق الرمية ، ونفذ الامر مضى ، هذه المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر وهو
 إثبات نفوذ قدرته ومشيئته ، وشمول قدرته قد دل عليها الكتاب والسنة وأجمع
 عليها سلف الامة ، قال الله تعالى (ولو شاء الله ما اقتتلوا) وقال (ولو شئنا لآتينا
 كل نفس هداها إلى غير ذلك من الآيات الدالة على نفوذ مشيئته فلا خروج لكائن
 عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه ، وفى هذه الآيات وغيرها الرد على القدرية
 والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أَرَادَهُ الله من العبد وشاءه
 وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة فى هذا الباب وغيره واعتقدوا
 أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله فى كل شئ مما يوافق ما شرعه وما يخالفه من أفعال
 العبد وأقواله ، فالكل بمشيئة الله ، فما وافق ما شرعه رضىه وأحبه ، وما خالفه
 كرهه ، كما قال سبحانه وتعالى (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده
 الكفر) الآية .

وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله لا يكون في ملكه مالا يريد ، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات

قوله (وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان) الخ . فسر المصنف معنى الإيمان بهذه المرتبة وأشار بهذا إلى الرد على القدرية والمعتزلة الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف مشيئة الله ، وتقدم ذكر الأدلة على بطلان قولهم ، وهل أضل ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر والكافر شاء الكفر ، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله — تعالى الله عن قولهم — وقد تقدم ذكر أقسام الإرادة والمشيئة والفرق بينهما وبين المحبة والرضا .

قوله (وأنه سبحانه على كل شيء قدير) الخ . قال الله سبحانه (والله على كل شيء قدير) ففيها دليل على شمول قدرته ، فكل ممكن فهو مندرج فيها ، وفيها الرد على القدرية فإن مذهبهم أنه سبحانه ليس على كل شيء قدير ، وأن العباد يقدرون على مالا يقدر عليه ، وأنه سبحانه لا يقدر أن يهدى ضالا ولا يضل مهتديا ، وهذا المذهب باطل ترده أدلة الكتاب والسنة وهو كما قال بعض العلماء شرك في الربوبية مختصر ، ولذلك ورد أن القدرية مجوس هذه الأمة لمشابهة قولهم لقول المجوس ، وأما أهل السنة فيثبتون أن العبد فاعل حقيقة ولكنه مخلوق لله ومفعول ولا يقولون هو نفس فعل الله ، ويفرقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول .

قوله (من الموجودات) كأفعال خلقه من الملائكة والنبیین وسائر حركات العباد فلا يخرج عن خلقه وملكه شيء .

قوله (والمعدومات) كما قال سبحانه (إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) قال (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) أى شيئا في الخارج وإن كان شيئا في عامه سبحانه ، وأما المحال لذاته فلا حقيقة له ولا يتصور وجوده فلا يسمى شيئا باتفاق العقلاء وذلك مثل كون الشيء الواحد موجوداً معدوماً ومن هذا الباب خلق مثل نفسه

فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه

قوله (فما من مخلوق) الخ . قال تعالى (وخلق كل شيء) وقال (الله خالق كل شيء) فامتدح بأن الله خلق كل شيء وبأنه يعلم كل شيء ، فكما أنه لا يخرج عن علمه شيء فكذلك لا يخرج عن خلقه شيء ، فثبت أن الأفعال خيرها وشرها كلها صادرة عن خلقه وإحداثه إياها . اهـ

وفي هذه الآيات الرد على القدرية الذين يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه استقلالاً بدون مشيئة الله وإرادته ، ولا شك في بطلان هذا المذهب وفساده ومصادمته لأدلة الكتاب والسنة ، فإن قوله سبحانه (خالق كل شيء) شامل لأفعال العباد لدخولها في عموم كل ولا يدخل في ذلك أسماء الله وصفاته ، كما أنه سبحانه لم يدخل في عموم كل ، فكذلك أسماءه وصفاته .

قال ابن القيم ما معناه : في هذه الآيات دليل على أنه سبحانه خالق أفعال العباد كما أنه خالق ذواتهم وصفاتهم ، فالعبد كله مخلوق صفاته وذاته وأفعاله ، ومن أخرج أفعاله عن خلق الله فقد جعل فيه خالقاً مع الله ، ولهذا شبه السلف القدرية النفاة بالمجوس وقالوا هم مجوس هذه الامة ، صح ذلك عن ابن عباس . اهـ

قوله (لا خالق غيره ولا رب سواه) إشارة إلى الرد على القدرية المجوسية الذين يشبتون مع الله خالقين للأفعال ليست أفعالهم مقدورة له وهي صادرة بغير مشيئته وإرادته ولا قدرة له عليها ، فربوبيته سبحانه الكاملة المطلقة تبطل أقوال هؤلاء كلهم لأنها تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال ، وحقيقة قول هؤلاء أنه ليس رباً لأفعال الحيوان ولا تناولتها ربوبيته وكيف تناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلفه ، أما أهل السنة والجماعة فيؤمنون بأن الله خالق كل شيء لا خالق غيره وأنه على كل شيء قدير ، وبشمول مشيئته لكل ما كان وأنه بكل شيء عليم ، فيؤمنون بعموم خلقه وشمول قدرته ونفوذ مشيئته وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون ، فنعدم مراتب

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب
المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب
الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده
الكفر ولا يحب الفساد .

الايان بالقضاء والقدر أربع كما سبقت إشارة المصنف إليها . الأولى : علمه السابق
بما هم عاملون قبل إيجادهم . الثانية : كتابته لذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات
والارض . الثالثة : مشيئته المعنوية لكل موجود فلا خروج لكائن من مشيئته
كما لا خروج له عن علمه . الرابعة : خلقه له وإيجاده وتكوينه فانه لا خالق غيره
ونظم ذلك بعضهم بقوله :

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقته وهو إيجاد وتكوين
فيجب الإيـمان بالقضاء والقدر ولا يجوز الاحتجاج به في ترك أوامر الله أو فعل
نواهيه بل يجب أن تؤمن بذلك ونعلم أن الله الحجة علينا بانزال الكتب وبعث الرسل
قوله (ومع ذلك فقد أمر العباد) الخ . قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا
ليطاع بأذن الله) وقال (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) الآية ، والايان بالقدر من
تمام طاعة الله وطاعة رسوله ومن أثبت القدر وجعل ذلك معارضاً للأمر فقد أذهب
الاصل ، فقول المصنف : ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته الخ ، إشارة للرد على من
عارض شرعه وأمره بقضائه وقدره وجعل مشيئته العامة دافعة للأمر كفعل الزنادقة
إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر ، وقد احتج سارق على عمر بالقدر فقال : وأنا أقطع
يدك بقضاء الله وقدره . قال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : من ادعى أن العارف
إذا شهد الإرادة سقط عنه الامر كان هذا من الكفر الذي لا يرضاه أحد ، بل هذا
ممتنع في العقل محال في الشرع انتهى ، وقال ابن القيم بعد كلام : والمقصود انه لم يؤمن
بالقضاء والقدر والحكمة والامر والنهي والوعد والوعيد حقيقة الايمان إلا أتباع
الرسل وورثتهم . قوله (وهو يحب المتقين) الخ . هذا رد على من زعم أن المشيئة

والحبة سواء أوم لازمات كما يقوله الجبرية والقدرية ، وقد دل على الفرق بينهما الكتاب والسنة والإجماع والفطره قال الله تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) مع أن ذلك كله بمشيئته ، قال تعالى (والله لا يحب الفساد) مع أنه واقع بمشيئته وقضائه وقدره ، وفي المسند : إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته ، فهذه الحبة والكراهة لاصوبين اجتمعا في المشيئة واقترافا في الحبة والكراهة ، وهذا أكثر من أن يهصر ، فالمشيئة والحبة ليس مدلولها واحداً ولا هما متلازمان ، بل قد يشاء الله ما لا يحب ويحب ما لا يشاء كونه (فالاول) كشيئته لوجود إبليس وجنوده ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بفضه لبعضه (الثاني) كمحبته لإيمان الكفار والفجار ولو شاء ذلك لوجد كله ، فان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فأهل الكتاب والسنة يقولون الارادة في كتاب الله نوعان :

الاول : إرادة كونية قدرية ، والثاني إرادة دينية شرعية .

فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا ، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في الكلام على الآيات بما فيه الكفاية إن شاء الله .

قوله (والعباد فاعلون) الخ . قال الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) أي خلقكم والذي تعملونه ، فدل على أن أفعال العبد مخلوقة لله وعلى أنها أفعال لم حقيقة ففيها الرد على الجبرية الذين يقولون إن العبد لا فعل له ، وفيها الرد على القدرية الذين يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه استقلالاً ، وفي حديث حذيفة أن الله خالق كل صانع وصنعه ، فالله سبحانه خلق الانسان بجميع أعضائه وحركاته ، والآيات الدالة على خلق أفعال العباد كثيرة ، فقول المصنف (والعباد فاعلون حقيقة) رد على الجبرية الذين يقولون إن العبد ليس بفاعل أصلاً بل هو مجبور على أفعاله وواقعة بنهر اختياره

والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمصلى والصائم

وإن الفاعل فيه سواء والمحرك له غيره ، فهو آلة محضة وحركاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات المرتعش ، وقد يفعلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرا وشرها لموافقها للمشيئة والقدر ، وهؤلاء شر من القدرية النفاة وأشدّ عداوة لله ومناقضة لكتابه ورسوله ودينه .

قوله (والله خالق أفعالهم) رد على القدرية النفاة الذين يقولون إن الله لم يخلق أفعالهم وإنما واقعة بمشيئتهم وقدرتهم دون مشيئة الله ، وأن الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولا شاء ، وأن الله لا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديا ، وأن العباد خالقون لأفعالهم بدون مشيئة الله ، فشابهوا الجحوش في كونهم أثبتوا خالقاً مع الله ، ولذا سموا بجحوش هذه الامة ، والادلة على فساد قولهم وبطلانه كثيرة جداً ، وقد أطبق الصحابة والتابعون على ذمهم وتبديعهم وتضليلهم ، وبين أئمة الاسلام أنهم أشباه الجحوش وأنهم قد خالفوا أدلة الكتاب والسنة ، بل وخالفوا العقل والفطرة .

قوله (والعبد هو المؤمن والكافر) الخ . قال تعالى (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) وقال (إن الذين كفروا بآياتنا) وقال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) إلى غير ذلك من الادلة الدالة على نسبة أفعال العبد إليه نسبة حقيقية لا مجازية ، والله سبحانه لا يصح وصفه بالمصلى والصائم ونحو ذلك من أفعال عبيده ، بل العبد حقيقة هو المصلى والصائم ، وهل يليق بالله سبحانه أن يعاقبهم على نفس فعله ، بل إنما يعاقبهم على أفعالهم التي فعلوها حقيقة كما قال تعالى « وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين » فالعبد هو الذي صام وصلى وأسلم وهو الفاعل حقيقة بجمل الله فاعلا ، قال تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال (وجعلناهم أئمة يهدون إلى النار) إلى غير ذلك من الادلة الدالة على أن العبد فاعل حقيقة وأن فعله ينسب إليه ، وأنه يثاب على حسناته ويجازى على سيئته ، قال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً

وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين معهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة

يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) . قوله (وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة) إشارة للرد على الجبرية .

قوله (والله خالقهم وخالق قدرتهم) الخ . إشارة للرد على القدرية ، فالجبرية والقدرية في طرفي تقيض ، فالجبرية غلوا في الإثبات والقدرية غلوا في النفي ، وهدى الله أهل السنة والجماعة للقول الوسط فأثبتوا أن العباد فاعلون ولهم قدرة على أعمالهم ولهم إرادة ومشيتهم وأن الله سبحانه وتعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيتهم ، قال الله تعالى « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » فأثبت مشيئة للعبد وأخبر أنها لا تكون إلا بمشيئة الله ، فأفعال العبد تضاف إليه على جهة الحقيقة والله خلقه وخلق فعله ، كما قال تعالى « والله خلقكم وما تعملون » فأخبر أن العباد يعملون ويعصمون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويكذبون ، والادلة على إثبات أفعال العباد كثيرة جداً .

قوله (وهذه الدرجة من القدر) وهي إثبات أن العبد فاعل حقيقة وأن الله خلقه وخلق فعله يكذب بها عامة القدرية ، أي جميع القدرية أو أكثرهم ، فيزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه استقلالاً بدون مشيئة الله وإرادته ، ومما إقديريه لإنكارهم القدر ، وكذلك تسمي الجبرية المحتجون بالقدر قدرية لخوضهم في القدر ، والتسميه على الطائفة الاولى أغلب ، قال ابن تيمية في تأييده :

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طرا فرقة القدرية سواء نفروا أو سمعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به للشريعة قوله (مجوس هذه الأمة) معوا بذلك لمضاهاة قولهم لقول المجوس ، فإن المجوس يثبتون خالقين ، وكذلك القدرية أثبتوا أن الله خلقهم وأنهم خلقوا أفعالهم استقلالاً كما روي أبو داود في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : القدرية

ويفلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره

بحسب هذه الأمانة إن مرضوا فلا تمودوم وإن ماتوا فلا تشهدوم : وروى أبو داود أيضاً عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لكل أمة مجوس ومجوش هذه الأمة الذين يقولون لا قدر ، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ، ومن مرض منهم فلا تمودوم ، وهم شيعمة الدجال ، وأوحى على الله أن يلحقهم بالدجال » وأحاديث القدرية المرفوعة كلها ضعيفة ، وإنما يصح منها الموقوف ، وقد تقدم الكلام على هذا الموضوع ، وقد اختلف العلماء في تكفير هؤلاء ، وأما من أنكر العلم القديم فنص الشافعي وأحمد وغيرهما من أئمة الاسلام على تكفيره ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك .

قوله (ويفلو فيها قوم) الخ . أشار المصنف بقوله هذا إلى المجرة فانهم خلوا في نفى أفعال العباد حتى سلبوا العباد قدرتهم واختيارهم ، وزعموا أنهم لا يفعلون شيئاً البتة وإنما الله هو فاعل تلك الأفعال حقيقة فهي نفس فعله لا أفعالهم ، والعبيد ليس لهم قدرة ولا إرادة ولا فعل البتة وأن أفعالهم بمنزلة حركة الجمادات لا قدرة له عليها ، وإمام هؤلاء الجهم بن صفوان الترمذي ، وقولهم باطل لأننا نفرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة المرتعش ونعلم بأن الأول باختياره دون الثاني ، ولأنه لو لم يكن للعبد فعل أصلاً لما صح تكليفه ولا ترتب استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله ولا إسناد الأفعال التي تقتضى سابقة قصد إليه على سبيل الحقيقة مثل صلى وصام وكتب بخلاف مثل طال واسود لونه ، والنصوص القطعية تنفي ذلك ، قال الله تعالى « جزاء بما كانوا يعملون » وقال « من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » إلى غير ذلك .

قال ابن القيم : وهؤلاء خصماء الله الذين جاء فيهم الحديث « يقال يوم القيامة أين خصماء الله فيؤمن بهم إلى النار » وتقدم ما ذكره الشيخ في تأييده . وقال ابن القيم : سمعت الشيخ تقي الدين يقول : القدرية المذمومون في السنة وعلى لسان السافهم هؤلاء الفرق الثلاثة نفاقهم وهم : القدرية المجوسية والمعارضون به للشرعية الذين قالوا

ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها .

لو شاء الله ما أشركنا ، وهم القدرية المشركية والخاصون به للرب وهم أعداء الله وخصومه وهم القدرية الابليسية وشيخهم إبليس وهو أول من احتج على الله بالقدر فقال (بما أغويقني) ولم يعترف بالذنوب ويبوء به كما اعترف به آدم ، فن أقر بالذنوب وبأه به ونزه ربه فقد أشبه أباه آدم ومن أشبه أباه فما ظلم ومن بره نفسه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبه إبليس ، ولا ريب أن هؤلاء القدرية الابليسية والمشركية شر من القدرية النفاة ، والذي عليه أهل السنة والجماعة هو ما تقدم الايمان بأن أفعال المباد مخلوقة لله صادرة عن مشيئته وإرادته ، وهي أفعال لهم وكسب لهم باختيارهم ، فلذا ترتب عليها الثواب والعقاب كما تكررت بذلك الأدلة .

قوله (ويخرجون عن أفعال الله) الخ . أى ان هؤلاء الجهمية يزعمون أن الله تعالى لا يفعل لعل ولا حكمة وإنما هو محض مشيئة وصرف إرادة مجردة عن الحكمة والرحمة ، وكان شيخهم الجهم بن صفوان يقف على الجذماء فيقول أرحم الراحمين يفعل مثل هذا إنكاراً للرحمة والحكمة ، وأدلة الكتاب والسنة تبطل هذا المذهب قال ابن القيم رحمه الله : ولهذا الأصل لوازم وفروع كثيرة فاسدة ، وذكرها وردّها من تسعين وجهاً ، اهـ

والذى عليه أهل السنة والجماعة هو إثبات العلة والحكمة في أفعاله سبحانه وشرعه وقدره ، فما خلق شيئاً ولا قضاء ولا شرعه إلا لحكمة بالغة وإن تقاصرت عنها حقول البشر ، والأدلة في إثبات ذلك كثيرة جداً ، فانه سبحانه حكيم شرع الأحكام لحكمة ومصلحه ، فما خلق شيئاً عبثاً ولا خلقه سدى كما قال تعالى (أنفسهم أنما خلقناكم عبثاً) وقال (أبحسب الإنسان أن يترك سدى) وقال (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلاهين ما خلقناهما إلا بالحق) وقال (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال (ليكون للعالمين نذيراً) إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على إثبات هذا الأصل .

﴿ فصل ﴾ ومن أصول أهل السنة — أن للدين والإيمان قول وعمل — قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح

﴿ فصل ﴾

قوله (إن الدين) معناه لغة النذل ، يقال دنته فدان ، أى أذنته فذل ، وشرعاً هو ما أمر الله به على السنة رسوله ، والإيمان لغة التصديق كما قال تعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق ، وشرعاً الإيمان هو ما ذكره المصنف .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : لفظ الإيمان إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين ، فكل ما يحبه الله ورسوله يدخل فى اسم الإيمان انتهى وفى حديث جبريل : سمى النبي ﷺ الإسلام والإيمان والاحسان ديناً .

قوله (قول القلب) وهو الاعتقاد كاعتقاد ما أخبر الله به من نفسه وأعماله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسوله .

قوله (قول اللسان) وهو التكلم بالشهادتين والقيام بذكره سبحانه وتبليغ أوامره والذهوة إليه والقب من دينه ونحو ذلك .

قوله (وعمل القلب) وهو نيته وإخلاصه والتوكل والانابة والمحبة والافتقار والخوف منه سبحانه والرجاء وإخلاص الدين له والصبر ونحو ذلك من أهال القلوب قوله (وعمل اللسان والجوارح) كالصلاة والحج والجهاد ونحو ذلك ، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة هو ما تقدم أنه قول واعتقاد ، وحكى الشافعى على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم ، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكاراً شديداً .

روى اللالكاتى بإسناد صحيح عن البخارى قال : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالامصار فما رأيت أحداً منهم يختلف فى أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ، وقال الأوزاعي : كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان

وإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

وفي صحيح البخاري أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى هدي بن هدي أن الإيمان فرائض وعرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش فسا بينه لكم وإن أمت فما أنا على صحبتكم بهريص ، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لو فد عبد القيس أسركم بأربع : الإيمان بالله وحده ، وهل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وأن تؤدوا الخس من المغم . قال ابن القيم رحمه الله : فيه أن الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما علم ذلك أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وقابضهم ، وعلى ذلك ما يقارب من مائة دليل من الكتاب والسنة ، اهـ

قوله (وإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) كما قال سبحانه « ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » وقال تعالى « وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً » وقوله ﷺ « أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « الإيمان بضع وسبعون شعبه فأفضلها قول لا إله إلا الله وأداها إمطة الأذى عن الطريق والحياء من الإيمان » ولفظه لمسلم إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن الإيمان يزيد وينقص وعلى أن المؤمنين يخاضون في الإيمان فبعضهم أكل إيماناً من بعض ، كما قال سبحانه وتعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) فدلّت هذه الآية أن المؤمنين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام سابقون ومقتصدون وظالمون لأنفسهم ، فالسابق إلى الخيرات هو الذي عمل الواجبات والمستحبات واجتنب المحرمات والمكروهات ، والمقتصد هو من اقتصر على فعل الواجبات واجتناب المحرمات ، والظالم لنفسه هو من أخل ببعض الواجبات وانتهك بعض المحرمات ، فكل واحد من هذه الأقسام يطلق عليه أنه مؤمن .

أما أصول الإيمان فستة كما في حديث جبريل وهي : أن تؤمن بالله وملائكته

وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وفي الحديث المذكور جمل
 مراتب الدين ثلاثة : الإيمان والاسلام والاحسان فأعلاها الاحسان ثم الايمان ثم
 الاسلام ، فكل محسن مؤمن مسلم ولا ينعكس وكل مؤمن مسلم لا العكس ، فالمرتبة
 الاولى الاسلام وهي التي يدخل فيها الكافر أ ل ما يتكلم باسلام ، وأعلى منها مرتبة
 الايمان لأن الله نفي عن ادعي الايمان من أول وهلة الايمان وأثبت لهم الاسلام
 كما قال تعالى « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا »

المرتبة الثالثة الاحسان وهي أعلا من المرتبتين الأولىين ، فقد ينفي عن الرجل
 الاحسان ويثبت له الايمان ، وينفي عنه الايمان ويثبت له الاسلام كما في حديث
 « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » ولا يخرج عن مرتبة الاسلام إلا الكفر
 بالله والشرك المخرج عن الملة .

وأما المعاصي والكبائر كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك فلا يخرج عن دائرة الاسلام
 عند أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة ، وهذا التفريق بين الاسلام
 والايمان إذا ذكرهما جميعاً ، فان الاسلام يفسر بالانقياد للأعمال الظاهرة ، والايمان
 يفسر بالأعمال الباطنة ، كما فرق بينهما في حديث جبريل فقال : الاسلام أن تشهد
 أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان
 وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
 ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

وروى الامام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « الاسلام
 علانية والايمان بالقلب » وهذا إذا ذكرهما معاً ، أما إذا أفرد أحدهما عن الآخر
 كقوله تعالى « إن الدين عند الله الاسلام » فانه يدخل فيه الآخر ، فاذا أفرد الايمان
 دخل فيه الاسلام وبالعكس ، ففيهما دلالة الاقتران والانفراد ، كالفقير
 والمسكين ونحو ذلك .

وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَكْفُرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكِبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ

قوله (وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَكْفُرُونَ) أَي لَا يَنْسُبُونَهُمْ لِلْكَفْرِ وَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ .
 قوله (أَهْلَ الْقِبْلَةِ) أَي مَنْ يَدْعِي الْإِسْلَامَ وَيَسْتَقْبِلُ الْكُتُبَةَ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ ذُنُوبٌ وَمَعَاصِي عَدَا الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَالْكَفْرَ الْمَخْرُجَ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، كَمَا قَالَ ﷺ « مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَنَا وَلَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا » فَأَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يَكْفُرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكِبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ ، فَإِنَّ الْخَوَارِجَ يَقُولُونَ مِنْ فِعْلِ كَبِيرَةٍ فَهُوَ فِي الدُّنْيَا كَافِرٌ وَفِي الْآخِرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ لَا يُخْرَجُ مِنْهَا لَا بِشَفَاعَةٍ وَلَا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ ، وَالْمُعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ مِنْ فِعْلِ كَبِيرَةٍ فَهُوَ فِي الدُّنْيَا لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ ، بَلْ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ أَوْ فِي الْآخِرَةِ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ كَقَوْلِ الْخَوَارِجِ ، وَقَابَلْتَهُمُ الْمَرْجُئَةُ فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ كَمَا لَا يَضُرُّهُ مَعَ الْكَفْرِ طَاعَةٌ ، وَقَالُوا إِيْمَانُ أَفْسَقَ النَّاسِ كَأِيْمَانِ أَبِي بَكْرٍ وَهَرٍ ، فَأَخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ فَعَلُوا وَالْمَرْجُئَةُ جَفَوْا ، أُولَئِكَ تَعَلَّقُوا بِأَحَادِيثِ الْوَعِيدِ ، وَهَؤُلَاءِ تَعَلَّقُوا بِأَحَادِيثِ الْوَعْدِ فَقَطْ ، وَهَدَى اللَّهُ أَهْلَ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ لِقَوْلِ الْوَسْطِ الَّذِي نَدَلَ عَلَيْهِ أَدْلَةُ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ، فَقَالُوا إِنَّ الْفَاسِقَ لَا يُخْرَجُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَجْرَدِ فَسْقِهِ وَلَا يُخْلَدُ فِي النَّارِ فِي الْآخِرَةِ ، بَلْ هُوَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ إِنْ عَنَى عَنْهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَعْزِمْ عَنْهُ عَذَابٌ بِقَدْرِ ذَنْبِهِ ثُمَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَلَا يَدُلُّهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَالْمَعَاصِي مَرَضٌ لِمَعْقُوبَةِ اللَّهِ وَهَذَابُهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « إِنْ اللَّهُ لَا يَنْفِرُ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ وَيَنْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » فَهَذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ مَنْ مَاتَ غَيْرَ مُشْرِكٍ فَهُوَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ ، فَفِيهَا الرَّدُّ عَلَى الْخَوَارِجِ الْمُسْكِرِينَ بِالذُّنُوبِ وَعَلَى الْمَرْجُئَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الذُّنُوبَ لَا تَضُرُّ وَأَنَّ النَّاسَ فِي الْإِيمَانِ سَوَاءٌ لَا تَقَاضِلُ بَيْنَهُمْ وَهَنْ أَنَسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ : الْكَفُّ عَنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا نَكْفُرُهُ بِذَنْبٍ وَلَا نَخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ ، وَالْجِهَادُ مَا ضَى مِنْهُدٍ بَعَثَ اللَّهُ حَتَّى يَقَاتِلَ آخِرَ أُمَّةٍ الدُّجَالِ لَا يَبْطُلُهُ جُودُ جَائِرٍ وَلَا

بل الاخوة الایمانیة ثابتة مع الما صی كما قال سبحانه فی آیه القصاص (فن عنی له من أخیه شیء فاتباع بالمعروف) وقال (وإن طائفتان من المؤمنین اقتتلوا فأصلحوا بینهما فإن بفت إحداهما علی الأخری فقاتلوا التی تبغی حق تقیء إلی أمر الله ،

عدل عادل والایمان بالاقدار ، رواه أبو داود ، وفی الصحیح یخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفی قلبه متقال ذرة من ایمان ، ففیه دلیل علی زیادة الایمان ونقصانه وهی دخول طائفة من الموحدين النار ، وإن السکبائر لا یکفر فاعلمها ولا یخلد فی النار ، وقال البخاری رحمه الله باب خوف المؤمن أن یحبط عمله وهو لا یשמع ، قال ابراهیم التیمی : ما عرضت قولی علی علی الاخشیت أن أكون مکذبا ، وقال ابن أبی ملوکه : أدركت ثلاثین من أصحاب النبی ﷺ کلهم یخاف النفاق علی نفسه ما منهم أحد یقول انه علی ایمان جبریل ومیکائیل ، ویذكر عن الحسن : ما خافه الا مؤمن ولا آمنه الا منافق .

قوله (بل الاخوة الایمانیة ثابتة مع الما صی كما قال تعالی فی آیه القصاص (فن عنی له من أخیه شیء فاتباع بالمعروف وأداء الهیه باحسان) فسماء أخا مع وجود القتل منه ففیه دلیل علی أن الما صی لا یخرج من الایمان بمجرد الذنوب والما صی .

قوله (وإن طائفتان من المؤمنین اقتتلوا) الآیه . الطائفة القطعة من الشیء ویطلق علی الواحد فما فوقه عند الجمهور . وقوله (من المؤمنین اقتتلوا) فسماء مؤمنین مع الاقتتال ، وبهذا استدلل البخاری وغیره علی أنه لا یخرج من الایمان بالمعصیة لا كما یقول الخوارج والمعتزلة ومن تابعهم .

وفی صحیح البخاری من حدیث الحسن عن أبی بکرة أن رسول الله ﷺ قال : ان ابنی هذا سید ولعل الله أن یصلح به بین فتنین عظیمتین من المسلمین ، فكان كما قال ﷺ أصلح الله بین أهل الشام والمراق بعد الحروب الطویلة .

قوله (فان بفت إحداهما علی الأخری) أى تعدت إحداهما علی الأخری وأبیت الاجابة إلی حکم کتاب الله . قوله (حتی تقیء إلی أمر الله) أى ترجع إلی أمر الله

فان قامت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين ، انما المؤمنون
إخوة فأصلحوا بين أخويكم)

ورسوله وتسمع للحق وتطيعه ، كما في الصحيح عن أنس أن رسول الله ﷺ قال :
انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قلت يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً كيف أنصره
ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم فذلك نصرته يا أبا .

قوله (وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) فيه اثبات المحبة لله كما يليق بجلاله
وعظمته ، وفيه فضل الإصلاح بين الناس وفيه مدح العدل والانصاف . وروى ابن
أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : المقسطون
على منابر من نور عن يمين المرش الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا ، رواه
مسلم والنسائي وفيه انه لم يخرجوا بالبغى من الايمان ، وفيه انه أوجب قتالهم وانه
أسقط عنهم التبعة فيما أتلفوه في قتالهم ، وفيه اجازة قتال كل من منع حقاً عليه
والأحاديث بذلك مشهورة .

قوله (انما المؤمنون أخوة) أى اخوة في الدين ممام مؤمنين مع وجود الاقتتال
بينهم وجعلهم أخوة في الدين مع وجود الاقتتال بينهم ، فدل على أنهم لا يخرجون
من الايمان بالمعصية .

قوله (والكبائر) هى جمع كبيرة وهى الفعلة القبيحة من الذنوب العظيم أصرها ،
والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة ، وزاد شيخ الاسلام
ابن تيمية : أو ورد فيها وعيد بنفى ايمان أو لعن أو غضب ونحوها ، وفى قوله
والكبائر اشارة الى أن الذنوب تنقسم الى كبائر وصغائر ، وهو الصواب الذى تدل
عليه الأدلة .

وأما عدد الكبائر فعند سعيد بن جبير رضى الله عنه قال : قال رجل لابن عباس
الكبائر سبع ، فقال ابن عباس : هى الى السبعمائة أقرب منها الى السبع ، غير أنه
لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقد أوصلها هلالنا الى أكثر من السبعين

كما فى الاقناع وغيره ، قال فى شرح الطحاوية : وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالة وترك الخوف ما يلحقها بالكبائر ، وقد يقترن بالكبيرة من الحياء والخوف والوجل ما يلحقها بالصغائر ، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب ، وقد يعنى لصاحب الإحسان العظيم مالا يعنى لغيره ، فان فاهل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب هرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة :

الأول التوبة ، الثانى الاستغفار ، الثالث الحسنات الماحية ، الرابع المصائب الدنيوية الخامس عذاب القبر ، السادس دعاء المؤمنين واستغفارهم ، السابع ما يهذى إليه بعد الموت من ثواب صدقة أو قراءة أو حج ونحو ذلك ، الثامن أهوال يوم القيامة وشدائده ، التاسع ما ثبت أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ليقصص لبعضهم من بعض ، العاشر شفاعة الشافعين ، الحادى عشر عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة كما تقدم ، انتهى باختصار .

إذا عرف ما تقدم فينبغى أن يكون المؤمن خائفاً راجياً ، ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، فانه إذا رجح الخوف حمله على القنوط من رحمة الله ، وإذا رجح الرجاء حمله على الأمن من مكر الله وكلاهما من كبائر الذنوب .

قوله (الفاسق) الفسق لغة الخروج عن الاستقامة والجور ، وبه سمى الفاسق فاسقاً وشرعاً الفاسق من فعل كبيرة أو أصراً على صغيره وينقسم إلى قسمين :

(الأول) فسق اعتقاد كالرفض والاعتزال ونحوهما .

(الثانى) فسق عمل كالزنا واللواط وشرب الخمر ونحو ذلك .

قوله (الملى) أى الذى على ملة الإسلام ولم يرتكب من الذنوب ما يوجب كفره فأهل السنة والجماعة متفقون كلهم على أن متركب الكبيرة لا يكفر كفرآ ينقل عن الله بالسكايه وعلى أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ويدخل فى الكفر ومتفقون على أنه لا يستحق الخلود مع الكافرين ، وأن من مات على التوحيد فلا بد له من دخول

الإيمان بالكلية ولا يخلّدونه في النار كما تقوله المعتزلة

الجنة ، خلافاً للخوارج والمعتزلة ، فإن الخوارج أخرجهم من الإيمان وحكوا عليهم بالخلود في النار ، والمعتزلة وافقوا الخوارج في الحكم عليهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا منهم ما استحلته الخوارج ، وأما في الأسماء فأحدثوا المنزلة بين المنزلتين ، وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا بها ، وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم ، وهذا الخلاف فيما ذكر أول خلاف حدث في الملة .

قال ابن عبد الهادي في مناقب الشيخ تقي الدين : أول خلاف حدث في الملة في الفاسق الملى هل هو كافر أو مؤمن ، فقالت الخوارج إنه كافر ، وقالت الجماعة إنه مؤمن ، وقالت طائفة المعتزلة : هو لا مؤمن ولا كافر منزلة بين المنزلتين وخلده في النار واعتزلوا حلقة الحسن البصري فسوا معتزلة . اهـ

والأدلة على بطلان مذهب الخوارج والمعتزلة كثيرة جداً ، وقد تقدم ذكر بعضها كقوله تعالى (فن عفى له من أخيه شيء) وكقوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فهما مؤمنين مع وجود القتل والاقتتال ، ومهما أخوة مع وجود ذلك ، والمراد أخوة الدين كما تقدم ، وقد تقدم ذكر انقسام المؤمنين إلى ثلاثة أقسام سابقين ومقتصدين وظالمين لأنفسهم .

وقد تواتر في الأحاديث : أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وحديث الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمالة الأذى عن الطريق ، والحياة شعبة من الإيمان ، فلم أن الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة ، وأن قليله يخرج به صاحبه من النار إن دخلها ، وأيضاً فلو كان العاصي كافراً كفراً ينقل عن الله بالكلية لكان مرتدّاً ولا يقبل عفو ولى القصاص ولا تجزى الحدود في الزنا والسرقه وشرب الخمر ، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الاسلام ، ونصوص الكتاب والسنة والاجماع تدل على أن الزاني والسارق وشارب الخمر والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد ، فدل على أنه ليس بمرتد

بل الفاسق يدخل في اسم الايمان المطلق كما في قوله (فتحرر رقبة مؤمنة) وقد لا يدخل في اسم الايمان المطلق

وقال ابن القيم في المدايح : والفاسق أيضاً ينقسم إلى قسمين : فسوق من جهة العمل وفسق من جهة الاعتقاد — إلى أن قال — وفسق الاعتقاد كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله ورسوله ويحرمون ما حرم الله ورسوله ويوجبون ما أوجبه ولكن ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله جهلاً وتأويلاً وتقليداً للشيوخ ، ويشبهون ما لم يتبعه الله ورسوله كذلك ، وهؤلاء كانوا أراج المارقة وكثير من الروافض والقدرية والمعتزلة وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة في التعجم .

وأما غالبية الجهمية وغلاة الرافضة فليس للطائفتين في الاسلام نصيب ، ولذلك أخرجهن جماعة من السلف من الثنتين والسبعين فرقة وقالوا هم مبايدون لله ، فالتوبة من هذا الفسوق بإثبات ما أثبتته الله ورسوله من غير تشبيه ولا تعطيل ، وتزبيحه عما نزه به نفسه ونزاه به رسوله من غير تشبيه ولا تعطيل ، وتلقى الاثبات والنفي من مشكاة الوحي لا من آراء الرجال ونقائج أفكارهم ، فتوبة هؤلاء الفاسق من جهة الاعتقادات الفاسدة بمحض اتباع السنة ، ولا يكفى أيضاً منهم بذلك حتى يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة .

قوله (بل الفاسق يدخل) الخ . فان أعتق رقبة مؤمنة فيما يشترط في العتق لإيمان الرقبة ، أجزأت الرقبة الفاسقة ، فقد دخلت في اسم الايمان المطلق وإن لم تكن من أهل الايمان الكامل ، فالفاسق يدخل في جملة أهل الايمان على سبيل إطلاق أهل الايمان ، وقد لا يدخل في اسم الايمان المطلق كما في قوله (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية ، فالفاسق لا يسلب عنه اسم الايمان على الإطلاق ولا يثبت له على الإطلاق بل يقال مؤمن ناقص الايمان ، أو مؤمن بايمانه فاسق بكبيره وحقيرة الأمر أن من لم يكن من المؤمنين حقاً يقال فيه إنه مسلم ومعه إيمان يمنعه من الظلود في النار .

كافى قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) وقوله وَيَسْتَلِيمُونَ « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »

قوله (إنما) أداة حصر تثبت المذكور وتنفي ما عداه

قوله (المؤمنون) أى الايمان الكامل المأمور به

قوله (وجلت قلوبهم) أى خافت . قوله (زادتهم إيماناً) فيها دليل على أن الايمان يزيد وينقص .

قوله (يتوكلون) أى يفوضون أمرهم إلى الله ، ففيها فضل التوكل وأنه من أجل أعمال القلوب ، وفيها دليل على أن الأعمال الظاهرة والباطنة داخلة في معنى الايمان شرعاً ، فكل ما نقص من الأعمال التى لا يخرج بعضها من الاسلام فهو نقص فى كمال الايمان الواجب كما فى حديث أبى هريرة المتفق عليه « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » الحديث ، فالنفي فى هذا الحديث كمال الايمان الواجب ، فلا يطلق الايمان على مثل أهل هذه الأعمال إلا مقيداً بالمصية أو الفسوق ، فيقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فيكون معه من الايمان بقدر ما معه من الأعمال الباطنة والظاهرة ، فيدخل فى أهل الايمان على سبيل إطلاق أهل الايمان كما تقدم فى قوله (فتحرير رقبة مؤمنة) .

وأما المؤمن الايمان المطلق الذى لا يتقيد بمصية ولا فسوق ونحو ذلك فهو الذى أنى بما يستطيعه من الواجبات مع تركه لجميع المحرمات فهو الذى يطلق عليه اسم الايمان من غير تقييد ، فهذا هو الفرق بين مطلق الايمان والايمان المطلق .

الثانى : هو الذى لا يصر صاحبه على ذنب ، والاول هو المصر على بعض الذنوب فطلق الايمان هو وصف المسلم الذى معه أصل الايمان الذى لا يتم الاسلام إلا به فلا يصح إلا به .

والمرتبة الثانية مرتبة أهل الايمان المطلق الذين كل إسلامهم وإيمانهم بإيمانهم

ولا يفتنبه نُهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»
ونقول : هو مؤمن ناقص الايمان

بما وجب عليهم ، وتركهم ما حرم الله عليهم ، وعدم إصرارهم على الذنوب ، فهذه المرتبة الثانية الذي وهب الله أهلها بدخول الجنة والنجاة من النار ، انتهى
وفي قوله ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » الحديث ، دليل على دخول الأعمال في مسمى الايمان ، فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الايمان لما انتفى اسم الايمان عن مرتكب شيء منها لأن الاسم لا ينتفى إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته ، والمراد بنفى الايمان نفى بلوغ حقيقته ونهايته ، وفي هذا الحديث الرد على المرجئة والجمية ومن اتبعهم الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الايمان ، ويزعمون أن الايمان لا يتفاضل ، وهو إما أن يزول بالكلية أو يبقى كاملاً ، وقولهم ظاهر البطلان فقد دل الحديث على أن الزاني وشارب الخمر ونحوهم حين فعلهم المعصية قد انتفى الايمان عنهم ، وقد دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على أنهم غير مرتدين بذلك ، فعلم أن الايمان المنفى في هذا الحديث وغيره إنما هو كمال الايمان الواجب ، فإن الله ورسوله لا ينفي اسم مسمى شرعي الا بانتفاء بعض أركانه أو واجباته .

قوله (نهبة) بضم النون هو ما ينهب ، والمراد المأخوذ جهراً قهراً .

قوله (ذات شرف) أى ذات قدر عظيم .

قوله (يرفع الناس إليها أبصارهم) أى ينظرونها لعظم قدرها .

قوله (ونقول هو مؤمن ناقص الايمان) فإن الله سبحانه وتعالى أطلق عليه الايمان كما تقدم من قوله (فمن عفى له من أخيه شيء) الآية ، وقوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الآية ، وكذلك الرسول ﷺ أطلق عليه الايمان ، كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال « من كانت له عند أخيه مظلمة فليتحلل منه اليوم

أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم .

قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، الحديث إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على إطلاق الإيمان على الفاسق .

قوله (ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان) الخ . خلافاً للرجئة والجهمية ومن اتبعهم فإن الإيمان عندهم لا يقبل الزيادة والنقصان ، بل هو شيء واحد يستوى فيه جميع المؤمنين من الملائكة والمقتصدین والمقربين والظالمين ، وقد سبق ذكر مذهبهم والرد عليه .

قوله (فلا يعطى الاسم المطلق) أى لا يعطى الفاسق اسم الإيمان المطلق ، أى الكامل الذى صاحبه يستحق عليه دخول الجنة والنجاة من النار ، وهو فعل الواجبات وترك المحرمات وهو الذى يطلق على من كان كذلك بلا قيد فلا يطلق على الفاسق : الإيمان إلا مقيداً ، فيقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، أو يقال مؤمن ناقص الإيمان فلا يسمى مؤمناً إلا بقيد ، وهذا الذى يسميه العلماء مطلق الإيمان . وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله : والتحقيق أن يقال إنه مؤمن ناقص الإيمان مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ، فإن الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق ، واسم الإيمان يتناولهما فيما أمر الله به ورسوله ، لأن ذلك إيجاب عليه ونهـيـم عليه وهو لازم له كما يلتزم غيره ، وإنما الكلام فى المدح المطلق ، اهـ

قوله (ولا يسلب مطلق الاسم) كما تقدم إطلاق الإيمان فى الآيات عليه ، وكذلك رسوله فيطلق عليه الايمان مقيداً كما تقدم ، فيقال مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ويقال مؤمن ناقص الايمان ، وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة خلافاً للخوارج والمعتزلة . أما ما جاء فى بعض الأحاديث من نفى الايمان عن بعض العصاة فالمراد به نفى الايمان المطلق لا مطلق الايمان كما تقدم .

قال الشيخ تقي الدين فى كتاب الإيمان : الإيمان إذا أطلق فى كلام الله ورسوله يتناول فعل الواجبات وترك المحرمات ، ومن نفى الله ورسوله عنه الإيمان فلا بد

﴿ فصل ﴾ ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم

أن يكون ترك واجباً أو فعل محرماً ، فلا يدخل في الاسم الذي يستحق أهله الوعد دون الوعيد ، انتهى . قال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد : الإيمان المطلق لا يطلق إلا على الكامل السكّال المأمور به ، ومطلق الإيمان يطلق على الكامل والناقص ، ولهذا نفى الإيمان المطلق عن الزاني وشارب الخمر والسارق ، ولم ينف عنه مطلق الإيمان لئلا يدخل في قوله « والله ولي المؤمنين » ولا في قوله « قد أفلح المؤمنون » ولا في قوله « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » الآية ، ويدخل في قوله « فتحرير رقبة مؤمنة » وفي قوله « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » الآية ، فلهذا كان قوله « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » نفياً للإيمان المطلق لا لمطلق الإيمان لوجوه ساقها ، فالإيمان المطلق يمنع دخول النار ، ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها ، فاذا قيل الفاسق مؤمن فهو على هذا التفصيل ، انتهى .

﴿ فصل ﴾

قوله (ومن أصول) جمع أصل وهو لغة ما يبنى عليه غيره ، واصطلاحاً ما له فرع ويطلق الأصل على أربعة أشياء : على الدليل غالباً ، كقولهم أصل هذه المسألة الكتاب والسنة أى دليله ، الثانى على الراجح من الأمرين كقولهم الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز . الثالث القاعدة المستمرة كقولهم : أكل الميتة على خلاف الأصل الرابع المقيس عليه ، وهو ما يقابل الفرع في باب القياس ، انتهى ، من الكوكب المنير .

قوله (سلامة قلوبهم) أى من النحل والحقد والبغض والعداوة لأصحاب رسول الله ﷺ وسلامة ألسنتهم من الطعن فيهم والأمن والوقية فيهم ، كما يفعله الرافضة والخوارج ، وكذلك يجب اعتقاد فضلهم رضوان الله عليهم ومعرفة سابقتهم وذكر

لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله في قوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم

محاسنهم والقرم عليهم والاستغفار لهم والكف عما شجر بينهم فانهم خير القرون وهم السابقون الأولون ، وفي الكتاب والسنة من ذكر فضائلهم ومناقبهم ومقاماتهم الحميدة مالا يتسع لذكره هذا المختصر ، فلا مقام بعد مقام النبوة أعظم من مقام قوم ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرة دينه ، فهم أسعد الأمة بأصاية الصواب ، وأجدر بفقہ السنة والكتاب لفوزهم بصحبة نبيه فلا يبارون في فهمهم ولا يجارون في علمهم فكل علم وخير وصل فبسيديهم ، قال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية ، وفي هذه الآية أعظم رد على الرافضة والخوارج . قوله (لأصحاب) الخ . جمع صاحب والصحابي هو من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك ، قيل ولو تخلقه ردة . وقال البخاري : من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، انتهى . وآخر من مات منهم رضى الله عنهم هو أبو الطفيل عامر ابن وائلة الهثلي كما حزم به مسلم في صحيحه ، وكان موته سنة مائة وقيل سنة مائة وعشرة ، وأما عدد الصحابة فقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً كما قال السيوطي .

والفضل فيما بينهم مراتب وعدمهم للأنبياء يقارب وكلهم عدول ثقة لا يفتش عن عدالة أحد منهم بالإجماع ، وحكى الإجماع ابن الصلاح وابن عبد البر وحكاه إمام الحرمين ، وقال الشيخ تقي الدين : الذي عليه جمهور سلف الأمة وجمهور الخلف أن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم فيما أنزله على رسوله بقوله : والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، اهـ

قوله كما وصفهم الله في قوله (والذين جاءوا من بعدهم) الآية ، أى كما وصف اتباعهم بإحسان بقوله (والذين جاءوا من بعدهم) وهم التابعون الذين يجهتوا بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة .

يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)

قوله (يقولون ربنا اغفر لنا) أى يسألون الله المغفرة لهم وإخوانهم في الدين الذين سبقوهم بالإيمان ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ .
قوله (ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) أى ولا تجعل في قلوبنا بغضا وحسداً وغشا للذين آمنوا ، وفي حديث ابن مسعود الذى رواه الترمذى : ثلاث لا يفل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم ، فان دعوتهم تحبط من ورائهم ، أى أن هذه الثلاث تنفى الفل عن القلب فلا يبقى فيه معها غل ولا إخش ، فالإخلاص يمنع غل القلب وفساده ، وكذلك النصيحة فانها لا تجامع الفل فن نصح الأئمة والأمة فقد برىء من الفل ، وهذا بخلاف أهل البدع من الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم فان قلوبهم ممتلئة غلا وغشا ، ولهذا تجد الرافضة أبعد الناس من الاخلاص وأغشهم للأئمة والأمة وأشدهم بعداً عن جماعة المسلمين ، وفي هذه الآية الحث على محبة جميع المؤمنين ومودتهم والدعاء لهم والاستغفار ، وأن من صفات المؤمنين سلامة قلوبهم من الغل والحقد والبغض لآخوانهم المؤمنين كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسحر والسهر . وعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث . متفق عليه
قوله (ربنا إنك رؤوف رحيم) رؤوف أى ذو رأفة وهى شدة الرحمة ، وهو أبلغ من الرحيم ، تضمنت هذه الآية الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم وتضمنت أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للثناء ولا ريب أن الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة فانهم لم يستغفروا لسابقتهم وفي قلوبهم غل عاجهم ففيها الثناء على الصحابة وعلى أهل

وطاعة النبي ﷺ في قوله

السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك ، وروى ابن بطة وغيره عن مالك
ابن أنس أنه قال : من سب السلف فليس له من النية نصيب ، واستدل بالآية ،
وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : أمر الله بالاستغفار لأصحاب محمد
ﷺ وهو يعلم أنهم يقتلون .

ومن عائشة رضى الله عنها : أمرتم بالاستغفار لأصحاب رسول الله ﷺ فسيبتموهم
سمعت نبيكم يقول : لا تذهب هذه الأمة حتى يلحق آخرها أولها ، ورواه البغوي .
قال العباد بن كثير رحمه الله : فيما ويل من سبهم أو أبغضهم أو سب بعضهم
ولاسيما سيد الصحابة بعد رسول الله ﷺ وخيرهم وأفضلهم - أهني الصديق الأكبر
والخليفة الأعظم أبابكر بن أبي قحافة رضى الله عنه ، فان الطائفة الخذولة من الرافضة
يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم - عياذاً بالله من ذلك - وهذا يدل
على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون
من رضى الله عنهم ، وأما أهل السنة فانهم يترضون عن رضى الله عنه ويسبون من
سبه الله ورسوله ويوالون من يوالى الله ويعادون من يعادى الله وهم متمعنون لامبتدعون
ومقتدون لامبتدون ، ولهذا هم حزب الله المفلحون وهباده المؤمنون . اهـ

وقال مالك رحمه الله : من أصبح وفي قلبه بغض لأحد من الصحابة فقد أصابته
هذه الآية ، يعنى قوله « لينوط بهم الكفار » الآية ، وقد ذكر بعض العلماء أن
الرافضة ليسوا من فرق الأمة الحمديه ، وباستقراء ما هم عليه الآن من الفلأ في
أهل البيت والبناء على قبورهم وإظهار العن والسب لأصحاب رسول الله ﷺ
وسفاهات أخرى يجهل العقل والدين . يعلم أن هذه الطائفة ليست من الاسلام في
شيء ، ولذلك صرح بعض العلماء بتكفيرهم لسبهم الصحابة ، فقال صاحب تبيين
الحجرام : واعلم أن الروافض كفار عندنا لانهم يسبون أبابكر وعمر رضى الله عنهما ،
وكذلك من أنكر خلافتها يكفر عندنا على الأصح ، وإمام هذه الطائفة الخبيثة

« لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه »

منافق معروف النفاق يهودى الأصل وهو عبد الله بن سبأ ادعى الاسلام حيلة وسمى جهده لتفريق وتشتيت الكلمة ، وأدرك بعض قصده بقتل عثمان رضى الله عنه ثم أظهر الفلأ في على بن أبى طالب ، وقصته مشهورة

حديث « لا تسبوا أصحابي » رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ « لا تسبوا أصحابي فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه » انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبد الرحمن دون البخارى ، فقوله « لا تسبوا أصحابي » يعنى عبد الرحمن بن عوف وأمثاله من السابقين الاولين ، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعدبيعة الرضوان ، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة ومنهم خالد بن الوليد ، فنهى من له صحبة أن يسب من له صحبة اولى لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه حتى لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه ، فاذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية فكيف حال من ليس من الصحابة بحال .

قوله (لا تسبوا) أى لا تستموا . قوله (أحد) هو جبل معروف فى المدينة محي بذلك لتوحيده من الجبال كما ذكره السهيلي .

قوله (مد) المد مكىال معروف وهو رطل وثلاث بالعراق ، والنصيف النصف ، والمعنى أن غير الصحابة لو أنفق فى سبيل الله مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه فى الثواب ، وفى هذا دليل على تحريم سب أصحاب رسول الله ﷺ وأنه من كبائر الذنوب ، وفيه دليل على تحريم لعن أصحاب رسول الله ﷺ من باب أولى وإنه من كبائر الذنوب ، فان الحديث صريح فى تحريم السب ، واللعن أعظم من السب ، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « لعن المؤمن كقتله » وأصحابه

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع

ﷺ خيار المؤمنين كما قال ﷺ « خير القرون قرني » الحديث ، وروى الترمذي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آدام فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » قال الترمذي حديث غريب ، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على وجوب احترامهم وحفظ كرامتهم وتحريم سبهم والطعن فيهم ولعنهم .

قال الشيخ تقي الدين : من لعن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فانه يستحق العقوبة البالغة باتفاق المسلمين ، وقد تنازعوا هل يعاقب بالقتل أو ما دون القتل ، واستدل بهذا الحديث على عدالة جميع الصحابة لثناء النبي هذا الثناء العظيم الدال على فضلهم وعدالتهم ، وفيه دليل على تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم ، وهو قول الجمهور .

قال بعض السلف - لما سئل عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية أيهما أفضل ؟ قال غبار في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بن عبد العزيز ، وسبب تفضيل نفقتهم انها كانت في وقت الضنك والضييق بخلاف غيرهم ، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحايته وذلك معدوم بعده ، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم كما قال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .

قوله (ويقبلون ما جاء به الكتاب) هذا فيه الرد على الروافض والنواصب ، فقد أنثى الله سبحانه على أصحاب رسوله رضي الله عنهم ووهدهم بالجنة كما قال سبحانه (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية ، وقال (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا

من فضائلهم وصراتهم ويفضلون من أنفق من قبل الفتح

وعد الله الحسنى) والآيات والاحاديث في فضل الصحابة كثيرة جداً ، منها ما في الصحيحين من حديث عمران وغيره « خير القرون قرنى » الحديث .

وروى ابن بطه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « لاتسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة - يعنى مع النبي ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة » وفى رواية وكيع « خير من عبادة أحدكم عمره » والادلة في فضل الصحابة كثيرة لا يرتاب فيها إلا زائف ، فلا شك أنهم حازوا قصبات سبق واستولوا على الامد وبلغوا في الفضل والمعرف والعلم وجميع خصال الخير ما لم يبلغه أحد ، فالسعيد من اتبع صراطهم واقتفى آثارهم ، تالله لقد نصروا الدين ووطدوا قواعد الملة وفتحوا القلوب والارطان وجاهدوا فى الله حق جهاده فرضى عنهم وأرضاهم .

قوله (من فضائلهم) هو جمع فضيلة وهو الخصلة الجميلة التى يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو منزلة ، انتهى

قوله (وصراتهم) جمع مرتبة والمرتبة بالضم هى المنزلة ، والمكان ، وفيه جواز المفاضلة بين الصحابة ، وهو الذى تدل عليه الادلة ، وبه قال الجمهور ، فمعد أهل السنة أفضل الصحابة أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم على المرتضى ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة ثم أهل بدر ثم بيعة الرضوان ثم أحد ثم بقية الصحابة ثم باقى الامة أفضل من سائر الامم كما قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) الآية ، وفى السنن من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله .

قوله (من أنفق من قبل الفتح) وهؤلاء هم السابقون من المهاجرين والانصار والمذكورون فى قوله (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) الآية ، فالسابقون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم قال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا

من بعد وقتلوا وكلا وعد الله الحسنى) أى لا يستوى فى الاجر والثواب من أنفق ماله فى سبيل الله ونصرة رسوله قبل الفتح ومن أنفق بعده ، وذلك أن الاتفاق قبل الفتح فى حال شدة ضعف ، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون ، أما بعد الفتح فانه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، والمراد هنا بالفتح هو صلح الحديبية كما أشار إليه المصنف .

وفى صحيح البخارى عن أنس فى قوله تعالى « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً هو صلح الحديبيه . وعن البراء « أنتم تعدون الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية » ذكره البخارى . وسئل النبي عن صلح الحديبية أفتح هو ؟ قال نعم . قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : وأهل العلم على أنه أنزل فيه - أى فى صلح الحديبيه - إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، قال وهذه الآية نص على تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين بعده ، ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين فى قوله ، والسابقون الأولون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقتلوا وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم ، وذهب بعضهم إلى أن السابقين من صلى إلى القبلتين وهذا ضعيف ، وأطال الكلام فى رد هذا القول فى كتابه المنهاج انتهى ، وكانت بيعة الرضوان عام الحديبيه سنة ست من الهجرة ، وبذلك الصلح حصل من الفتح والخير ما لا يعلمه إلا الله مع أنه كرهه خلق كثير من المسلمين ولم يعلموا ما فيه من حسن العاقبة ، وكان عدد الصحابة الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة أكثر من ألف وأربعمائة وهم الذين فتحوا خيبر . وسورة الفتح أنزلها الله قبل فتح مكة ، وإنما سمى صلح الحديبيه فتحاً لما حصل فيه من الخير الكثير الذى لا يعلمه إلا الله . قال فى الهدى : ومضى صلح الحديبيه فتحاً لأن الفتح فى اللغة عبارة عن فتح المخلوق والصلح الذى حصل مع المشركين فى الحديبية كان بابه مسدوداً مطلقاً حتى فتحه الله . انتهى وقال ابن كثير رحمه الله : والجمهور على أن المراد بالفتح ها هنا فتح مكة . اهـ

وهو صلح الحديبية - وقَاتِل ، على من أنفق من بعده وقَاتِل ، ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشرة اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

قوله (الحديبية) كدويبية وقد تشدد ، بشر قرب مكة انتهى قاموس ، في هذه الآية دليل على أن الصدقة وكذلك سائر الأعمال تتفاضل بحسب الزمان والمكان ، وفيها دليل على فضل النفقة في سبيل الله وفضل الجهاد في سبيل الله ، وفيها دليل على تفاضل الصحابة رضوان الله عليهم ، واستدل بهذه الآية على أن الصحابة كلهم من أهل الجنة ، قال ابن حزم : الصحابة من أهل الجنة قطعاً واستدل بهذه الآية .

قوله (ويقدمون المهاجرين على الأنصار) وذلك لما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة كما قال سبحانه (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) وقال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) الآية .

قوله (والمهاجرين) وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ، انتهى قسطلاني ، وقال في الفتح : والمراد بالمهاجرين من عدا الأنصار ومن أسلم يوم الفتح وهم جرا . اهـ والهجرة هنا لغة : الترك وشرعاً هو الانتقال من بلد الشرك أو بلد تغلب فيه أحكام البدع المضلة إلى بلد الإسلام أو السنة .

قوله (الأنصار) أي أنصار رسول الله ﷺ ، المراد بهم الأوس والخزرج ، وكانوا يعرفون قبل ذلك ببني قيلة ، وهي الام التي تجمع القبيلتين ، فسماهم الرسول ﷺ الأنصار ، فصار ذلك دعماً عليهم ، وخصوا بهذه المنفعة المظني دون غيرهم من القبائل لما فازوا به من إيواء النبي ﷺ ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم والاحاديث في فضل الأنصار كثيرة ، كحديث أن النبي ﷺ قال « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار »

قوله (ويؤمنون بأن الله) الخ . كما روى الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم

فقد غفرت لكم ، وفي صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه أن غلاماً لحاطب قال :
 ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ « كذبت إنه شهد بدرآ والحديبية »
 وفي الصحيح من حديث على رضى الله عنه فى قصة كتاب حاطب ابن أبى بلتعة
 لقريش يخبرهم بخروج النبى ﷺ ، فقال عمر رضى الله عنه : دعى أضرب عنق هذا
 المنافق ، فقال إنه شهد بدرآ وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال « اعملوا
 ما شئتم فقد غفرت لكم » رواه الإمام أحمد .

قوله « لعل الله اطلع » الحديث ، صرح العلماء بأن العرجى المذكور فى كلام الله
 وكلام رسوله للوقوع ، وقد وقع عند أحمد وأبى داود وغيرهم فى حديث أبى هريرة
 بالجزم ، ولفظه « ان الله اطلع على أهل بدر » الحديث ، وفى هذه الأحاديث دليل
 على فضيلة أهل بدر وبشارة عظيمة لهم . قال النووى فى شرح مسلم ، قال العلماء رحمهم
 الله : معناه الفران لهم فى الآخرة ، فان توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه
 فى الدنيا . ونقل القاضى عياض : الإجماع على إقامة الحد وأقامه عمر على بعضهم وقال
 وضرب النبى ﷺ مسطحا وكان بدرياً ، انتهى

قوله (وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر) أى عدة أهل بدر كما روى البخارى عن البراء
 ابن عازب رضى الله عنه قال : كنا أصحاب رسول الله ﷺ فتحدث أن عدة
 أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر ولم يجاوزه معه إلا
 مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة ، وبدر قرية مشهورة على نحو أربع مراحل من المدينة
 المنورة ، وسميت الوقعة باسم موضعها الذى وقعت فيه ، ووقعة بدر من أشهر الوقائع
 التى أعز الله بها الاسلام ووقع بها عبدة الاصنام .

وكانت وقعة بدر نهار الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان من السنة الثانية من
 الهجرة واستشهد فيها من المسلمين أربعة عشر نفساً سقة من المهاجرين وثمانية من
 الانصار ، وقتل من الكفار سبعون .

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر النبي ﷺ بل قد رضى الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، ونشهد بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ كالعشرة

قوله (وبأنه لا يدخل النار) الخ . قال الله تعالى (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساحة المسرة) وقال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) الآية ، وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جابر رضى الله عنه قال : كنا في الحديبية ألفاً وأربعمائة ، فقال لنا رسول الله ﷺ « أنتم خير أهل الأرض » أفاد هذا الحديث أن عدد من بايع تحت الشجرة ألف وأربعمائة ، وفي رواية من حديث جابر إنهم ألف وخمسمائة ، وفي حديث البراء أنهم ألف وأربعمائة أو أكثر ، وجمع بين هذه الروايات بأن من قال ألف وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال ألف وأربعمائة ألغاه ، وكان سبب هذه البيعة أنه ﷺ قصد مكة ليمتصر فصدّه المشركون ، وكان قد بعث عثمان رضى الله عنه إلى مكة فشاع أن عثمان قتل ، فطلب ﷺ البيعة فبايعوه تحت الشجرة ، ثم صالح المشركين صلح الحديبية المعروف ، وذلك في سنة ست من الهجرة في ذي القعدة ، ثم رجع بهم إلى المدينة وغزا بهم خيبر ففتح الله عليهم في أول سنة سبع وقسمها بينهم قوله (شجرة) هي شجرة خضراء من سدر كانت البيعة تحتها ، ويقال لها شجرة البيعة ، ولما كان في خلافة عمر رأى أناساً يذهبون إليها فيصلون تحتها فقطعها رضى الله عنه مخافة الفتنة بها واختفى مكانها . وأما الحديبية فهي قريبة من مكة أكثرها في الحرم ، والحديبية بئر كانت هناك وسمى المكان بها ، بينها وبين مكة نحو مرحلة واحدة ومن المدينة تسع مراحل .

قوله (ونشهد بالجنة) الخ . أى ويشهد أهل السفن والجماع بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ كالعشرة وهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن

العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح وطلحة ، كما روى الترمذى فى جامعه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة والزبير بن العوام فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبي وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة ، ورواه أحمد فى مسنده والضياء عن سعيد ابن زيد ، وتبشير النبى ﷺ العشرة بالجنة لا ينفى بحجى تبشير غيرهم فى أخبار أخرى ، لأن العدد لا ينفى الزائد .

وهن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : أبو بكر وعمر سيدا كحول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ، أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه وأخرجه أبو يعلى والضياء فى المختارة عن أنس ، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عن جابر وأبى سعيد ، وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديهم لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم خلافاً لرافضة الذين ينفضونهم ويسبونهم ، بل يكرهون لفظ العشرة أو فعل شئ يكون فيه عشرة ويقشاهمون به لموافقته لاسم العشرة المبشرة بالجنة لكنهم يستنفون عليها رضى الله عنه ، ولديهم من الجهالات والموائد الذميمة وسفاهة القول ما يقضى بمزلم عن زمرة العقلاء ، وإلا فما ذنب هذا النوع من العدد لكنه البغض المتأصل والعداوة البالغة لختيار المؤمنين وساداتهم ، وأفضل قرونها رضوان الله عليهم أجمعين .

قوله (وثابت بن قيس) هو خطيب رسول الله ﷺ كما رواه البخارى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ افتقد ثابت بن قيس ، فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده فى بيته منكساً رأسه ، فقال له ما شأنك ؟ قال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار ، فأنى الرجل النبى ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا ، قال فرجع إليه المرة الأخيرة فأخبره ببشارة

عظيمة ، فقال اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة ،
تفرد به البخارى من هذا الوجه ، وفى رواية أحمد عن أنس : فكنا نراه يمشى بين
أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، ورواه مسلم بلفظ آخر ، ورواه ابن جرير وغيره
وروى ابن أبي حاتم عن ثابت عن أنس فى قصة ثابت بن قيس فقال فى آخرها :
فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم اليمامة كان
فى بعضنا بعض الانكشاف فأقبل قد تكفن وتمنط فقاتل حتى قتل رضى الله عنه
قوله (وغيرهم من الصحابة) وذلك كعبد الله بن سلام والحسن والحسين فقد شهد
النبي ﷺ كورين بالجude ، كما روى البخارى فى صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال :
ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشى إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام ،
وفى حديث أبى سعيد الخدرى أن النبي (ص) قال : الحسن والحسين سيدا شباب
أهل الجنة ، وفى حديث عكاشة بن محصن : لما ذكر السبعين ألفا الذين يدخلون
الجنة من غير حساب ولا عذاب ، فقال ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال أنت منهم
الحديث ، ولا يشهد لغير من شهد له النبي (ص) بجنة ولا نار ، لأنه لا يعلم ماذا
يختم له به ، وألحق بعض العلماء بمن تقدم من اتفقت الامة على الثناء عليه كعمر بن
عبد العزيز والحسن البصرى وغيرهما ، وكان أبو ثور يشهد لاحد بن حنبل بالجنة ،
وفى المسند : يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار ، قالوا بماذا يا رسول الله ؟
قال بالثناء الحسن والثناء السيء .

وفى الصحيحين أن النبي (ص) مر عليه بجنائز فأنثوا عليها خيراً ، فقال وجبت ،
ومر عليه بجنائز فأنثوا عليها شراً فقال وجبت ، فقيل يا رسول الله ما قولك وجبت
فقال : هذه الجنائز أنثيتم عليها بالخير فقلت وجبت لها الجنة ، وهذه الجنائز أنثيتم
عليها شراً فقلت وجبت لها النار ، أنتم شهداء الله فى الارض .

قوله (ويقرون) الإشارة لرد على الرافضة الذين يفضلون عليا على أبى بكر وعمر

بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ويشملون بعثمان ويربعون بعلي

ويطمعون في خلافتها ويزعمون أن علياً أفضل منهما ، وأن النبي (ص) أوصى إليه وقد سئل علي عن ذلك فأنكر ذلك ، كما روى الامام أحمد والبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر قال الحافظ الذهبي : هذا متواتر ، والروافض تكذب هذه الاخبار - لعنهم الله - ما أجهلهم وأضلهم .

وقال في الفتاوى للشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : وقد روى عن علي من نحو من ثمانين وجهاً أو أكثر أنه قال علي منبر الكوفة : خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، وقال في المنهاج : وروى الترمذي عنه أنه سمع ذلك من النبي (ص) ولا ريب أن علياً لا يقطع بذلك إلا عن علم ، وروى عنه أنه قال : لا أوتي بمن يفضلني علي أبي بكر وعمر إلا جلده جلد المقرئ .

وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان أبو بكر أعلمنا برسول الله ﷺ . وروى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بى بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا الأنبياء والمرسلين ، وروى أبو الدرداء عن النبي (ص) أنه قال : ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين علي أفضل من أبي بكر وعمر ، وذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية في غير موضع من كتبه اتفاق العلماء على أن أعلم الصحابة أبو بكر ثم عمر .

وذكر الإمام السعاني أحد الائمة الستة في كتاب تقويم الادلة : أجمع علماء السفة على أن أبا بكر أعلم من علي ، قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : وما علمت أحداً من الائمة المشهورين يفتازع في ذلك . اهـ

قوله (ويشملون بعثمان ويربعون بعلي) أى يكلون بعثمان ثلاثة ويكلون بعلي أربعة

رضى الله عنهم كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة

فالخلفاء الأربعة على هذا الترتيب في الفضل والخلافة ، كما روى الشيمخان عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، وفي لفظ : يبلغ ذلك النبي ﷺ ولا ينكره ، وقال أبو أيوب السخيتاني وأحمد بن حنبل والدارقطني وغيرهم : من قدم علياً على عثمان فقد أرزى بالمهاجرين والأنصار ، فهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون ، كما في حديث الرباض بن سارية رضي الله عنه : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور -- الحديث

قوله (وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة) فإن الصحابة رضوان الله عليهم اختاروه وأجمعوا على بيعته ، كما في حديث عبد الرحمن بن عوف أنه أقام ثلاثاً لم يفتض فيها بنوم يشاور الأولين والعابدين لهم بإحسان ، وشاوروا أمراء الأنصار ، فأشار عليه المسلمون بولاية عثمان رضي الله عنه ، وهذا من الأدلة الدالة على أن عثمان أفضل لأنهم قدموه باختيارهم وأجمعوا عليه كما تقدم من قول أيوب وأحمد والدارقطني وغيرهم من الأئمة : من قدم علياً على عثمان فقد أرزى بالمهاجرين والأنصار . فأفضل الأمة أبو بكر بإجماع أهل السنة والجماعة ، ولا يقارع في ذلك إلا زائغ ، وأما عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة الصديق لقبه النبي ﷺ بذلك ، وهو أول الناس إيماناً وتصديقاً للنبي (ص) على المشهور عند أهل السنة ، وقيل أول الناس إسلاماً على وقيل غير ذلك .

وروى عن الإمام أبي حنيفة أنه قال : الاورع أن يقال أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، ومن الصبيان علي ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال ، وهكذا روى عن إسحاق بن راهويه ، وهذا من أحسن ما قيل لجمعه الأقوال ، وأبو بكر أول من ولي الخلافة وأحق الناس بها وأول من ممي خليفة .

قال الامام الشافعي : خلافة أبي بكر قضاها الله في ممالكه ، وجمع عليها قلب نبيه
وقال ابن القيم رحمه الله في الاحلام : ولا يحفظ لأبي بكر الصديق خلاف نص واحد
أبداً ، ولا يحفظ له نقوى ولا حكم مأخذها ضعيف ، وهو تحقيق في كون خلافته
خلافة نبوة ، انتهى

صحب أبو بكر النبي (ص) من حين أسلم إلى أن توفى وشهد معه المشاهد كلها ،
ومناقبه أشهر من أن تذكر ، توفى وله ثلاث وستون سنة ، وكانت خلافته سنتين
وأشهر ، ودفن بجانب النبي صلى الله عليه وسلم . ثم بعد أبي بكر عمر في الفضل وهو
عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قريط بن رزاح بن
عدي بن كعب يجتمع مع النبي (ص) في كعب بن لؤى ، صحابه النبي (ص) الفاروق
لفرقه بين الحق والباطل ، أسلم في السنة السادسة من البعثة وعمره سبع وعشرون
سنة ومناقبه أشهر من أن تذكر ، وكناه النبي (ص) بأبي حفص وهو لفة الاسد ،
وهو أول من سمى أمير المؤمنين لاستئقاهم خليفة خليفة رسول الله ، ولى الخلافة
بعد الصديق سنة ثلاثة عشر ، وقام بها أتم قيام ، وكثرت الفتوح في مدة خلافته
رضى الله عنه ، وهو أفضل هذه الامة بعد أبي بكر رضى الله عنه بأجتماع السلف ،
وسيرة عمر قد أفردا بعض المطايع بالتأليف وبلغت مجلدات ، وعدله يضرب به
المثل ، فيقال سيرة العمرين ، والعمران أبو بكر وعمر ، وقيل لهما العمران تغليباً
مثل ما يقال القمران للشمس والقمر والايوان للأب والام ، مات رضى الله عنه شهيداً
طمعنه أبو لؤلؤة في المسجد سنة ثلاثة وعشرين ودفن بالحجرة النبوية بجانب أبي بكر
مع النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم بعد عمر في الفضل عثمان بن عفان بن الحارث بن أمية بن هيد شمس بن عبد
مناف ، ولد في السنة السادسة من الفيل ، وأسلم قديماً وهاجر الهجرةتين وتزوج بنتي
النبي (ص) فسمى ذو النورين ، وجمع رضى الله عنه القرآن وجهز جيش العسرة ،

مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلى رضي الله عنهما

ولى الخلافة بعد عمر باجاء الصحابة رضي الله عنهم وفضائله كثيرة ، استشهد في داره سنة خمس وثلاثين وله بضع وثمانون سنة ، تجمعت أو باش وأنزال من أو باش العراق ومصر والشام فحاصروه في بيته وأخيراً اقتحموا عليه وقتلوه شهيداً رضي الله عنه . ثم بعد عثمان في الفضل على بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وزوج بنته فاطمة الزهراء ، ومناقبه كثيرة ، بإيمه الناس بمد قتل عثمان رضي الله عنهما ، واتفق السلف على فضله وخلافته بعد عثمان .

قال الإمام أحمد رحمه الله : على رابعهم في الخلافة والنفصيل ، وهو أول خليفة من بني هاشم ، وقيل إنه أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه ، وتقدم الكلام في أول من أسلم في مناقب أبي بكر الصديق ، ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة ، حتى قال أحمد بن حنبل : ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي رضي الله عنه ، مات ليلة الأحد لتسع عشرة مضت من رمضان سنة أربعين ، قتله عبد الرحمن بن ملجم قبيحه الله ، وعمره ثلاثة وستون سنة وخلافته خمس سنين إلا نحو أربعة أشهر .

قوله (مع أن بعض أهل السنة) الخ . فروى عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان ، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان ، وكذلك روى عن سفيان الثوري تقديم علي على عثمان ، ويقال إنه رجع عنه لما اجتمع به أيوب السخيتاني ، وقال من قدم علياً على عثمان فقد أدرى بالمهاجرين والانصار ، وقيل لا يفضل أحدهما على الآخر ، قاله مالك في المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى القطان ، ومن المتأخرين بن حزم والذي عليه جمهور أهل السنة بل استقر أمر أهل السنة عليه تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما كما أشار إليه المصنف ، قال في المنهاج : وسائر أئمة أهل السنة على تقديم عثمان ، وهو مذهب جماهير أهل الحديث وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار ، انتهى . وفي الصحيح عن ابن عمر قال : كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل أمة النبي (ص) بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، وفي لفظ : يبلغ ذلك النبي (ص) ولا ينكره

بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر — أيهما أفضل فقـدم قوم عثمان وسكتوا وربموا بعلی ، وقدم قوم علياً ، وقوم توقفوا ، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم على وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلى ليست من الأصول التي يضل الخالف فيها عند جمهور أهل السنة — لكن التي يضل فيها مسألة الخلافة ، وذلك إنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على

وقال هبذ الرحمن بن عوف لعلی رضی الله عنه إني نظرت أمر الناس فلم أرمهم يعدلون بعثمان ، وقال أبو أيوب : من لم يقدم عثمان على على فقد أرمى بالمهاجرين والانصار وقد تقدم ، وهذا دليل على أن عثمان أفضل لأنهم قدموه باختيارهم واشتوارهم ، وعلى رضی الله عنه من جملة من بايع عثمان وغزا معه وكان يقيم الحدود بين يديه . قوله (بعد اتفاقهم) الخ . أي أن أهل السنة متفقون على تقديم أبي بكر وعمر على عثمان ، وذلك لما لأبي بكر وعمر من الفضائل التي لم يشاركهما فيها أحد من الصحابة لا عثمان ولا على ولا غيرهما ، وهذا كان متفقاً عليه في الصدر الاول إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعاب به .

قوله (وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان) الخ . أي مسألة التفضيل بينهما لوجود الخلاف ، فقد قال بعض أهل السنة بتقديم على وبعض توقف ، وأما من حكي الاجماع على تفضيل عثمان فقد غلط ، فالخلاف موجود فلذا لا يضل الخالف . قوله (التي يضل فيها) الخ . أي ينسب إلى الضلال هي مسألة الخلافة ، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن بعد رسول الله (ص) أبو بكر الصديق لفضله وسابقته وتقديم النبي (ص) له على جميع الصحابة ، وإجماع الصحابة على ذلك ، ولم يكن الله ليجبهم على ضلالة .

ثم أحقهم بالخلافة بعد أبي بكر عمر رضي الله عنهما وذلك لفضله وعهد أبي بكر إليه واتفاق الامة بعده عليه ، ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له واتفاق الامة عليه . قال الإمام أحمد : ما اجتمعوا على بيعة ما اجتمعوا على بيعة عثمان

ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله

رضي الله عنه ثم على لفضله وإجماع أهل عصره عليه ، ولا شك أن علياً هو الخليفة في زمانه خلافة نبوة ، كما دل على ذلك حديث سفينة الذي سيأتي . وقال الامام أحمد رحمه الله على رابعهم في الخلافة والتفضيل ، وأما معاوية فهو من العدول الفضلاء والصحابه النجباء رضي الله عنهم ، هؤلاء هم الخلفاء الاربعة المشار إليهم في حديث العرياض بن سارية : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى الحديث قوله (ومن طعن في خلافة واحد منهم) الخ . لمخالفته النصوص الصريحة والاجماع ولم يخالف في ذلك إلا ضال زائع .

قال الامام أحمد رحمه : من فضّل علياً على أبي بكر وعمر وقدمه عليهما في الفضيلة والامامة دون النسب فهو رافضى مبتدع فاسق ، ذكره القاضى أبو يعلى وتبرأ الامام أحمد ممن ضلّهم أو أحداً منهم ، وقال الامام أحمد : من لم يربع بعلى في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ، واحتج الامام أحمد بحديث سفينة عن النبي (ص) قال : تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ، ثم تكون ملكاً ، وآخر الثلاثين خلافة على رضي الله عنه مع أيام ابنه الحسن ، وكانت ستة أشهر وشيئاً . وروى حديث سفينة أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره ، فترتيب الخلفاء في التفضيل والخلافة كما ذكره المصنف خلافاً للرافضة من الشيعة وغيرهم الذين يزعمون أن رسول الله (ص) قد نص على خلافة على ، وهذا من أعظم الكذب والافتراء ، والادلة على بطلان هذه الدعوى لا تحصى بل قد سئل على رضي الله عنه عن ذلك فأنكره ، قال النووي وأما ما تدعيه الشيعة من النص على على والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين وأول من كذبهم على رضي الله عنه ، ثم ذكر ما روى البخارى عن أبي جحيفة قال : قلت لعلى رضي الله عنه « هل عندكم من الوحي شيء غير القرآن ؟ قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله رجلا في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت وما في هذه الصحيفة ؟ قال العقل وفكاك الاسير ، وأن لا يقتل

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم

مسلم بكافر ، وروى مسلم عن الاسود بن يزيد قال : ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً ، فقالت متى أوصى إليه فقد كنت مسندته - تعني النبي ﷺ - إلى صدرى فدعي بالطست فلقد انخثت في حجرى وما شعرت إنه مات ، ففى أوصى إليه ، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على بطلان ما تزعمه الشيعة من أنه أوصى إليه أو أن لدى أهل البيت شئ من العلم لا سيما على لم يطلع عليه أحد غيره ، وقد أطال في المنهاج في رد هذا وإبطاله بأدلة واضحة صريحة - إلى أن قال - وأما النص الذى تدعيه الرافضة فهو كالنص الذى تدعيه الراوندية على العباس وكلاهما معلوم الفساد بالضرورة عند أهل العلم ولو لم يكن فى إثبات خلافة على إلا هذا لم تثبت له إمامه ، كما لم تثبت للعباس إمامة بنظيره . اهـ

قوله (ويحبون أهل بيت رسول الله) الخ . أى أن أهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت الرسول ﷺ ويتولونهم ويحرمونهم ويكرمونهم لقرايتهم من رسول الله ﷺ فاحترامهم ومحبتهم والبر بهم من توقيده واحترامه ﷺ وامتنالاً لما جاء به الكتاب والسنة من الحث على ذلك ، قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) وقد تكاثرت الأحاديث بالامر بذلك والحث عليه . قال ابن كثير رحمه الله بعد كلام : ولا ننكر الوصاية بأهل البيت والامر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم ، فانهم من ذرية طاهرة وأشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلى رضى الله عنه وأهل بيته وذويه ، وأهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة ، كما فسر ذلك راوى الحديث وهم آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث بن عبد المطلب كما جاء تفسيره فى صحيح مسلم وكذلك أزواج النبي ﷺ من أهل بيته كما دل عليه سياق آية الأحزاب ، كما قرر ذلك الشيخ تقي الدين وابن القيم وغيرها ، انتهى ، وأفضل أهل

ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدیر خم : أذكركم الله في أهل بيته ،

بيته على وفاطمة والحسن والحسين الذي أدار عليهم الكساء وخصهم بالدعاء ، ذكره الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى .

قوله (ويحفظون فيهم وصية رسول الله) الخ . أى أن الرسول أوصى بلحمهمهم والاحسان إليهم وإكرامهم كافي الحديث الذي ذكره المصنف ، قوله (حيث قال يوم غدیر خم) الحديث .

قوله (خم) بضم الخاء وتشديد الميم هو اسم لفيضة على ثلاثة أميال من الجحفة وهو غدیر مشهور يضاف إلى الفيضة فيقال غدیر خم ، والفيضة الشجر الملتف ، والحديث رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بماء يدعي خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني نارك فيكم ثقلين أولهم كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال : وأهل بيته أذكركم الله في أهل بيته أذكركم الله في أهل بيته أذكركم الله في أهل بيته ، قال حصين ومن أهل بيته يزيد أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال من هم ؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم ، قال كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال نعم ، وروى هذا الحديث أحمد وغيره وقد رواه الترمذي وزاد فيه وإني لم يفرقا حتى يرثا على الحوض .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : وقد طعن غير واحد من الحفاظ في هذه الزيادة وقال إنها ليست من الحديث ، فهذا الحديث فيه الوصية بأهل البيت والحث على إكرامهم وإكرامهم .

قوله (وأهل بيته أذكركم الله في أهل بيته) أى أذكركم الله ، أى ما أسره من

وقال أيضاً للعباس هم ، وقد اشتكى إليه أن بعض قریش يجفوا بنى هاشم ، فقال
« والذى نفسى بيده »

احترامهم وإكرامهم والقيام بحقوقهم . قوله (ثلاثاً) مبالغة في الحث على ذلك وكرره
للتأكيد . قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : وهذا اليوم الذى خطب النبی ﷺ في هذا
الغدیر المشهور هو ثامن عشر ذى الحجة ، مرجعه من حجة الوداع ، وقد زاد أهل
الأنواء في ذلك وزعموا أنه عهد إلى على رضی الله عنه بالخلافة ، وذكروا كلاماً
طويلاً باطلاً ، وزعموا أن الصحابة تمالثوا على كتمان هذا النص وغصبوا الوصى حقه ،
وفسقوا وكفروا إلا نفرأ قليلاً وقد جعل أهل البدع هذا اليوم عيداً ، وهذا ابتداء
في الدين إذ الأعياد شريعة من الشرائع فيجب فيها الاتباع لا الابتداء ، ولم يكن في
السلف ، لا من أهل البيت ولا من غيرهم من اتخذ ذلك عيداً ، انتهى من الاقتضاء
قوله (وقال أيضاً للعباس) الخ . هذا الحديث رواه الإمام أحمد وغيره عن العباس
ابن عبد المطلب قال : قلت يا رسول الله إن قریش إذا لقي بعضهم بعضاً لقوم ببشر
حسن وإذا لقوا لقوا بوجوه لا نعرفها ، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً وقال
« والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحكمكم الله ورسوله » رواه أحمد
وفي لفظ ثم قال : يا أيها الناس من آذى حى فقد آذاني ، فإنما عم الرجل صنو أبيه .
رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

قوله (العباس) هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم رسول الله ﷺ
ووالد الخلفاء العباسيين ، وكان أسن من النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث ، وكان إسلامه
على المشهور قبل فتح مكة ، وكنيته أبو الفضل ، ومات في خلافة عثمان سنة اثنتين
وثلاثين وله بضع وثمانون سنة ، وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع رضی الله عنه .
قوله (وقد اشتكى إليه) من الشكوى وهو أن تجبر عن مكروه أصابك . انتهى نهايه
قوله (يجفوا) الجفاء ترك البر والصلة . انتهى نهايه .

قوله (والذى نفسى بيده) فيه الحلف على الفتيا ، وفيه دليل على دخول الأهمال في

لا يؤمنون حتى يحبواكم لله ولقرايتي ، وقال « إن الله اصطفى

مسمى الإيمان ، وهذا قول أهل السنة والجماعة . قوله (لا يؤمنون) الحديث ، هذا نفي لكمال الإيمان الواجب ، ففيه دليل على عظيم حقهم ووجوب احترامهم والتحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى نفي الإيمان عن من لا يحبهم ، وفيه ان محبة أهل البيت وقربة النبي ﷺ من محبته (ص) واحترامه واكرامه ، وفيه دليل على فضل قرابة النبي ﷺ .

قوله (ولقرايتي) قرابة النبي ﷺ من ينسب إلى جده الأقرب وهو عبد المطلب من محب النبي ﷺ أو رآه من ذكر أو أنثى ، انتهى فتح الباري . وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : ارقبوا محمداً في أهل بيته . وفي الصحيح أن الصديق قال لمي رضي الله عنه : والله لقربة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرايتي . وقال عمر بن الخطاب لعباس : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب .

قوله (إن الله) الخ . هذا الحديث رواه أحمد ومسلم عن وائلة بن الأسقع بلفظ « إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » ورواه أيضاً الترمذي بلفظ « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة » الحديث ، قال الترمذي حسن صحيح .

قوله (اصطفى) أي اختار والصفوة الخيار في هذا الحديث دليل على شرف نسبه ﷺ ودليل على فضله (ص) وأنه أفضل المخلق على الإطلاق ، وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وقال ابن عباس رضي الله عنه « إن الله فضل محمداً على أهل السماء وعلى الأنبياء » رواه البيهقي ، وفي هذا الحديث إشارة إلى فضل اسماعيل على سائر إخوته ، وهذا الحديث صريح في أنه ﷺ من

من بنى اسماعيل كنانة واصطفي من كنانة قريشا واصطفي من قريش بنى هاشم واصطفاي من بنى هاشم ، ويتولون

ذرية اسماعيل ولا خلاف في ذلك فهو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان ، وفيه دليل على فضل العرب وانهم أفضل من غيرهم ، وفيه أن محبتهم دين لأن الحب والبغض يتبع الفضل ، وقد روى حب العرب إيمان وبفضهم نفاق وكفر ، وقد احتج بهذا الحديث حرب السكراني وغيره ، فقال حرب في وصفه للسنن التي قال فيها : هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وساق كلاماً طويلاً إلى أن قال : ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله (ص) حب العرب إيمان وبفضهم نفاق ، ولا تقول بقول الشعوبية وأراذل الموال الذين لا يحبون العرب ولا يقرون بفضلهم ، فان قولهم بدعة وخلاف ، انتهى من اقتضاء الصراط المستقيم ملخصاً .

وقال الشيخ تقي الدين أيضاً : الذي عاينه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم ، عبرانيهم وسريانيهم ، رومهم وفرسهم وغيرهم ، وان قريشا أفضل العرب وان بنى هاشم أفضل قريش وان رسول الله (ص) أفضل بنى هاشم فهو أفضل الخلق نفساً وأفضلهم نسباً ، انتهى من اقتضاء الصراط المستقيم . قال النووي رحمه الله : واستدل به أصحابنا على أن غير قريش من العرب ليس بكفء لهم ولا غير بنى هاشم كفؤ لهم ، إلا بنى المطلب فانهم هم وبنو هاشم شيء واحد كما صرح به الحديث . اهـ

قوله (ويتولون أزواج رسول الله) إلخ . أى أن أهل السنة والجماعة يتولون جميع أزواج رسول الله الطاهرات المبررات من كل سوء ويترضون عنهم ويعظمون قدرهم ويعرفون فضلهم ويتبرءوا من آذاهن أو سبهن .

أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة

قوله (أزواج) جمع زوج وقد يقال زوجه والاول أفصح كما قال الله سبحانه (اسكن أنت وزوجك الجنة) الآية

قوله (أمهات المؤمنين) أى فى الاحترام والتعظيم وتحريم نكاحهن على القابيد لا فى النظر والحلوة بهن فانه يحرم فى حقهن كالأجانب ، قال الله سبحانه وتعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) أى فى الاحترام والتعظيم ، فيجب احترامهن وتعظيمهن ويحرم الطعن فيهن وقذفهن لا سيما عائشة أم المؤمنين فمن قذفها بما برأها الله منه فهو كافر ، وأما من قذف غيرها من نساء النبي ففيه قولان : قال ابن كثير : والأصح إنهن كعائشة رضى الله عنهن أجمعين .

قوله (ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة) وذلك لما فى صحيح البخارى وغيره : لما بعث على عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال : إني لأعلم انها زوجته — أى عائشة — فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو يابها . وهند ابن حبان من طريق سميد بن كثير عن أبيه حدثتنا عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال لها : ترضين أن تكونى زوجتى فى الدنيا والآخرة ، وفى حديث سوده لما أراد النبي ﷺ فراقها أنها قالت يا رسول الله والله مالى بالرجال من حاجة ولكن أحب أن أبعث مع نسائك يوم القيامة ، الحديث

وأول زوجاته ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد ، تزوجها رسول الله بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالة فآمنت به ونصرته وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، ومن خصائصها رضى الله عنها أنه ﷺ لم يتزوج عليها غيرها ، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فانه من مريته مارية ، ومنها أنها خير نساء الأمة ، واختلف فى تفضيلها على عائشة على ثلاثة أقوال : منها أن الله بعث إليها السلام مع جبريل فبلغها النبي ﷺ ذلك ، ومنها أنها لم تسؤه قط ولم تغاضبه ولم ينلها منه إيلاء ولا عتب قط ولا هجر ، ومنها أنها أول امرأة آمنت بالله ورسوله من هذه

الامة ، فلما توفاه الله تزوج بعدها مسوده بنت زمعة وكبرت عنده وأراد طلاقها فوهبت يومها لمائشة وهذه من خصائصها ، وتزوج الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وبني بها الرسول أول مقدمه في السنة الأولى وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمانية عشر سنة وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وأوصت أن يصلى عليها أبو هريرة سنة ثمانية وخمسين ومن خصائصها أنها أحب أزواج النبي ﷺ إليه وأنه لم يتزوج بكراً غيرها وأنه كان ينزل عليه الوحي في لحافها ، وأن الله لما أنزل آية التحخير بدأ بها فخيرها ، وأن الله برأها مما رماها به أهل الإفك وأن أكابر الصحابة كان إذا أشكل عليهم الأمر استفتوها فيجدون علمه عندها ، وأن رسول الله ﷺ توفي في بيتها وفي يومها وبين سحرها ونحرها ، ودفن في بيتها وأن الملك أرى صورته للنبي (ص) قبل أن يتزوجها في سرقة حرير وأن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يومها من رسول الله ﷺ تقربا إلى رسول الله (ص) وتزوج رسول الله حفصة بنت عمر بن الخطاب وتوفيت قبل سنة سبع وقيل ثمانية وعشرين وتزوج رسول الله (ص) أم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رمة وتزوجها رسول الله (ص) وهي بأرض الحبشة واصلقها عنه النجاشي اربعمائة دينار ، وولى نكاحها عثمان بن عفان ، وتزوج الرسول أم سلمة واسمها هند بنت أبي امية ، وتوفيت قبل سنة اثنين وخمسين ، ودفنت بالبقيع وهي آخر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم موتاً ، وقيل ميمونة ، وتزوج الرسول (ص) زينب بنت جحش وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة فطلقها ، فزوجها الله إياه من فوق سبع سموات وأنزل الله عليه « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » وهذا من خصائصها وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع .

وتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة الهلالية تزوجها الرسول سنة ثلاث من الهجرة وكانت تسمى ام المساكين ولم تلبث عند رسول الله إلا يسيراً

خصوصاً خديجة رضى الله عنها أم أكثر أولاده ،

شهرين أو ثلاثة وتوفيت ، وتزوج رسول الله ﷺ جويرة ابنة الحارث من بنى المصطلق وكانت سميت بغزوة بنى المصطلق فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكايتها فقضى رسول الله (ص) كتابتها وتزوجها سنة ست من الهجرة ، وتوفيت سنة ست وخمسين ، وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيي من ولد هارون بن عمران أخي موسى سنة سبع فأنها سميت من خيبر ، توفيت سنة ست وثلاثين ، وقبل سنة خمسين ، ومن خصائصها أن رسول الله (ص) أعتقها وجعل هبتها صداقها ، وتزوج رسول الله ميمونة بنت الحارث الملالية ، تزوج بها في سرف وبني بها بسرف ومات بسرف ، وسرف على سبعة أميال من مكة ، وميمونة آخر من تزوج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين ، توفيت سنة ثلاث وستين ، فهؤلاء جملة من دخل بهن من النساء ، وهن إحدى عشرة .

قال الحافظ المقدسي : وعقد على سبع ولم يدخل بهن ، ولا خلاف أنه ﷺ توفي عن تسع كان يقسم منهن لثمان وهن : عائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وصفية وأم حبيبة وميمونة وسودة وجويرة ، وأول نساءه لحوقاً به زينب بنت جحش سنة عشرين وآخرهن موتاً أم سلمة سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد ، انتهى من كلام ابن القيم .

قوله (خصوصاً) أى ولا سبياً خديجة وعائشة فلهن من المزايا والخصائص ما ليس لغيرهن من أزواج النبي ﷺ والخصوص الأفراد ، يقال خص فلان بكذا ، أى أفرد به ولا شركة لغير فيه ، وقد تقدم ذكر بعض خصائصهن رضى الله عنهن .

قوله (أم أكثر أولاده) بل هي أم أولاده كلهم سوى إبراهيم فإنه من سريره ماريه ، ويروى أن عائشة أتت بسقط ولم يصح ذلك والمتفق عليه من أولاده ﷺ منها القاسم وبه كان يكنى مات صغيراً قبل بئشته صلى الله عليه وسلم أو بعدها وبناه الأربع زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة وعبد الله ولد بعد المبعث فكان يقال له

وأول من آمن به وعاضده على أمره ، وكان لها منه المنزلة العالية ، والصديقة بنت الصديق رضى الله عنها

الطاهر والطيب ، وقيل هما أخوان له ، ومات الذكور صغاراً باتفاق ، انتهى من فتح الباري .

قوله (وأول من آمن به) أى من النساء لا مطلقاً كما تقدم كلام أبي حنيفة وغيره ان أول من آمن من الرجال أبو بكر ومن الصبيان على ومن النساء خديجة الح ، وقيل انها أول من آمن به على الإطلاق كما ذكره المصنف .

قوله (وعاضده) أى اعانه ونصره ، فان خديجة رضى الله عنها عاضده صلى الله عليه وسلم في أول أمره ، ونصرته واحتملت من الأذى ما لم يحتمله غيرها ، وكانت نصرتها للرسول (ص) في أعظم اوقات الحاجة .

قوله (وكان لها منه المنزلة العالية) أى الرفيعة لأنها من أول من آمن به وعاضده وكانت له وزير صدق ، وكان النبي (ص) يحبها كثيراً ويذكرها ، كما روى أحد من حديث مسروق عن عائشة رضى الله عنها ان النبي (ص) قال « آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستنى بآلها إذ حرمنى الناس ورزقني الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء »

وفي صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة لما كنت اسممه بذكرها ، وأمره الله ان يبشرها بقصر من قصب وإن كان ليذبح الشاة فيهدى في خلائها منها ما يسمين « فهذا الحديث وغيره دليل على محبة النبي صلى الله عليه وسلم لها وعلى عظم قدرها عنده ومزيد فضلها .

قوله (والصديقة بنت الصديق) أى عائشة رضى الله عنها حبيبة رسول الله (ص) بنت الصديق الأكبر ، ابوها ابو بكر الصديق لقبه النبي (ص) بذلك وانزل الله براءتها من فوق سبع سموات ، واتفقت الامة على كفر قاذفها ، وافق غير واحد

التي قال فيها النبي ﷺ « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »

بقتل سابها رضى الله عنها وتقدم ذكر خصائصها . قوله (فضل عائشة على النساء) الخ هذا الحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا صريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، فهذا الحديث فيه دليل على فضل عائشة رضى الله عنها ، واستدل به كثير من أهل السنة على أن عائشة أفضل نسائه ﷺ ، وذهب بعض العلماء كالموفق وابن حجر وغيرهما إلى أن خديجة رضى الله عنها أفضل من عائشة لأدلة ذكروها ، قالوا والحديث المتقدم ليس صريحا في تفضيل عائشة على خديجة رضى الله عنها . والذي يفهم من كلام المصنف توقفه عن التفضيل لتقارب جهات التفضيل بينهما ، وقال في موضع آخر اختصت كل واحدة منهما بخصائص ، فخديجة كان تأثيرها في أول الاسلام وبذلت نفسها في نصرة الرسول ﷺ ومالها واحتملت من الأذى ما لم يحتمله غيرها وكانت نصرتها للرسول (ص) في أعظم أوقات الحاجة ، فلها من النصرة والبذل والتأثير في الاسلام ما ليس لغيرها ، وعائشة رضى الله عنها تأثيرها في آخر الاسلام ، فلها من الفقه والعلم ما ليس لغيرها . اهـ

قوله (كفضل الثريد على سائر الطعام) الثريد هو الخبز إذا أدم بلحم كما قال الشاعر
إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد
قوله (على سائر الطعام) أى جميعه ، انتهى ، والثريد هو أفضل الأطعمة لأنه خبز ولحم والبر أفضل الأقوات واللحم أفضل الأدام ، كما في الحديث الذى رواه ابن قتيبة وغيره عن النبي ﷺ « سيد ادم أهل الدنيا والآخرة اللحم » فإذا كان اللحم سيد الأدام والبر سيد الأقوات ومجموعهما الثريد كان الثريد أفضل الطعام ، وقد صح من غير وجه عن الصادق المصدوق أنه قال « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وفي الصحيح عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قلت

ويتبرأون من طريقة الروافض الذين ينفقون الصحابة ويسبونهم

يا رسول الله أى النساء أحب إليك ؟ قال عائشه ، قلت ومن الرجال ؟ قال أبوها ، قلت ثم من ؟ قال عمر ، ومعي رجلا ، انتهى منهج .
قوله (ويتبرأون من طريقة الروافض) الخ . أى أن أهل السنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ ويفرضون عنهم جميعاً ويحبونهم ويتبرأون من طريقة الرافضة الذين يسبون الصحابة ويطعنون فيهم ويزعمون أنهم عصوا الرسول ﷺ وارتدوا بعده إلا بضمة عشر منهم ، ويقولون في علي بن أبي طالب وأهل البيت فالرافضة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : قسم خلاة غلوا في علي بن أبي طالب رضى الله عنه حتى زعموا أنه إله أو أن الله حل فيه أو أنه الرسول ولكن جبريل غلط أو أخطأ في إعطاء الرسالة إلى محمد ﷺ إلى غير ذلك من أنواع الغلو ، وقسم مفضلة يفضلون علياً على أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة ، وقسم ثالث سبوا يسبون أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة ، ويزعمون أن علياً هو الوصى ، وأن الصحابة غصبوه حقه وظلموه بتقديم أبو بكر وعمر .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : فمقاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الطوائف الثلاث ، فأمر باحراق أولئك الذين ادعوا فيه الإلهية ، فانه خرج ذات يوم فسجدوا له ، فقال لهم ما هذا ؟ فقالوا أنت هو ، قال من أنا ؟ قالوا أنت الله الذى لا إله إلا هو ، فقال وبحكم هذا كفر ارجعوا عنه وإلا ضربت أعناقكم ، فصنعوا به في اليوم الثانى والثالث ، وأخروهم ثلاثة أيام لأن المرتد يستتاب ثلاثة أيام فلما لم يرجعوا أمر بأخاديد من نار فخذت عند باب كنده ، وقذفهم في تلك النار .
وروى أنه قال : لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجمعت نارى ودعوت قنبرا وقتل هؤلاء واجب بالاتفاق ، لكن في جواز تحريقهم نزاع ، وأما السبابة الذين يسبون أبا بكر وعمر ، فإن علياً رضي الله عنه لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذى بلغه ذلك عنه ، وقيل إنه أراد قتله فهرب منه إلى قرقيسا .

وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل

وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فروى عنه أنه قال : لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري ، وقد نواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر » وروى عنه هذا من أكثر من ثمانين وجهاً ، ورواه البخاري وغيره ، انتهى من كلام الشيخ باختصار .

قوله (وطريقة النواصب) جمع ناصب ، يقال ناصبه مناصبة ، أي عاداه وقاومه وهم الذين ينصبون العداوة لعل ابن أبي طالب وأهل البيت ويتبرأون منهم ولا يحبونهم ، بل يكفرونهم أو يفسقونهم كالخوارج ، قال الشيخ تقي الدين بعد كلامه : فأهل السنة وسط في جميع أمورهم ، فهم في على وسط بين الخوارج والروافض ، وفي عثمان وسط بين المروانية والزيدية وفي سائر الصحابة بين الغلاة فيهم والطاعنين عليهم وقال أيضاً : والروافض شر من النواصب ، وأما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين ويتكلمون فيهم بعلم وعدل ليسوا من أهل الجبل ولا من أهل الأهواء ويتبرأون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً ، ويقولون السابقين الأولين كلهم ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم ، ويرهون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم ولا يرضون بما فعله المختار ونحوه من الكذابين ولا ما فعله الحجاج ونحوه من الظالمين ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين ، ويعرفون ما لأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشار كهما فيها أحد من الصحابة لا عثمان ولا على ولا غيرهما ، كان هذا متفقاً عليه في الصدر الأول إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به حتى أن الشيعة الأولى من أصحاب على لم يكونوا يرتابون في تقديم أبي بكر وعمر عليه ، كيف وقد ثبت عنه من وجوه متواترة أنه كان يقول « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر » انتهى ، ومن كذب الرافضة وضلّاهم تسميتهم أهل السنة ناصبة حيث لم يوافقهم على بدعهم وظلمهم ، فإن الرافضة يزعمون أن من تولى الصحابة لم يتولى القراية ، ويقولون

لا ولاء إلا يبراء ، فمن لم يتبرأ من الصحابة لم يتول القراية ، ويقابلهم الخوارج وأشباههم من النواصب الذين يزعمون أن الرفض هو محبة أهل البيت وبذمون الرفض بهذا المعنى ، وهذا كله كذب وضلال ، فلا دليل على ذم النصب بالتفسير الذى زعمه الرافضة ، كما لا دليل على ذم الرفض بمعنى موالاته أهل البيت ، ولكن المتدعة يلتقبون أهل السنة بالقباب يتنقصونهم بها فيسمونهم رافضة وناصبه ، فهم كما قيل « رمتنى بدائها وانسلت » وقد تقدم أن أهل السنة رضوان الله عليهم والون جميع الصحابة والقراية ويترضون عنهم ويتولونهم منازلهم التى يستحقونها فلا يمتطونهم حقهم ولا يفلون فيهم ، وقد قال الإمام الشافعى رحمه الله على الناصبه :

يا راكبا قف بالمحصب من منى واهتف بقاعد خيفها والناهض
إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافضى
وقال غيره :

إن كان نصبا حب محب محمد فليشهد الثقلان أنى ناصبى
وقال غيره :

إن كان نصب ولاء الصحاب فانى كما زعموا ناصبى
وإن كان رفضا ولاء الجميع فلا برج الرفض من جانبى
قوله (ويمسكون عما شجر بين الصحابة) أى يقفون عن الخوض عما وقع بين الصحابة من اختلاف ومنازعه ، مثل ما وقع بين على ومعاوية ، وما وقع بين طلحة والزبير وعلى وغير ذلك .

قوله (شجر) أى اضطرب واختلف الأمر بينهم ، واشتجر القوم وتشاجروا تنازحوا والمشاجرة المنازعه ، فذهب أهل السنة والجماعة الكف عما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ والإمساك عما شجر بينهم لما فى الخوض فى ذلك من توليد الإحن والحزازات والحقد على أصحاب رسول الله ﷺ ، وذلك من أعظم الذنوب ،

فانهم خير القرون والسابقون الاولون فتعجب محبتهم جميعاً والترضى عنهم والكف عما جرى بينهم مما لعله لم يصح، وما صح فله تأويلات سائفة، ثم هو قليل مغرور في جانب فضائلهم . قال ابن حمدان من أصحابنا في نهاية المبتدئين : يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة وإقراءاً ومماعاً وتسميهاً، ويجب ذكر محاسنهم والترضى عنهم والمحبة لهم وترك التعامل عليهم واعتقاد العذر لهم وأنهم فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفرآ ولا فسقآ ، بل ربما يثابون عليه لأنه اجتهاد سائغ . انتهى

وأما الحروب التي كانت بينهم فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها ، وكلهم عدول ومقاولون في حروبهم وغيرها ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم بل يجب الترضى عنهم واعتقاد عدالتهم وإن ما وقع منهم هم فيه معذورون ومأجورون ، وأما معاوية رضى الله عنه فهو من العدول الفضلاء وهو مجتهد مخطئ ، والحق في جانب علي وعلى هو الخليفة في وقته بالإجماع لا خلافة لغيره ، وقد تقدم الكلام على ذلك ، والناس انقسموا في ذلك الزمان إلى ثلاثة أقسام : قسم رأى الحق مع أحد الطرفين فوجب إعليه اتباعه بموجب اعتقاده والفتال معه ، وقسم توقف ولم يظهر له شيء فاعتزل وهذا هو الواجب عليه وكلهم معذورون ومأجورون ، رضوان الله عليهم أجمعين .

قال الشيخ تقي الدين في المنهاج : وأما الصحابة فجمهورهم وجمهور أفاضلهم لم يدخلوا في فتنه ، ثم ساق عن ابن سيرين قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين ، وهذا أصح إسناد على وجه الأرض ، وساق كلاماً طويلاً يدل على أن أكثر الصحابة اعتزل الفريقين ، إذا عرفت ما تقدم علمت أن طريق السلامة هو الكف عما شجر بينهم والترضى عن الجميع ، ونقول كما قال الله تعالى عن التابعين بإحسان أنهم يقولون (ربنا اغفر لنا

ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيها ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه ثم فيه معذورون — إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخضون

ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وما شجر بينهم وتنازعوا فيه أمره إلى الله لا تسأل عن ذلك ، قال تعالى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون لها كانوا يعملون) وما أحسن ما روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال لما سئل عما وقع بين الصحابة : تلك دماء طهر الله منها يدي فلا أحب أن أخضب بها لساني .

قوله (ويقولون إن هذه الآثار المروية) الخ . أي ان أهل السنة متفقون على محبة الصحابة والقرضى عنهم وانهم خير الأمة بعد نبيهم لما تواتر من الأدلة في فضلهم ولما اشتهر عنهم من الأعمال الفاضلة ومساقتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، وبذل نفوسهم وأموالهم في سبيل الله ، كما أنهم متفقون على ان الصحابة كلهم عدول ثقة لا يفتش عن عدالة أحد منهم ، فلا يترك هذا العلم المتيقن المحقق الثابت لمشكوك فيه بل مقطوع بكذبه ، فما يروى في حقهم من المثالب إما أن يكون كذباً محضاً وإما ان يكون محرّفاً قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرج به إلى الذم والظن ، والصحيح من ذلك هو من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ومرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد » فما وقع منهم رضي الله عنهم إن ثبت فهو من اجتهاد فهم معذورون ومأجورون على كلا الحالين ، ولهذا اتفق أهل الحق ممن يمتد به في الإجماع على قبول شهادتهم وروايتهم وثبوت عدالتهم ، وأنه يجب تزكية جميعهم ويحرم الظن فيهم ، ويجب اعتقاد أنهم أفضل جميع الأمة بعد النبي ﷺ . قال أبو زرعة : إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم انه زنديق ، وذلك ان القرآن حق

وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَمْتَدُّونَ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ
بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ .

وَالرَّسُولُ حَقٌّ وَمَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ ، وَمَا أَدَّى ذَلِكَ النَّبَأُ كُلَّهُ إِلَّا الصَّحَابَةُ ، فَفَنَ جَرَحَهُمْ
فَإِنَّمَا أَرَادَ إِبْطَالُ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ . اهـ

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ فِي الْمُنَهَاجِ بَعْدَ كَلَامِهِ : مَا يَنْقُلُ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمَثَالِبِ فَهُوَ
نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا مَا هُوَ كَذِبٌ كُلُّهُ وَأَمَّا مُحَرَّفٌ قَدْ دَخَلَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ مَا يُخْرِجُهُ
إِلَى الذَّمِّ وَالطَّعْنِ ، وَأَكْثَرُ الْمُنَقُولِ مِنَ الْمَطَاعَنِ الصَّرِيحَةِ هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ يَرْوِيهَا
الْكُذَّابُونَ الْمَعْرُوفُونَ بِالْكَذِبِ ، مِثْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ لُوطِ بْنِ يَحْيَى ، وَمِثْلُ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ وَأَمْثَالُهُمَا مِنَ الْكُذَّابِينَ . وَالنَّوْعُ الثَّانِي مَا هُوَ صَدَقَ ، وَأَكْثَرُ
هَذِهِ الْأُمُورِ لَهُمْ فِيهَا مَعَاذِيرٌ تُخْرِجُهَا مِنْ أَنْ تَكُونَ ذُنُوبًا وَتَجْعَلُهَا مِنْ مَوَارِدِ الْاجْتِنَادِ
الَّتِي إِنْ أَصَابَ الْمُجْتَهِدُ فِيهَا فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ ، وَهَامَةُ الْمُنَقُولِ
الَّتَابِتُ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَمَا قَدَّرَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ ذَنْبًا مُحَقَّقًا فَإِنَّ
ذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِيمَا عُلِمَ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَسَوَابِقِهِمْ وَكَوْنِهِمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، لِأَنَّ الذَّنْبَ الْحَقِيقَ
يَرْتَفِعُ عِقَابُهُ فِي الْآخِرَةِ بِأَسْبَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، مِنْهَا التَّوْبَةُ وَالْحَسَنَاتُ الْمَاسِيَةُ ، وَمِنْهَا
الْمَصَائِبُ الْمَكْفُورَةُ ، وَمِنْهَا دَعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَشَفَاعَةُ نَبِيِّهِمْ ، فَمَا مِنْ سَبَبٍ
يَسْقُطُ بِهِ الذَّمُّ وَالْعِقَابُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَّةِ إِلَّا وَالصَّحَابَةُ أَحَقُّ بِذَلِكَ ، فَهُمْ أَحَقُّ
بِكُلِّ مَدْحٍ وَنَقْدٍ كُلِّ ذِمٍّ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ .

قَوْلُهُ (مَعْصُومٌ) مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَهِيَ الْحَيَاةُ وَالْحِفْظُ . قَوْلُهُ (بَلْ يَجُوزُ) أَيْ يُمْكِنُ ،
أَيْ أَنَّ أَهْلَ السَّنَةِ يَعْرِفُونَ قَدْرَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَرَابَتِهِ فَيَتَرَلَوْنَهُمْ مَنَازِلَهُمْ كَمَا وَرَدَ
فِي الْحَدِيثِ « وَنَزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » فَلَا يَقْلُونَ فِيهِمْ بِحَيْثُ يَرَفَعُونَ عَنْ مَثَرَتِهِمْ
الَّتِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ بِهَا فَلَا يَمْتَدُّونَ أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ
مَا يَجُوزُ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « كُلُّ ابْنِ
آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ « إِنَّكُمْ تَخْطِئُونَ بِالْقَلِيلِ

ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر

والنهار وأنا أغفر الذنوب فاستغفروني أغفر لكم » وقال الشيخ تقي الدين : ولم يقل أحد يعد به إن الصحابة رضی الله عنهم أو غيرهم من الأولياء أو القرابة معصوم من كبائر الذنوب أو من الصفائر ، بل يجوز عليه وقوع الذنب والله يغفر لهم ، وقصة حاطب في الصحيح ، فقد غفر له الذنب العظيم بشهوده بدرآه

فأهل السنة والجماعة لا يرون عصمة أحد لا من الصحابة ولا من القرابة ولا يؤمنونهم باجتهادهم ، بخلاف أهل البدع الذين غلوا من الجانبين : طائفة عصمتهم وطائفة أمتهم . قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية : ولم يقل أحد من الأئمة إلا الامامية والاصحاحيلية . وقول بعضهم ان النبي معصوم والولي محفوظ ان أراد بالحفظ ما يشبه العصمة فباطل ، انتهى

أما الانبياء عليهم السلام فانفتحت العلماء على أنهم معصومون في تبليغ الرسالة لا يجوز أن يستقر في ذلك شيء من الخطأ ، وكذلك معصومون من الكبائر أما الصفائر فقد تقع منهم ولكن لا يقرون عليها . قال الشيخ تقي الدين رحمه الله بعد كلام : فالعلماء متفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً ولا على فسق أو كذب في الجملة ، كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تزيههم عنه وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصفائر يقولون إنهم معصومون من الاقرار عليها فلا يصدر منهم ما يضرهم كما جاء في الاثر كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة والله سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وان العبد يفعل السيئة يدخل بها الجنة ، وأما الفسيان والسو في الصلاة فذلك واقع منهم وفي وقوه حكمة استئنان المسلمين بهم ، كما روى في موطأ مالك : إنما أنسى أو أنسى لاسن . اهـ

قوله (ولهم من السوابق والفضائل) الخ أي حدث . فما يقع منهم رضی الله عنهم يستغفر في جانب ما لهم من الحسنات العظيمة كما في قصة حاطب : فقد غفر له الذنب العظيم بشهوده بدرآه ، وكلا وعد الله الحسنى . وفي جامع الترمذي أن النبي ﷺ قال

حق أنهم يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم ، وقد ثبت بقول الرسول ﷺ
أنهم خير القرون ،

لما جاءه عثمان لتجهيز جيش العسرة : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم . مرتين ، رواه
الترمذى وقال حديث حسن ، وروى أحمد وأبو داود والترمذى عن جابر أن رسول
الله ﷺ قال « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » وأخرج أحمد بسند رجاله
ثقات عن أبي سعيد الخدرى أن النبي ﷺ قال لأهل الحديبية « لا يدركن قوم
بعدكم صاعكم ولا مدكم »

قوله (حتى أنه يغفر لهم من السيئات) الخ ، وذلك لما لهم من الفضائل والسوابق
والوعد بالمغفرة قال تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) فلاصحاب رسول الله من الحسنات
والأسباب التي تمحو السيئات أعظم نصيب ، قال (ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا)
والحبيب يسامح بما لا يسامح به غيره ، لأن المحبة أكبر شفعاؤه كما قيل :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جات محاسنه بألف شفيح
فلقائاتهم العظيمة وجهادهم في الله أعدائه حق الجهاد يحتمل لهم مالا يحتمل لغيرهم
وذكر ابن القيم رحمه الله في المدايح في أثناء كلامه : أنه يعنى للمحب ولصاحب
الإحسان العظيم مالا يعنى لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره ، قال وقد استدل
الشيخ تقي الدين رحمه الله على ذلك بقصة سليمان حين ألته الخليل عن صلاة العصر
فأنلفها فعوضه الله سبحانه وتعالى الريح ، وكذلك لعلم موسى عين ملك الموت ففقاها
ولم يعتب عليه ربه ، وفي ليلة الإسراء عاتب ربه في النهي ﷺ أنه رفع فوقه ولم
يعتبه الله على ذلك لما له من المقامات العظيمة ، وكان شديد الغضب لربه فاحتمل له
ما لم يحتمله لغيره ، وذو النون لما لم يكن له هذا المقام سجنه في بطن الحوت من أجل
غضبه (قد جمل الله لكل شيء قدرا) انتهى بتصرف .

قوله (وقد ثبت بقول الرسول ﷺ) الخ . أخرجه مسلم في الفضائل من حديث
أبي هريرة ، وأخرجه أبوداود من حديث ابن مسعود ، وأخرجه البخارى ومسلم

قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم ، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه

والفسائي من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران بن حصين فلا أدري أذكر بعد قرنة صرتين أو ثلاثاً . وهن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته »

قوله (قرنى) القرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة ويطلق القرن على مدة من الزمان اخلفوا في تحديدها ، ووقع في حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على أن القرن مائة عام ، وهو المشهور ، انتهى من فتح الباري والمراد بقرنه ﷺ الصحابة ، واتفق العلماء على أن خير القرون قرنه .

قوله (ثم الذين يلونهم) يعنى التابعين (ثم الذين يلونهم) يعنى اتباع التابعين واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين ، والتابعين أفضل من أتباع التابعين ، واستدل بهذا على تعديل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل ، واستدل على جواز المفاضلة بين الصحابة رضوان الله عليهم .

قوله (وأن المد من أحدهم) الخ . كما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقد تقدم الكلام على هذا الحديث

قوله (ثم إذا كان قد صدر) الخ . والتوبة تجب ما قبلها كما في الحديث « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » والتوبة مقبولة من جميع الذنوب ، قال تعالى (إلا من تاب وقال (إلا الذين تابوا) وقال (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وقد أخبر الله في كتابه عن توبة أنبيائه ودعائهم بالتوبة ، قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) وقال عن موسى عليه السلام

أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته ، أو بشفاعته محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه .

انه قال (تبت إليك وأنا أول المؤمنين) إلى غير ذلك من الآيات ، وأما المسأثور عن النبي ﷺ فكثير جداً وأصحابه كانوا أفضل قرون الامة ، فهم أهرق القرون بالله وأشد هم له خشية وقد وقع من بعضهم أشياء ندموا عليها وتابوا منها وهذا مشهور قوله (أو أتى بحسنات تمحوه) قال الله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقال النبي ﷺ « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » وقال ﷺ لرجل الذي قال أصبت حداً فأقره على ، فقال « هل صليت معنا هذه الصلاة ؟ قال نعم ، قال اذهب فان الله قد غفر لك حدك » الحديث ، والحسنات تتفاضل بحسب ما في القلوب من الإيمان والتقوى ، وحينئذ فيعرف ان من هو دون الصحابة قد تكون له حسنات تمحو ما يذم من أحدهم ، فكيف بالصحابة رضي الله عنهم .

قوله (أو غفر له بفضل سابقته) كما تقدم من الأدلة على ذلك ، ومنها قوله ﷺ « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وكما في قصة حاطب بن أبي بلعنة فقد غفر له ذلك الذنب العظيم بشهوده بداراً ، وقد يرى النبي ﷺ مما صنع خالد بنى جذيمة وقال « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » ولم يؤاخذ به لحسن بلائه ونصره للإسلام ، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة .

قوله (أو بشفاعته محمد) الخ . فانهم أخص الناس بدعائه وشفاعته .

قوله (أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه) أي امتحن وأصيب بمصيبة كفر الله بها عنه ، أي محي عنه ذلك الذنب لأنها تكفر الذنب ، كما في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها » متفق عليه . ذكر المصنف هنا بعض الاسباب المسقطلة للمعوبة ، وقد استوفاه في المنهاج وشرحها شرحاً وافياً ثم قال : فهذه الاسباب لا تغتفر كلها من المؤمنين إلا القليل ، فكيف بالصحابة رضوان الله

فاذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا
 فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور .
 ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور

عليهم الذين هم خير قرون هذه الأمة ، فاذا كان الذنب المحقق تسقط عقوبته بعدة
 أسباب في حق آحاد الناس فكيف في أصحاب رسول الله ﷺ ، فما من ذنب يسقط
 به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك ، فهم أحق بكل مدح
 ونفى كل ذم ممن بعدهم من الأمة ، انتهى

قوله (فاذا كان هذا في الذنوب المحققة) تسقط عقوبتها عن آحاد الأمة بأسباب
 عديدة فكيف بأصحاب رسول الله ﷺ فهم أحق بذلك لما لهم من الفضائل
 والسوابق والوعد بالمغفرة إلى غير ذلك مما لا يمكن أن يلحقهم فيه من بعدم فاذا كان
 ما تقدم في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم
 أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور ، فهم مأجورون على كلا الحالين
 كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وعمر بن العاص أن رسول الله ﷺ قال
 « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد » وقد تقدم
 فما صدر منهم فهم فيه معذورون ومأجورون ولم يخرج ذلك أحداً منهم عن العدالة
 لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون .

قوله (ثم القدر) الخ . ثم حرف عطف . قوله (جانب) أى جهة وناحية
 قوله (نزر) أى قليل تافه . قوله (مضمور) أى مغطي من غمره إذا غطاه وعلاه
 أى إن ما أتوا به من الحسنات وما لهم من الفضائل والسوابق غمر ما وقع منهم
 وغطاه وجعله كالأشياء أو كقطرة نجاسة وقعت في بحر ، هذا على فرض ثبوت ذلك
 عنهم ووقوعه منهم ، وإلا فعالب ما ينقل عنهم من المساوىء إما ككذب محض وإما
 محرف كما تقدم ، لأن غالب ما ذكر عنهم ذكره المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما
 يروونه وقل أن يسلم قلمهم من الزيادة والنقصان ، وأيضاً إذا ثبت صدوره عنهم فهو

في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء

صادر عن اجتهاد سائق هم مأجورون فيه على كلا الحالين . قال الشيخ نقي الدين رحمه الله : ومن علم ما دل عليه القرآن والسنة من النفاء على القوم رضى الله عنهم واستحقاقهم الجفة وإنهم خير هذه الأمة التي أخرجت للناس لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشبهة منها ما لا يعلم صحته ومنها ما يتبين كذبه ومنها ما لا يعلم كيف وقع ومنها ما يعلم حذر القوم فيه ومنها ما يعلم توبتهم منه ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يضره فن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله ، وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال وإلا حصل في جهل ونقص وتناقض كحال هؤلاء الرافضة الضلال .

قوله (ومن نظر) أى تدبر وتفكر فيها . قوله (في سيرة القوم) أى خطتهم وعاداتهم وما كانوا عليه من الأحوال الفاضلة والسيرة العادلة وجمعها سير وهو ما يعامل به الناس من خير وشر ، وأصل السيرة هيئة فعل السير وسير رسول الله ﷺ هيئة أفعاله حيث كانت .

قوله (بعلم) العلم هو حصول صورة المعلوم في الذهن . قوله (وبصيرة) أى معرفة ويقين ، والبصيرة للقلب والبصر للعين ، قال ابن القيم في المدارج بعد كلام على قوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة) قال يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم وهي البصيرة التي تكون نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئى إلى البصر ، وهذه الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة وهي أهلا درجات العلماء ، انتهى .

قوله (علم يقيناً) أى علماً لازماً لا يدخله شك ولا شبهة ، فاليقين لغة طمأنينة القلب على حقيقة الشيء ، يقال يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه واصطلاحاً هو اعتقاد جازم لا يقبل التغير ، ومراتب اليقين ثلاثة : حق اليقين وعلم اليقين وعين

لا كان ولا يكون مثلهم وإنهم الصفوة من قرون هذه الامة التي هي خير الامم وأكرمها على الله .

اليقين ، فعلم اليقين هو التصديق التام به بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة تقدر في تصديقه ، وعين اليقين هي صرته الرؤية والملاحظة ، وحق اليقين هي مباشرة الشيء والإحساس به . قوله (لا كان ولا يكون مثلهم) كان عامة .

قوله (الصفوة) أي الخيار والصفوة من كل شيء خالصه وخياره ، فأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الخلق بعد الانبياء ، ومن نظر في سيرتهم وتأمل أحوالهم وما هم عليه من الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وبذل النفس والنفس في سبيل إعلاء كلمته مع ما هم عليه من الصدق مع الله والمصارعة إلى الخير مع العلم النافع - إلى غير ذلك من صفاتهم الفاضلة علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الانبياء ، وإنهم أكل هذه الامة حقلاً وعلماً وديناً ، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود : من كان منكم مستقفاً فليستن بمن قد مات فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد كانوا خير هذه الامة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لنبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم ، رواه غير واحد ، منهم ابن بطنة عن قتادة ، وروى هو وغيره بالاسانيد إلى زر بن حبیش قال : قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « إن الله سبحانه نظر في قلوب العباد بمد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وراء نبيه يقاتلون على دينه ، فآراهم المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما آراهم المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ » رواه أحمد وأبو داود الطيالسي ، وما قاله عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيهم حق كما تواترت بذلك الاحاديث عن النبي ﷺ أنه قال « خير القرون قرنى » الحديث ، وهم أفضل الامة الوسط الشهداء على الناس ، وهم الصفوة من قرون هذه الامة وأكرمها على الله سبحانه ، قال تعالى (وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) قال طائفة من السلف هم أصحاب محمد ولا

(فصل) ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الاولياء وما يجرى
الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات

ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الامة التي قال الله فيها (نم أورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله)
فأمة محمد ﷺ الذين أورثوا الكتاب بعد الامتين قبلهم اليهود والنصارى ، وقد
أخبر انهم الذين اصطفى ، فأصحاب محمد المصطفين من المصطفين من عباد الله ، فهم
صفوة الصفوة رضوان الله عليهم أجمعين ، فأمة محمد خير الامم وأكرمها على الله كما
قال سبحانه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وروى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية
عن أبيه رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها
وأكرمها على الله سبحانه » رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم فى مستدركه ، وأصحاب
رسول الله ﷺ خير هذه الامة ، فهم أفضل الخلق على الإطلاق بعد النبيين والمرسلين

(فصل)

قوله (التصديق بكرامات الاولياء) الخ ، أى من أصول أهل السنة والجماعة
التصديق بكرامات أوليائه ، كما دل على ذلك القرآن والاحاديث الصحيحة والآثار
المقوَّرة عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، وإنما أنكرها أهل البدع من الجهمية
والمعتزلة ومن تابعهم ، والكرامة هو ما يجرى الله على أيدي أوليائه من المؤمنين
من خوارق العادات ، كما جرى لأمير المؤمنين ع في نزول الظلة عليه بالليل فيها مثل
السرّج ، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال « تلك الملائكة نزلت لسماع قراءتك »
ومثل ما جرى لسعد بن أبي وقاص فى القادسية وصهروم على الماء يحنوهم ، وقد
جرى قيل ذلك نحوه للعلاء بن الحضرمي .

قوله (من خوارق العادات) الخ . أى انها خرقت العادة وخالفت مقتضاها
وجاءت على خلاف مألوف الآدميين كاحياء ميت وانفجار الماء من بين الأصابع .
قوله (فى العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات) الخ . أى أن الكرامة

تنقسم إلى أقسام ، منها ما يكون في الكشف والعلم ، ومنها ما يكون في القدرة والتأثير
فما كان من باب العلم والكشف ، فتارة يسمع مالا يسمعه غيره أو يرى مالا يراه غيره
بقظة أو مناماً أو نحو ذلك ، ويسمى كشفاً ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات ،
فالسامع مخاطبات والرؤيا مشاهدات والعلم مكاشفة ، ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفة
أى كشف له عنه وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره ، فحصل لقلبه من انكشاف
الحقائق التى لا تخطر أببال غيره ما خصه الله به ، فمن باب الكشف والعلم للأنبياء
عليهم السلام إخبار نبينا عن أخبار الأنبياء المتقدمين وأممهم ، وكذلك عن الأمور
المستقبلية كمملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم وقتال الترك ونحو ذلك مما لا يحصى
وأما القدرة والتأثير فكأنشقاق القمر ورد الشمس ليوشع بن نون وإسرائئله عليه السلام
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ونفع الماء بين أصابعه غير مرة إلى غير ذلك
مما لا يحصى ، وأما الخوارق لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم ، فمثل قول عمر في
قصة ساربه ومثل إخبار عمر بن بخرج من ولده فيكون عادلاً ، وقصة صاحب موسى
في علمه بحال الغلام ، وأما من باب القدرة والتأثير فمثل قصة الذى عنده علم من
الكتاب وقصة أهل الكهف وقصة صريم ونحو ذلك ، انتهى ، ملخصاً من كلام
شيخ الإسلام بن تيمية ، وشرط كون الخارق كرامة أن يكون من جرى على يديه
صالح متبع لسنة ، فمن ادعى محبة الله وولايته ولم يتبع محمداً عليه السلام فليس من أوليائه
بل من أعدائه وأولياء الشيطان ، كما قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله) .

قال الحسن : ادعى قوم محبة الله فامتحنهم الله بهذه الآية ، ولهذا اتفق أئمة الدين
على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام حتى
ينظر وقوفه عند الأمر والنهي الذى بمث الله به رسوله . فولى الله هو المؤمن المتقى
كما قال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا
يتقون) وصحبي ولياً لمواليته لطاعة الله ، والولى خلاف العدو ، وهو مشتق من الولاء

وهو الدنو والقرب ، فولى الله من وإلى الله بمواقفته في محبوباته والتقرب إليه بمرضاته
والاولياء على قسمين : مقتصدون ومقربون ، فالملتصدون الذين يتقربون إلى الله
بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح ، والسابقون الذين يتقربون إلى الله بالنوافل
بعد الفرائض ، وأفضل أولياء الله هم أنبياءه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ،
وأفضل المرسلين هم أولو العزم ، وهم إبراهيم ونوح وموسى وهيسى ومحمد ، قيل
وأفضلهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم هيسى ثم نوح ونظّمهم بعضهم على هذا الترتيب
قال : محمد إبراهيم موسى كلمه فميسى فنوح هم أولو العزم فاهل
ولا يشترط في الولي أن يكون معصوماً ، بل من ادعى العصمة لأحد من الاولياء
قد كذب ، ولا يمكن أن يصل الولي مما علت رتبته وبلغ في الجدة والاجتهاد ما بلغ
إلى مراتب الانبياء عليهم السلام ، وليس للولي زى خاص ولا لباس خاص ، وأما
ما يجري الله على أيدي الانبياء والرسل من خوارق العادات يدل بها عباده على
صدق ما ادعوه من النبوة والرسالة ، فيقال له معجزة ، أما إذا كانت حال من ظهرت
الخارقة على يديه غير مرضية فليست بكرامة بل هو استدراج وخيال شيطاني ليس
من حال أولياء الله وكرامتهم ، فمن زعم أنه يصل إلى حد تسقط عنه التكاليف
الشرعية أو زعم أنه يسهل الخروج من شريعة محمد ، كما وسع الخضر الخروج عن
شريعة موسى أو زعم أنه محتاج للنبي ﷺ في علم الظاهر دون علم الباطن أو في علم
الشريعة دون علم الحقيقة ، فهو كافر بالله العظيم من أولياء الشيطان ليس من أولياء
الرحمن ، كما ذكر ذلك الشيخ تقي الدين وغيره إذ قد أجمع العلماء على أن شرط
الكرامة كونها على يد متبع للشرع المطهر ، وبهذا التفصيل يظهر الفرق بين المعجزة
والكرامة والاحوال الشيطانية ، فالثلاث تجتمع في كونها خارقة للعادة وتمتاز المعجزة
في كونها على يد مدهي الرسالة والنبوة ، فيؤيد الله الصادقين بأنواع المعجزات
والاخلاق والاحمال التي تدل على صدقهم ، وقد يكون منها ما لا يستطيع الخلق مثله
كإنزال القرآن ونبوع الماء من بين أصابعه وإبراء الأكاه والأبرص وإحياء الموتى

كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة

في حق عيسى وكهصى موسى ويده . أما الكرامة فهي الخارقة الحاصلة على يد المؤمن التقى التابع لشرع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ، إما لتقوية إيمانه أو لحاجة أو لإقامة حجة على خصمه المعارض له في الحق ، كما جرى لسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص لما دهاوا على من دهاها بخلاف الحق ، فأجاب الله دعوتها ، والكرامة في الحقيقة من معجزات ذلك النبي الذي اتبعه ذلك المؤمن الذي وقعت له تلك الكرامة كما قال بعض العلماء : كل كرامة لولى فهي معجزة لنبيه لأنها لم تقع له إلا بسبب اتباعه له ، أما إذا وقعت الخارقة على يد معرض عن الشرع صاد عن الحق متمسك بالمعاصي فاقع من الاحوال الشيطانية التي تصد بها الشياطين الناس عن اتباع الحق ، فان الشياطين تعمل كل حيلة لإضلال الناس وصدوم عن الحق ، فان الشياطين تدخل الاصنام وتكلم عبادها وتحكم بينهم ، وقد تقضى لأوليائها بعض الحاجات وقد ترفع بعضهم في الهواء ثم تعيده ولا سيما في الرقص والعب ، وقد تنقل بعض عبادها إلى بلدة بعيدة ثم ترجمه أو إلى عرفات وقت الحج ثم تعيده كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

قوله (كالمأثور عن سالف الأمم) أى كالمقول عن سالف الأمم ، أى متقدمها ، كما ذكر الله تعالى في كتابه عن حمل مريم بلا زوج ووجود فاكهة الشتاء عندها في الصيف وبالعكس ، وإحضار آصف بن برخيا عرش بلقيس في لحظة من مسيرة شهر وكما ذكر سبحانه في سورة الكهف عن أصحاب الكهف أنهم بقوا ثلاثمائة سنة ، فان بقائهم ثلاثمائة سنة بلا آفة من أعظم الخوارق ، وكالمأثور عن صدر هذه الأمة ، أى أولها ، وصدر كل شيء أوله ، أى أول هذه الأمة من الصحابة ، كما في قصة الصلاء ابن الحضرمي وأصحابه حين مشوا على الماء ، وكروية عمر لجيش ساريه وهو على المنبر في المدينة وندائه لامير الجيش وهو بنهاوند : يا سارية الجبل تحذيراً له من العدو مع بعد المسافة وكشرب خالد بن الوليد السم من غير أن يحصل له منه ضرر به

من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة .

وكجبريان النيل بكتاب أمير المؤمنين عمر إلى غير ذلك من كرامات الصحابة التي لا تحصى .

قوله (من الصحابة والتابعين) التابع لغة التالى ، وفي حرف الفقهاء من اجتماع بالصحابة ، أى ان كرامات الأولياء لا تزال موجودة إلى يوم القيامة فى جميع أصناف أمة محمد بشرطها المتقدم ، كما روى أن الحسن تغيب عن الحاج فدخلوا عليه مت مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه ، ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيه فخر مهتاً ، وصلة ابن أشيم مات فرسه وهو فى الغزو فقال اللهم لا تجعل لخلق على منة ودهي الله عز وجل فأحياه فرسه فلما وصل إلى بيته قال يا بنى خذ سرج الفرس فانه عاريه فأخذ سرجه فمات الفرس ، وجاع مرة بالاحواز فدعى الله عز وجل واستطعمه فوقمت خلفه دوخلة رطب فى ثوب حرير فأكل التمر وبقي الثوب عند زوجته زماناً وجاءه الأسد وهو يصلى فى غيضة بالليل ، فلما سلم قال له اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولى الأسد وله زمير ، وكان سعيد بن المسيب فى أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ فى أوقات الصلوات وكان المسجد قد خلى فلم يبق غيره ، ولما مات أويس القرنى وجدوا فى ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد فى صخرة فدفنوه فيه وكفنوه فى تلك الآنواب ، وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلى يوماً فى شدة الحر فأظلمته غمامة وكان السبع يحميه وهو يركب أصحابه لأنه كان يشترط على أصحابه فى الغزو انه يخدمهم ، وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبعت معه آنيته ، وكان هو وصاحب له يسيران فى ظلمة فأضاء لهما طرف السوط إلى غير ذلك من كرامات أولياء الله التي لا تحصى ، ذكر ذلك الشيخ تقي الدين فى كتابه الفرقان قال : وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه فى هذا الزمان فكثير ، انتهى . قوله (وسائر) أى باقى أو جميع فرق الأمة ، ولا يختص ذلك فى

(فصل) ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ

صنف معين بل توجد السكرامات وخوارق العادات في جميع أصناف أمة محمد إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجد ذلك في أهل القرآن وأهل العلم ، وفي أهل الجهاد ، وفي التجار والصناع والزراع وغيرهم من كان صالحاً متبعاً لسنة محمد صلى الله عليه وسلم .

• (فصل) •

قوله (طريقة) أى سبيل ومنهاج . قوله (السنة) لغة الطريقة وشرعاً هى أقوال النبي وأفعاله وتقريراته وقد تقدم ، وهذا معناها باعتبار العرف الخاص ، وأما معناها باعتبار العرف العام فهو ما نقل عن النبي ﷺ أو عن السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المقتدى بهم . قال ابن رجب : وكثير من المتأخرين يخصون السنة بما يتعلق بالاعتقاد لأنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم ، انتهى ، وقد اتفق من يعتمد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام وانها كالقرآن في التحليل والتحريم وغير ذلك ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه ، وما روى من الأمر بعرض الأحاديث على القرآن ، فقال يحيى بن معين انه موضوع وضعته الزنادقة ، وهو مخالف لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الآية ، وقد تقدم الكلام على هذا البحث بأكل من هذا فارجع إليه .

قوله (اتباع آثار رسول الله ﷺ) أى سلوك طريقه والسير على منهاجه . قال ابن القيم رحمه الله : الاتباع سلوك طريق المتبع والإتيان بمثل ما أتى به ، انتهى . قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) وقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلووا تسليماً) وقال (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) وعن أنس أن النبي ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ،

إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث التي فيها الامر باتباع الرسول ﷺ والوحي
الشديد في الإعراض عن هديه ﷺ ، فاتباعه ﷺ وامتنال أمره من أعظم
الفروض بل كل قول أو عمل يخالف ما عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو باطل مردود
على فاعله كائناً من كان ، كما في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي
ﷺ قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » فاتباع الرسول شرط لصحة
العمل ، كما قال تعالى (بل من أسلم وجهه لله وهو محسن) وقال (ليلوكم أيكم أحسن
عملاً) قال الفضيل بن عياض : أي أخلصه وأصوبه . قيل يا أبا علي ما أخلصه
وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً
ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله ، والصواب
أن يكون على سنة رسول الله ، وقد اتفق المسلمون على أن حب الرسول (ص) فرض
بل لا يتم الإيمان والإسلام إلا بكونه أحب إلى العبد من نفسه فضلاً عن غيره ،
وانتقموا على أن حبه لا يتحقق إلا باتباع آثاره والتسليم لما جاء به والعمل على سنته
وترك ما خالف قوله ، كما قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
وقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية ، فمن زعم أن أدلة
القرآن والسنة لا تفيد اليقين ، وأن أحاديث الاسماء والصفات أخبار آحاد لا تفيد
العلم فهو بعيد عن هذا التحكيم ، فيجب اعتقاد أنه ﷺ الواسطة في التبليغ عن الله
شرعه ودينه ، فالله سبحانه المشرع ورسوله المبلغ ، فالللال ما أحله الله والحرام
ما حرمه والدين ما شرعه ، فالتخاذ الواسطة ينقسم إلى قسمين : الأول اتخاذ واسطة
يبدلك وبين الله على أنها تنفع وتضر ، فالتخاذ هذه الواسطة شرك وكفر بالإجماع كما
ذكر ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية . الثاني : اتخاذ الانبياء عليهم السلام واسطة
في التبليغ عن الله شرعه ودينه فاسقاط هذه الواسطة كفر بالله ، فمن زعم أنه يأخذ
عن الله بدون واسطة رسله وأنبيائه فهو كافر ، أو زعم أنه يصل إلى حد تسقط عنه

باطنا وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار

التكاليف الشرعية ، أو أنه يسمعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ، أو أنه محتاج إلى محمد ﷺ في علم الظاهر دون علم الباطن أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، أو أن هدى غير محمد أحسن من هديه فهو كافر بالله العظيم .

قوله (آثار رسول الله ﷺ) أى ما أثر عنه وروى عنه من قول أو فعل أو تقرير ، وليس المراد آثاره الحسية كواضع نومه ﷺ وجوسه وقيامه ونحو ذلك ، فلا ينبغي تتبع ذلك لأنه وسيلة إلى الفتنة بتلك المواضع وربما آل إلى جعلها معابد ، ولذلك قطع عمر بن الخطاب الشجرة التي بايع النبي (ص) تحتها الصحابة لما بلغه أن أناساً يذهبون إلى الشجرة فيصلون تحتها ، ونهى عن اتباع آثاره الحسية ، وقال إنما هلك من كان قبلكم باتباع آثار أنبيائهم ، وأما ما كان يفعله بن عمر من تتبع آثار رسول الله (ص) حتى أنه بال في الموضع الذي بال فيه رسول الله ، فقد خالفه أبوه وجهور الصحابة ، والصواب معهم حسباً لمواد الشرك وسداً للذرائع التي توصل إليه والإسلام مبنى على أصليين : أن لا نعبد إلا الله ، وأن نعبد بما شرع لا نعبد بالبدع وقد تقدم ذكر ذلك .

قوله (باطنا وظاهراً) إشارة إلى أنه لا بد من الإخلاص في العمل وأن كل عمل لا يراد به وجه الله فليس لعامله فيه ثواب ، كما أن كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله .

قوله (واتباع سبيل السابقين) الخ . أى سلوك طريقهم والسير على منهاجهم والسبيل في الأصل الطريق ، فمن أصول أهل السنة اتباع سبيل السابقين ، وذلك لما خصهم الله به من العلم والفضل والفقه عن الله ورسوله ، فقد شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل وتلقوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم بلا واسطة أحد ، فهم أحق بإصابة الصواب وأجدر باتباع السنة والكتاب .

قال ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين : ومن المحال أن يكون الصواب في غير طريق من سبق إلى كل خير على الإطلاق ، انتهى ، قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) وذلك متناول لكل من اتبعهم إلى يوم القيامة كما ذكر ذلك أهل العلم ، قال الشاطبي رحمه الله : الصحابة سنة يعمل عليها ويرجع إليها ، ومن الدليل على ذلك أمور ثم ساقها ، وقال عبد الله بن مسعود : من كان منكم مستنفا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حتمهم وتمسكوا بهديهم فاتهم كانوا على الهدى المستقيم ، انتهى . فخير قلوب العباد أحق الخلق بإصابة الصواب ، فكل خير وإصابة ومعارف ومكارم إنما عرفت فوصلت إلينا منهم رضى الله عنهم . وقال الإمام أحمد : أصول السنة هندا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله (ص) ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ما كان عليه رسول الله (ص) كما شهد لهم بذلك في قوله : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي . وأكثر العلماء على أن أقوال الصحابة حجة يجب اتباعها ويحرم الخروج عليها حيث لا نص نبوي ، وقد غلط من زعم أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أهدى وأحكم ، فإن هذا القائل لم يعرف قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين حق المعرفة ، كيف يكون هؤلاء المحبوبين المنقوصين الجاهري أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكامه من السابقين الأولين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء الذين وهبهم الله لهم الكتاب والحكمة وأحاطوا من حقائقه ومعارفه ما هجز أولئك عن فهم معانيه وإدراكه ، ثم كيف يكون خير قرون هذه الأمة أنه في العلم والحكمة لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وصفاته وآياته من هؤلاء الاصاغر المنقوصين الجاهري المتهوكون ، ولا شك أن هذا القول إذا تدبره الانسان وجدته في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة .

واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة »

قوله (حيث قال) أى فى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين » الحديث ، رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح ، وقال الحافظ أبو نعيم جيد صحيح وفى هذا الحديث الحث على التمسك بسنة رسول الله ﷺ ووجوب اتباعها ، وفيه قرن سنة الخلفاء الراشدين بسنته ووجوب اتباعها مع عدم وجود سنته ، وفيه أن للخلفاء سنة وأن الأخذ بها واتباعها رشاد وهدى ، وفيه أن ما سنه الخلفاء الراشدون أو أحدهم حجة لا يجوز العدول عنها بخلاف غيرهم من ولادة الأمور ، ولحديث اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر ، ولو لم تقم الحجة بقولهم لما أمرنا باتباعهم ، وهذا القول هو الحق .

قوله (وسنة الخلفاء الراشدين) وهم الخلفاء الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى كما فى حديث سفينه « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكا » رواه أحمد وصححه ورواه غيره ، وإنما وصف الخلفاء بالراشدين لأنهم عرفوا الحق وقضوا به ، والراشد ضد الغاوى ، والغاوى من عرف الحق وعمل بخلافه .

قوله (المهديين) يعنى ان الله سبحانه يهديهم إلى الحق ولا يضلهم عنه ، فالاقسام ثلاثة : راشد وغازى وضال ، فالراشد عرف الحق واتبعه ، والغاوى عرفه ولم يتبعه والضال لم يعرفه بالكلية ، انتهى من كلام ابن رجب .

قوله (تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) هذا كناية عن شدة التمسك بها ، والنواجذ آخر الاضراس .

قوله (محدثات) بضم الميم وسكون الحاء جمع محدثة ، والمراد بها البدع ، والبدعة لغة كل شئ عمل على غير مثال سابق ، وأما البدعة الشرعية فهي ما لم يدل عليه دليل شرعي ، فلفظ البدعة فى اللغة أعم من لفظ البدعة فى الشريعة ، وهذا الحديث

دل على التحذير من البدع والرد على من زعم تقسيم البدعة إلى حسنة وقبيحة ، وأما قول عمر (نعمت البدعة) فالمراد بها البدعة اللغوية ، إذ أصل صلاة التراويح مشروعة فقد صلاها الرسول ﷺ بأصحابه ثم تركها لما خشى أن تفرض عليهم ، وتنقسم البدعة إلى قسمين : بدعة اعتقاد ، وهو اعتقاد خلاف ما أخبر به الرسول ﷺ كقوله « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال « من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي » الثانية بدعة عملية وهو التعبد بغير ما شرع الله ورسوله ، فن تعبد بغير الشرع أو حرم ما لم يحرمه الشارع فهو مبتدع ، والبدعتان غالباً متلازمان قل أن تنفك إحداها عن الأخرى . قال ابن دقيق العيد رحمه الله : اعلم أن المحدث على قسمين : محدث ليس له أصل من الشريعة فهذا باطل مذموم ، ومحدث يحمل النظير على النظير فهذا ليس بمذموم لأن البدعة ولفظ المحدث لا يذمان لمجرد الاسم ، بل لمعنى مخالفة السنة ، والداهي إلى الضلالة ، ولا يذم ذلك مطلقاً ، فقد قال سبحانه (ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث) الآية ، وقال عمر : نعمة البدعة هذه - يعنى التراويح -

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله : وأصل ضلال أهل الأرض إنما نشأ من هذين : إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم ما لم يحرمه الله ، ولهذا كان الأصل الذى بنى عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى عبادات يتخذونها وإلى عادات ينفقون بها فى معاشهم ، فالأصل فى العبادات أن لا يشرع إلا ما شرعه الله ورسوله ، والأصل فى العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله . اهـ قال العلماء رحمهم الله : العبادات مبناهما على التوقيف والاتباع لا على الاختراع والابتداع ، فالأصل فى العبادات التحريم إلا ما شرعه الله ورسوله ، ولهذا يشترط للعبادة شرطان : الإخلاص والمتابعة كما فى الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي (ص) قال « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أى مردود

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

كائناً ما كان . وفي صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه أنه كان يقول في خطبته « إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد (ص) وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » وفي رواية النسائي « وكل ضلالة في النار » وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « اتبعوا ولا تبغثدعوا فقد كفيتم » وقال الاوزاعي رحمه الله « عليك بأثر من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول » إلى غير ذلك من الأدلة على تحذير الأمة من اتباع الأمور المحدثثة المبتدعة ، وتقدم أن المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له من الشرع يدل عليه ، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة .

قوله (ويعلمون أن أصدق) الخ . فلا أحد أصدق منه قولاً ولا خيراً ، فكل ما أخبر به سبحانه فهو صدق وحق لا صرية فيه ولا شك ، قال تعالى (ومن أصدق من الله قيلاً ومن أصدق من الله حديثاً) وقال (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً) وعن جابر رضى الله عنه قال « كان رسول الله (ص) إذا خطب أهرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم و يقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد (ص) وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » رواه مسلم .

قوله (وخير الهدى هدى محمد) الهدى بفتح الهاء ومكون الدال السميت والطريقة والسيرة ، وقرئ بالضم أى الدلالة والارشاد والمراد تفضيل دينه وسنته على سائر الأديان والسنن ، فدينه صلى الله عليه وسلم أكمل الأديان على الإطلاق ، وشريعته أفضل الشرائع اختارها الله لخبرته من خلقه ولأتمته خير أمة أخرجت للناس وجعلها حجة باقية إلى يوم القيامة لا يتطرق إليها التسخ ولا يعتريها التبديل والتغيير الذى وقع في الشرائع قبلها ، ولهذا المعنى الذى ذكرناه كان كل عاقل من اليهود والنصارى كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : يعترف بأن دين الاسلام حق وأن محمداً رسول الله

وأن من أطاعه منهم دخل الجنة ، بل كثير منهم يعرفون بأن دين الإسلام خيراً من دينهم كما أطبقت على ذلك الفلاسفة كما قال ابن سينا : أجمع فلاسفة العالم على أنه لم يطرُق العالم ناموس أعظم من هذا الناموس ، ولا شك أن هذه الشريعة العظيمة الكاملة من دلائل نبوته ﷺ وكذلك أخلاقه وأقواله وأفعاله وسيرته ﷺ كلها من آياته ودلائل نبوته ، كما أشار إلى ذلك الشيخ تقي الدين رحمه الله فقد جبله الله سبحانه وتعالى على أجمل الأخلاق وأزكاها واختار له أفضلها وأولاها ، وأخلاقه مقتبسة من القرآن كما قال تعالى (وإنك لملى خاق عظيم) قال العوفي عن ابن عباس وإنك لملى دين عظيم وهو دين الإسلام . وفي صحيح مسلم عن سعد بن هشام قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت بلى ، فقالت كان خلقه القرآن ، ومعنى هذا أنه ﷺ بها أمره الله به في القرآن امثله ومما نهاه عنه اجتنبه ، هذا ما جبله الله سبحانه عليه من الأخلاق الجبلية الأصلية العظيمة التي لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أجمل منها ، فكان فية ﷺ من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح وسائر الأخلاق الكاملة مالا يحد ولا يمكن وصفه . وقد خرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : بعثت لأنتم مكارم الأخلاق .

قوله (ويؤثرون كلام الله) الخ . أى يقدمون كلام الله على كلام غيره من خلقه كائناً من كان ، ولا يعدلون عنه ولا يعارضونه بمقول ولا قول فلان ، فانه الفرقان ، المفرق بين الحق والباطل ، والنافع والضار ، وهو الإمام الذى يجب اتباعه والرجوع إليه عند التنازع ، إذ لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بالاعتصام بحبل الله ، ولا نجاة إلا بالتمسك بما جاء في كتابه ، فانه الشفاء والنور والحياة الحقيقية ، قال الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) قال قتادة والسدى وكثير من أهل التفسير هو القرآن ، وقال عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ : إن هذا القرآن هو حبل الله

ويقدمون هدى محمد ﷺ على هدى كل أحد

وهو النور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ، وقال على بن أبي طالب عن النبي (ص) في القرآن : هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيف به الأهواء ولا تختلف به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجز ومن حكم به عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم ، وعن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قال : جمع الله في هذا الكتاب علم الأولين والآخرين وعلم ما كان وعلم ما يكون ، والعلم بالخالق أمره وخلقه ، أخرجه ابن رزين . انتهى ، وقد سماه سبحانه وتعالى روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه ونوراً لتوقف الهداية عليه قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) وقال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) وقال (وما اخلفتم في شيء فحكمه إلى الله) وقال (فإن تنازهتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) والرد إليه هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته والرجوع إلى صفته بعد وفاته ، هذا معناه بإجماع المفسرين ، فيجب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ولا يجوز العدول عنها ولا معارضتها ولا الاعتراض عليها ففيها غاية البغية وفصل النزاع ، قال تعالى (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)

قوله (ويقدمون هدى محمد) الخ . أى يقدمون شرعه ودينه ، فدينه أكل الأديان على الإطلاق وشريعته أفضل الشرائع ، فمن ادعى أن هدى غير محمد أفضل من هديه أو ادعى غناه عن الرسالة بمكاشفة أو مخاطبة أو عصمة ، سواء ادعى ذلك لنفسه أو لغيره فهو من أضل الناس ، بل من اعتقد أنه يجوز له أن يخرج عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه في شيء من أموره الباطنة والظاهرة فإنه يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً من كان .

ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة . وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع
وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين

ذكر ذلك شيخ الإسلام تقي الدين في كتابه الفرقان ، وكذلك من زعم أن الشريعة
قاصرة وانها لاتساير الزمن وأنه يسوغ له سن النظم والتعليمات لكل زمان بما يناسبه
على زعمه ، أو زعم أن النظم الافرنجية أحسن من نظام الشريعة أو نحو ذلك من
الاقوال فهو زنديق .

قوله (ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة) وذلك لاتباعهم للكتاب والسنة الثابتة
عن نبيهم في الاصول والفروع والاختصاص بها وتحكيمها في القليل والكثير والاستغناء
بها وتقديمها على قول كل أحد كائناً من كان بخلاف الخوارج والمعتزلة والروافض
ومن وافقهم في بعض أقوالهم فانهم لا يتبعون الاحاديث التي رواها الثقات عن النبي
صلى الله عليه وسلم ، فالمعتزلة يقولون هذه أخبار آحاد والرافضة يطعنون في الصحابة
ونقلهم والخوارج يقول قائلهم اعدل يا محمد فانك لم تعدل ، فيجوزون على النبي أنه
يظلم . قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : السنة ما كان عليه رسول الله وأصحابه في عهده
مما أسرم به أو أقرم عليه أو فعله هو .

قوله (وسموا أهل الجماعة) الخ . لاجتماعهم على آثار الرسول والاستئذاء بأنواره
وتحكيمة في القليل والكثير ، فالجماعة هم المجتمعون الذين ما فرقوا دينهم وكانوا
شيعاً ، والذين فرقوا دينهم خارجون عن الفرقة الناجية وقد برأ الله نبيه منهم ، قال
تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) الآية . قال في المرقاة
المراد بالجماعة أهل الفقه والعلم الذين اجتمعوا على اتباع آثاره صلى الله عليه وسلم في
التقير والقطمير ولم يبتدعوا بالعهريف والتفجير ، وقال بعض العلماء : المراد بالجماعة
من كان على الحق ولو واحداً ، وذلك لأن الحق هو ما كان عليه الجماعة في الصدر
الاول ، وقد تكاثرت الادلة في الحث على الاجتماع والنهي عن التفرق والاختلاف
قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقال (إن الذين فرقوا دينهم

وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله) وقال تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «إن ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاردة القاصيه، فياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والامة والمسجد» وورد «الجماعة رحمة والفرقة عذاب» وورد عن ابن مسعود أنه قال «الخلافة شر» وحديث أن أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وأن هذه الامة ستفترق على ثلاثة وسبعين ملة، يعنى الاهواء كلها في النار إلا واحدة، وهى الجماعة إلى غير ذلك من الأدلة في الحث على الاجتماع وذم الاختلاف والتفرق، وينقسم الاختلاف إلى قسمين: اختلاف تنوع واختلاف تضاد، فالأول هو ما يكون القولان أو الفعلان مشروعا كما في أنواع الاستفتاحات وأنواع القراءات والأذان ونحو ذلك مما قد شرع جميعه، وأما اختلاف التضاد فهما القولان المتنافيان إما في الأصول أو في الفروع.

قوله (والاجماع) الإجماع يطلق لفة على العزم كما قال سبحانه (فاجمعوا أصرمكم) وقال ﷺ «لا صيام لمن لم يجمع الصيام من القليل» وهذا يتأتى من الواحد والجماعة ويراد به أيضاً الانفاق، واصطلاحاً هو اتفاق علماء العصر من الامة على أمر ديني وهو حجة قاطعة يجب العمل به عند الجمهور، وأنكره بعض المبتدعة من المعتزلة والشيعة، والدليل على حجية الاجماع قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «لا تجتمع هذه الامة على ضلالة أبداً» رواه الترمذى وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «لا تجتمع هذه الامة على ضلالة فان رأيتم الاختلاف فليكنم بالسواد الاعظم الحق وأهله» رواه ابن ماجه. وعن أبي ذر مرفوعاً «عليكم بالجماعة فان الله لم يجمع أمى إلا على هدى» رواه أحمد

وهو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين — وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين .

وعن أبي ذر مرفوعاً « من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » رواه أحمد وأبو داود ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سوء » رواه أبو داود الطيالسي وأخرجه البزار وأبو نعيم في ترجمة ابن مسعود .

قوله (وهو الأصل الثالث) الأصل لفظة أسفل الشيء وأساسه ، واصطلاحاً ما بني عليه غيره . قوله (الثالث) أى من الأدلة التى هى الكتاب والسنة ، والثالث هو الإجماع ، ولم يزل أئمة الإسلام على تقديم الكتاب على السنة ، والسنة على الإجماع وجعل الإجماع فى المرتبة الثالثة . قال الشافعي رحمه الله : الحجة كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الأئمة ، وروى الترمذى فى جامعه عن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له لما بعته إلى اليمن : كيف تقضى ؟ قال أقضى بما فى كتاب الله ، قال فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال بسنة رسول الله ، قال فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال أجتهد رأيي ، قال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله . اهـ

قوله (الذى يعتمد عليه فى العلم والدين) أى يستند ويركن إليه للدلالة الكثيرة الدالة على عصمة هذه الامة من الاجتماع على ضلالة ، وإن الإجماع كما تقدم حجة قاطعة يجب العمل به لما تقدم .

قوله (وهم يزنون) الخ . أى أن أهل السنة والجماعة يرضون جميع الأقوال والاعتقادات على هذه الأصول الثلاثة ، وهى الكتاب والسنة والإجماع ، ويحملون هذه الأصول الثلاث على المعيار التى توزن به الأعمال ، إذ لا حجة إلا فى هذه الأصول المتقدمة ، وأما القياس ففيه خلاف معروف .

قوله (مما له تعلق بالدين) أى كصلاة وصيام وحج وزكاة ومعاملات ونحو ذلك ، أما ما لا تعلق له بالدين كأمور المعاش والعادات فالأصل فيه الإباحة فالإجماع ليس

والإجماع جميع ما عليه الناس مما له تعلق بالدين ، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح وبعدم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة .

بحجة فيها ، قال الكوراني : لا معنى للإجماع في ذلك لأنه ليس أقوى من قوله ﷺ وهو ليس دليلاً لا يخالف فيه ، واستدل على ذلك بما روى مسلم في صحيحه عن أنس أن النبي ﷺ قال « أنتم أعلم بأمر دنياكم »

قوله (والإجماع جميع ما عليه الناس) الخ أي من عبادات ومعاملات وغير ذلك . قوله (مما له تعلق بالدين) احتراز من اتفاقهم على أمر دنيوي كإقامة مصنع أو حرفة أو متجر أو نحو ذلك ، فإن ذلك ليس إجماعاً شرعياً : قال في اللع : أما أمور الدنيا كتجهيز الجيوش وتدبير الحروب والعمارة والزراعة وغيرها من مصالح الدنيا فالإجماع ليس بحجة فيها ، لأن الإجماع فيها ليس بأكثر من قول الرسول ﷺ وقد ثبت أن قوله إنما هو حجة في أحكام الشرع دون مصالح الدنيا ، ولهذا روى أنه نزل منزلاً فقيل له إنه ليس برأى فتركه .

قوله (والإجماع الذي ينضبط) الخ . أي الاجماع الذي ينضبط ، أي يحفظ ويضبط ضبطاً تاماً بدون نقص ويمكن العلم به هو ما كان عليه السلف الصالح لا ما بعد ذلك ، فتعذر العلم به غالباً لا ينتشر الإسلام وكثرة العلماء وتفرقهم في البلاد ، فالعلم بعادة واحدة انتشرت في جميع الأقطار ووقف كل مجتهد عليها ثم اطبقوا فيها على قول واحد ، هذا مما لا تساعد المادة على وقوعه ، فضلاً عن العلم به ، وهذا هو الذي أنكره أحد وغيره لا وقوع الاجماع .

قال الاسنوي : ولأجل هذه الاحتمالات قال الامام أحمد : من ادعى الاجماع فهو كاذب . قال أبو المعالي : والانصاف أنه لا طريق لنا إلى معرفة الاجماع إلا في زمن الصحابة . وقال البيضاوي : إن الوقوف عليه لا يتم في أيام الصحابة ، فانهم كانوا قليلين محصورين ومجتمعين في الحجاز ، ومن خرج منهم بعد فتح البلاد كان معروفاً في موضعه . وقال ابن بدران في شرح روضة الناظر بعد ذكر ما تقدم : قلت وهو

(فصل) ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

الحق البين ، انتهى . وقال ابن القيم رحمه الله في الأعلام : وليس عدم علمه بالخالف إجماعاً ، وقد كذب أحمد من ادعى الإجماع وكذلك الشافعي في رسالته الجديدة ، على أن ما لا يعلم فيه بخلاف لا يقال له إجماع ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : ما يدعى فيه الرجل الإجماع فهو كذب لعل الناس يخلفوا ، هذه دعوى بشر المريسي والأصم ، فهذا هو الذي أنكره أحمد والشافعي لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده .

(فصل)

قوله (ثم هم) أي أهل السنة والجماعة . قوله (مع هذه الأصول المتقدمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) كما وصفهم الله بذلك فقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وقال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وفي صحيح مسلم والترمذي وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله أن رسول الله ﷺ قال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » فما تقدم دليل على عظم شأن الدعوة إلى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنهما من أعظم الواجبات ، وأصل عظيم من أصول الشريعة ، ولولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهدم بنيان الشريعة وتداعى وعمت الفوضى وساءت البلاد ، نسأل الله العافية ، والأدلة على الحث على الأمر بالمعروف والترغيب فيه والوعيد الشديد في إهماله والتساهل فيه كثيرة جداً . انتهى والمعروف اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ، والمنكر اسم جامع لكل ما كرهه الله ونهى عنه ، انتهى اقتضاء الصراط المستقيم ، وقد تطابق على وجوبهما الكتاب والسنة والإجماع ، وهما أيضاً من النصيحة ، ولم يخالف في ذلك

إلا بعض الرافضة كما ذكره إمام الحرمين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية مختصان بأهل العلم والدين الذين يعرفون كون ما يأمر به وما ينهون عنه من الدين ، فإن كان الذي علم بالمنكر واحد تعين عليه الإنكار أو كانوا جماعة لكن لا يحصل المقصود إلا بهم جميعاً تعين عليهم .

ويشترط في وجوب الإنكار أن يأمن المنكر على نفسه وأهله وماله ، فإن خاف على نفسه السيف أو السوط أو النفي أو نحو ذلك من الأذى سقط عنه أمره ونهيهم فإن خاف السب أو مماع الكلام السيئ لم يسقط عنه الإنكار بذلك ، نص عليه أحمد ، فإن احتمل الأذى وقوى عليه فهو أفضل ، نص عليه أحمد أيضاً وقيل له : أليس قد جاء عن النبي ﷺ أنه قال « ليس للؤمن أن يذل نفسه » أي يرضها من البلاء مالا طافة له به ، قال ليس هذا من ذلك ، وهل يجب إنكار المنكر على من علم أنه لا يقبل منه ، فيه روايتان عن أحمد ، وصحح القول بوجوبه ، وهو قول أكثر الصحابة كما ذكره ابن رجب ، والمنكر الذي يجب إنكاره ما كان مجهما عليه أما المختلف فيه فن أصحابنا من قال لا يجب إنكاره على من فعله مجتهداً أو مقلداً لمجتهد تقليداً سابقاً ، واستثنى القاضي في الأحكام السلطانية ما ضعف فيه الخلاف ، ومراتب الإنكار ثلاث كما تقدم من حديث أبي سعيد ، وفيه دليل على أن إنكار المنكر يجب بحسب القدرة عليه وأن إنكاره بالقلب لا بد منه بخلاف الذي قبله ، وأفاد وجوب تغيير المنكر بكل طريق ، فلا يكفي الوعظ إن أمكنه إزالة المنكر باليد ، ولا يكفي بالقلب إذا أمكن باللسان .

قوله (على ما توجبه الشريعة) أي أنه يجب أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متبصراً علماً بما يأمر به وأنه مطابق للأمر ، قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) الآية ، قال الشيخ تقي الدين في المنهاج : ولا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ، ولا بد من العلم بحال الأمور

والمنهى ولا بد في ذلك من الرفق ولا بد أن يكون حليماً صبوراً هلي الأذى فانه لا بد أن يحصل له أذى ، فان لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، فلا بد من هذه الثلاثة : العلم والرفق والصبر ، العلم قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده ، اه وقال سفيال الثوري : لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال : رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى ، عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى ، عالم بما يأمر عالم بما ينهى ، انتهى

وقال ابن القيم رحمه الله في الاعلام : وقد شرع النبي ﷺ لأمره إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره ما يحبه الله ورسوله ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فانه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله ، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فانه أساس كل شر وقتنة إلى آخر الدهر ، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها فقالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال لا ما أقاموا الصلاة وقال « من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعة » إلى أن قال :

فإنكار المنكر أربع درجات (الأولى) أن يزول ويخلفه ضده (الثانية) أن يقل وإن لم يزل بمجملته (الثالثة) أن يخلفه ما هو مثله (الرابعة) أن يخلفه ما هو شر منه فالدرجتان الأولىان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة ، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشر نفع كان إنكارها عليهم من عدم الفقة والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمى الشباب وسبق الخليل ونحو ذلك انتهى ملخصاً ، وقال بعضهم :

ومن أزال منكراً بأنكراً كفاسل الحيف ببول أخيراً
وقال النووي رحمه الله : ثم انه إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى

ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع مع الامراء

عنه ، وذلك يختلف باختلاف الشيء ، فان كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا ونحوها فكل المسلمين علماء بها ، وإن كان من دقائق الافعال والاقوال وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء ، انتهى

قوله (ويرون) أى ويمتقدون ، من رآه وارتآه إذا اعتقده ، أى من أصول أهل السنة والجماعة ان الصلاة التى تقيمها ولاية الامور تصلى خلفهم على أى حالة كانوا كما يحج معهم ويفزى ولا يرون الخروج عليهم وقتلهم بالسيف إذا كان فيهم ظلم ، خلافاً للبتدعة من الخوارج والمعتزلة والرافضة الذين يرون جواز الخروج على ولاية الامور إذا فعلوا ما هو ظلم أو ما ظنوه هم ظلماً ، ويرون ذلك من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقولهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة - قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) الآية . وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنكم سترون بعدى أثره وأموراً تنكرونها ، قالوا فما تأمرنا ؟ قال تؤدون الحق الذى عليكم وتسالون الله الذى لكم . وفى الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الامير فقد أطاعنى ، ومن يعصى الامير فقد عصانى » . وعن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً « الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برأ كان أو فاجراً » رواه أبو داود .

وفى الصحيح « ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » وعن أبي ذر رضى الله عنه قال « إن خليلي أوصانى أن أجمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجذع الاطراف » وروى مسلم فى صحيحه عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خلع يداً من طاعة لى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية » وعن أبي هريرة رضى الله عنه

قال ، قال رسول الله (ص) « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية » رواه مسلم ، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي (ص) قال « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فان من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب طاعة ولاية الامور ، فاذا أمروا بطاعة الله وجبت طاعتهم وإذا أمروا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة ، كما في الصحيح أنه قال « إنما الطاعة في المعروف » وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على الحث على السمع والطاعة لولاية الامور إذا أمروا بطاعة الله ، فان في طاعة ولاية الامور من المنافع والمصالح مالا يحصى ، ففيها سعادة الدين وانتظام مصالح العباد في معاشهم ويستعينون بها على إظهار دينهم وطاعة ربهم ، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه « إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر ، إن كان فاجراً عبداً المؤمن ربه وحمل الفاجر فيها إلى أجله »

وقال الحسن في الامراء « هم يلون من أمورنا خساً الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود ، والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا أو ظلموا ، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون » وروى « ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام » وروى أن هرو بن العاص اوصى ابنه فقال « إمام عادل خير من مطر وابل ، واسد خطوم خير من إمام ظلوم ، وإمام ظلوم خشوم خير من فتنة تدوم » وقال عبد الله بن المبارك :

إن الخلافة جبل الله فاعتصموا منه به-روته الوثقى لمن كانا
كم يدفع الله بالسلطان ممضلة عن ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل وكان اضعفنا نهبا لا قواما
وأجمع العلماء على انه يجب على المسلمين نصب خليفة ووجوبه في الشرع ،

وأدلة ذلك كثيرة ، ونصبه يكون بأحد أمور : إما باستخلاف من قبله له كما فعل أبو بكر الصديق في استخلافه عمر رضي الله عنهما أو باتفاق أهل الحل والعقد على عقدها لصالح أو بجعلها شورى بين جماعة كما فعل عمر رضي الله عنه أو قهر الناس حتى دانوا له ودعوه .

أما ما قال أحمد في روايه عبدوس بن مالك العطار : ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فلا يحمل لأحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه إماماً برأ كان أو فاجراً ، وقد أفردت أحكام الإمامة بمصنفات فارجم إليها .

قوله (أبراراً كانوا أو فجاراً) البر بكسر الباء أصله التوسع في فعل الخير ، وهو اسم جامع للخيرات كلها ويطلق على العمل الصالح الدائم ، والفجور يطلق على الميل إلى الفساد والانبعاث في المعاصي ، وهو اسم جامع للشر ، فتجب طاعة ولاية الأمور في الطاعة وتحرم مخالفتهم والخروج عليهم ، سواء كانوا أبراراً أو فجاراً ، فلا ينزل الإمام بالفسق والظلم وتمطيل الحقوق ، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه ، بل يجب وعظه وتخويله للأحاديث الواردة في ذلك ، وذكر بعضهم الاجماع عليه ، وذلك لما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين ، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقاءه ، والشرعية جاءت بجلب المصالح ودفع المضار .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذى سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الذى في إزالته ، وقال أيضاً في أثناء كلامه له : ونهى الرسول ﷺ عن قتال أئمة الجور ، وأمر بالصبر على جورهم ونهى عن القتال في الفتنة ، فأهل البدع من الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم يرون قتالهم والخروج عليهم إذا فعلوا ما هو ظلم أو ما ظنوه ظلماً ، ويرون ذلك من باب الأصر بالمعروف والنهي عن المنكر . اهـ

وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم : وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام باجماع

المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل السنة على أن الإمام لا ينزل بالفسق ، وقال العلماء وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يقترب على ذلك من الفتنة وإراقة الدماء وإفساد ذات البين ، فتكون المفسدة أكثر من المفسدة في بقائه . انتهى

قوله (ويحافظون على الجمع والجماعات) لأنها من أوكد العبادات ومن أجل الطاعات ومن أعظم شمائر الاسلام الظاهرة ، وقد تكاثرت الأدلة في الحث على حضور الجمع والجماعات والترغيب في ذلك وتحريم التخلف عنهما إلا لعذر ، هذا ما عليه أهل السنة خلافاً للمبتدعة من الرافضة وغيرهم الذين لا يرون الجهاد ولا حضور الجماعة إلا مع الإمام المعصوم ، وإمامهم هذا الذي يزعمون هو معدوم ، وهم يفتظرونه من مدة طويلة ولم يقفوا له على عين ولا أثر إن هي إلا مجرد أوهام وأمانى وعظفون كاذبه ، وإن الظن لا يفتى عن الحق شيئاً (تلك أمانيتهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : ومن ظن أن صلاته وحده أفضل من أجل خلوته أو غير ذلك فهو مخطيء ضال ، واضل منه من لم يرى الجماعة إلا خلف معصوم فعطل المساجد وعمر المشاهد ، انتهى . وصلاة الجماعة فرض عين ، وهذا هو المشهور من أحد وغيره من أئمة السلف وعلماء الحديث ، وقال بعض العلماء « إن صلاة الجماعة شرط لحديث لا صلاة لجوار المسجد إلا في المسجد واختاره الشيخ تقي الدين وابن عقيل وغيرهم ، وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله « ومن قال لا تجوز خلف من لا تعرف عقيدته وما هو عليه فهو قول لم يقله أحد من المسلمين ، فإن أهل الحديث والسنة كالشافعي وأحمد وإسحاق وغيرهم متفقون على أن صلاة الجمعة تصلى خلف البدر والفاجر ، حتى أن أكثر أهل البدع كالجهمية الذين يقولون بخلق القرآن وإن الله لا يرى في الآخرة ، ومع أن أحمد ابتلى بهم وهو أشهر الأئمة بالإمامة في السنة ومع

ويدينون بالنصيحة للأمة

هذا لم تختلف نصوصه انه تصلى الجمعة خلف الجهى والقدرى والرافضى وليس لأحد ان يدع الجمعة لبدعة في الامام ، لكن تنازعوا هل تعاد ؟ على قولين هما روايتان عن الامام احمد ، قيل تعاد خلف الفاسق ، ومذهب الشافعي وأبي حنيفة لا تعاد . اه وهذا هو الصحيح فان الصحابة كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الائمة والفجار ولا يعمدون ، كما كان عبد الله بن عمر يصل خلف الحجاج بن يوسف ، وكذلك أنس وكذلك عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم ، وغيرهم يصلون خلف الوليد بن عقبة بن ابى معيط وكان يشرب الخمر .

وأخرج الدارقطنى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً « صلوا خلف كل بر وفاجر » وقال « لم يلق مكحول أباً هريرة » وفي إسناده معاوية بن صالح متكلم فيه ، وقد احتج به مسلم في صحيحه ، وخرج الدارقطنى ايضا وابو داود عن مكحول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم برا كان أو فاجرا ، وإن عمل بالكبائر ، والجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا وإن عمل بالكبائر » انتهى .

قوله (ويدينون بالنصيحة للأمة) أى يتعمدون ، يقال دان بالاسلام ديننا بالكسر تعبد به وتدين به كذلك ، اى ان اهل السنة يدينون اى يتعمدون بالنصيحة لجميع الامة ، كما تكاثرت الاخبار فى الحث عليها والترغيب فيها ، ولأن عليها مدار الدين كما فى الصحيحين من حديث تميم الدارى ان رسول الله ﷺ قال « الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة ، قالها ثلاثاً ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولرسوله ولكتاباه ولائمة المسلمين وعامتهم » فقد حصر الدين فيها .

قال الخطابى « النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له » وقال ابن بطال « والنصيحة تسمى ديناً وإسلاماً ، والدين يقع على العمل كما يقع على القول » وقال « وهى فرض كفاية مجزئ فيه من قام به وبسقط عن الباقيين » وقال « والنصيحة

ويعتقدون معنى قوله ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه .

لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل منه وأمن على نفسه المكروه ، فان خشى على نفسه أذى فهو في سعة انتهى

وأخرج الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يمسح ويصيح فاصحأ الله ورسوله وكتابه وإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم » قال الخطابي : فمعنى النصيحة لله صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته ، والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما أمر به ونهى ، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « حق المؤمن على المؤمن ست فذكر منها وإذا استنصحتك فانصح له » وفي المسند عن حكيم بن أبي يزيد عن أبيه عن النبي ﷺ قال « إذا استنصحت أحدكم أخاه فلينصحه له » .

قوله (ويعتقدون معنى قوله ﷺ) إلخ . هذا الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري .

قوله (المؤمن للمؤمن) الحديث ، أى المؤمن الإيمان الكامل ، في هذا الحديث الحث على التضامن والتناصر والتعاون ، وقد تكررت الأحاديث بمعنى هذا الحديث وقال القاضي رحمه الله : هو تمثيل وتقريب لفهم يريد الحث على التعاون والتناصر ، فيجب امتثال ما حث عليه . وقال ابن بطال : والمعاونة في أمور الأخرى ، وكذا في الأمور المباحة من الدنيا مندوب إليها ، وقد ثبت في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »

قوله (وشبك بين أصابعه) يستفاد منه أن الذي يريد المبالغة في بيان أقواله بمثلا

وقوله ﷺ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحى والسر »

في حركاته وليكون أوقع في النفس . ذكره في الفتح .

قوله (مثل المؤمنين) هذا الحديث أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث النعمان بن بشير ، وفي رواية لمسلم « المسلمون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله ، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله ، والمراد بـ (المؤمنين) الايمان الكامل .
قوله (كمثل الجسد الواحد) أى بالنسبة إلى جميع أعضائه ، ووجه التشبيه فيه التوافق في التعب والراحة .

قوله (في توادهم) بتشديد الدال مصدر توادد أى تحابب وتراحم . أى تلاطفهم
قوله (تعاطفهم) عطف بمعنىهم على بعض .

قوله (إذا اشتكى) أى تألم عضو من أعضاء جسده (تداعى) أى دعى بعضه بعضا إلى المشاركة في الألم .

قوله (سائر) أى باقى (والحى) هى المرض المعروف (والسر) عدم النوم في الليل ، قاله في القاموس . فهذان الحديثان دلا على أن من صفات المؤمنين التعاطف فيما بينهم والتراحم ومحبة بعضهم لبعض الخير . وفي حديث أبى هريرة عن النبي (ص) قال « المؤمن مرآة المؤمن ، المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه » رواه أبو داود وخرجه الترمذى بلفظ « إن أحكم مرآة أخيه ، فمن رأى به أذى فليمطه عنه » وفيها دليل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويسوؤه ما يسوؤه ويجب له ما يجب لنفسه من الخير ، وهذا كله مما يدل على سلامة القلب من الفس والحسد والحقد ، وفيها أن من صفات المؤمنين الاجتماع والاتفاق والتعاقد ومساندة بعضهم لبعض في غير إثم ولا مكروه . قال النووي رحمه الله : هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحشهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه ، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعانى إلى الأفهام

ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء

قوله (ويأمرون بالصبر) الخ . الأمر استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء ، قال بعضهم :

أمر مع استعلاء وعكسه دعا وفي النساوي قالتماس وقما وهذه الثلاثة المذكورة في المأن من صفات المؤمنين ، وهي عنوان السعادة وعلامة الفلاح . أخرج الطبراني بسند حسن عن سنجرة مرفوعا « من أعطي فشكر وابتلى فصبر وظلم فاستغفر وظلم فنفّر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » والصبر معناه لغة الحبس . قال ابن القيم رحمه الله : هو حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي والتسخط وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ، وقد تكاثرت الأدلة في الأمر بالصبر والحث عليه ، قال تعالى (وبشر الصابرين) وقال (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقال النبي (ص) « الصبر ضياء » وقال علي رضي الله عنه « إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد » ثم رفع صوته فقال « ألا انه لا إيمان لمن لا صبر له » وقد تقدم الكلام في الصبر فلا فطيل بأعادته .

أما الرضا فهو من أجل الطاعات وأشرف منازل السائرين إلى الله سبحانه ، وهو مستحب بالإجماع ، وقال بعض العلماء بوجوبه لقوله صلى الله عليه وسلم « فمن أرضى الله فله الرضا ومن سخط فعليه السخط » والأدلة على فضله والحث عليه كثيرة جداً قال الله تعالى (وما أصاب من مصيبة إلا ياذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) وكان من دعاء النبي (ص) « وأسألك الرضا بعد القضاء » وجاء رجل إلى النبي (ص) فسأله أن يوصيه وصية جامعة موجزة ، فقال « لا تقهر الله في قضائه » وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب عن النبي (ص) قال « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا » فالرضا يربو بيته يتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له ، والرضا بتدبيره العبد واختياره له ، وقد تقدم الكلام على الرضا على قوله رضى الله عنهم ورضوا عنه ، والشكر هو فعل يذني عن تعظيم المزمع لكونه منما

ويدعون إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال

وهو شرعاً صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه لما خلق لأجله ويتملق بالقلب واللسان والجوارح كما قيل :

افادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا
والشكر من أجل الطاعات وأفضلها ومن أشرف منازل السائرين إلى الله وأرفعها
وهو مؤذن بالمزيد ، قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) قال ابن القيم رحمه الله : منزلة
الشكر أهل المنازل وهو فوق منزلة الرضا ، فالرضا مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود
الشكر بدونه وهو نصف الإيمان ، والإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر إلى أن
قال : وأهله هم القليل ، قال تعالى (وقليل من عبادى الشكور) وقال (واشكروا لى
ولا تكفرون) انتهى والتحدث بالنعمة شكر كما قال تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث
وأما حكم الشكر فواجب لما تقدم ، وهو مبنى على ثلاثة أركان : التحدث بالنعمة
ظاهراً والاعتراف بها باطناً ، وصرفها في طاعة مولها ومسديها وهو الله . ذكره
ابن القيم بتصرف .

قوله (ويدعون إلى مكارم الاخلاق) المكارم جمع مكرمة بضم الراء ، وهى من
الكرم وكل فائق في بابها يقال له كريم .

قوله (ومحاسن الاعمال) أى جميلها ، وقال الراهب الحسن عبارة عن كل مرغوب
فيه ، أى أن أهل السنة والجماعة يحمون ويرغبون في مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال
كالكرم والشجاعة والصدق والامانة ونحو ذلك لما تكاثرت به الادلة من الحث
على ذلك والترغيب فيه وان ذلك من صفات المؤمنين بل من أخص علامات الإيمان
كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً « خصلتان لا يجتمعان فى منافق
حسن سمعت وقفه فى الدين » رواه الترمذى ، قال تعالى فى نبيه (وإنك لملئ خلق عظيم)
قالت عائشة رضى الله عنها « كان خلقه القرآن ياتم بأوامره ويتزجر عن زواجره
ويرضى لرضاه وينضب لنفضيه » أى كان معممكاً بأدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل

عليه من المكارم والمحسن والألطف . قال ابن القيم رحمه الله في المدارج : وقد جمع الله له مكارم الاخلاق في قوله (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) قال جعفر بن محمد : أمر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية انتهى

وفي الصحيح أن أبا ذر رضى الله عنه قال لأخيه لما بلغه بميث النبي ﷺ « اركب إلى هذا الوادى فاسمع من قوله » فرجع فقال « رأيته يأمر بمكارم الاخلاق » وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » رواه أحمد والبخاري ، ورواه مالك في الموطأ ولفظه « قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال : بعثت لأتمم حسن الاخلاق » قال القرطبي في المفهم « الاخلاق أوصاف الانسان التي يعامل فيها غيره ، وهي محمودة ومذمومة ، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتتصرف منها ولا تنصف لها ، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الاذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج ونحو ذلك ، والمذموم ضد ذلك » انتهى . وقال الحسن « حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الاذى وطلاقة الوجه » رواه الترمذي عن عبد الله بن المبارك .

قال ابن القيم رحمه الله في المدارج « الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان : الصبر والعفة والشجاعة والعدل ، فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ والحلم والاناة والرفق وعدم الطيش والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل ، والشجاعة تحمله على عزة النفس وقوتها على إخراج المحبوب وتحمله على كظم الغيظ والحلم ، والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه بين طرفي الافراط والتفريط ، فمنشأ جميع الاخلاق الفاضلة من هذه الاربعة ، ومنشأ جميع الاخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان الجهل والظلم والشهوة والغضب » انتهى

ويعتقدون معنى قوله ﷺ أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً .

قوله (ويعتقدون معنى قوله ﷺ) الخ . هذا الحديث رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح من حديث أبي هريرة وتامه « وخياركم خياركم للنساءهم » واقتصر أبو داود على قوله « أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » وأخرجه أبو يعلى عن أنس فهذا الحديث كغيره فيه الحث على حسن الخلق وإنه من صفات المؤمنين ، فحسن الخلق هو احتياز الفضائل واجتناب الرذائل ، وقال النووي رحمه الله : حسن الخلق كلمة جامعة للأحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم . انتهى ، وتقدم كلام الحسن في حقيقة حسن الخلق .

والخلق بالضم صورة الإنسان الباطنه وبالفتح صورته الظاهرة ، وقد تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق وذم سوء الخلق ، فمن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً أنه سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال « تقوى الله وحسن الخلق » رواه جماعة منهم الترمذي وصححه ، ولأبي داود من حديث عائشة مرفوعاً إن الرجل ليلبغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إنكم لن تسموا الناس بأموالكم ولكن سموم ببسط الوجه وحسن الخلق » أخرجه أبو يعلى وصححه الحاكم .

وأخبر النبي ﷺ أن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان ، وأن صاحبه أحب الناس إلى الله وأقربهم من النبيين مجلساً ، فخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء عن النبي (ص) قال « ما من شيء يوضع في ميزان العبد أثقل من حسن الخلق ، وأن صاحب حسن الخلق ليلبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » . وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « ألا أخبركم بأحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ؟ قالوا بلى ، قال أحسنكم أخلاقاً » انتهى ، وفي الحديث المذكور فوائد ، منها مدح حسن الخلق والثناء على أهله والحث على التخلق بأحسن الأخلاق ، وفيه أن حسن الخلق من

ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتمطي من حرمك وتمفو عن ظلمك

خصال الإيمان ، وفيه دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ، وفيه تفاضل الناس في الإيمان والرد على من زعم أن الإيمان لا يتفاضل وأن الناس فيه سواء . قوله (ويندبون إلى أن تصل من قطعك) أى يدعون ويحثون ويرغبون في صلة من قطعك ، والندب لغة الدعاء والمنتدب المدعو كما قيل :

لا يسألون أخام حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا واصطلاحاً المندوب هو ما أتيب فاعله ولم يعاقب تاركه ، ويسمى المندوب منه ونطوعاً ومستحباً ونفلاً ، وقربه ومرغباً فيه وإحساناً ، أى أن أهل السنة يندبون إلى أن تصل من قطعك الخ ، لما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن أنس الجهني رضى الله عنه قال ، قال رسول الله (ص) « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتمطي من حرمك وتصفح عن شتمك »

وخرج الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله ﷺ « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة ، تصل من قطعك وتمطي من حرمك وتمفو عن ظلمك » وروى أن جبريل قال للنبي (ص) « حين نزل « خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » قال في تفسير ذلك أن تمفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتمطي من حرمك .

قوله (تمفو عن ظلمك) العفو هو الصفح والتجاوز عن الذنب ، أى تصفح همن ظلمك وتتجاوز عن ذنبه ولا تؤاخذ به بما قال منك ، فان ذلك من خصال الإيمان ، وسبب للرفعة والعزة ، كما روى ابن عمر مرفوعاً « ابتغوا الرفعة عند الله بحلم همن جهل عليك وتمطي من حرمك » أخرجه ابن عدى . وعن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله (ص) قال « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله على رهوس الخلائق حتى يخيره في أى الحور شاء » رواه أبو داود والترمذى .

قوله (وتصل من قطعك) أى تصل رحمك وإن قطعك ، كما في الصحيح « ليس

الواصل بالمكافى ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها ، وروى عبد الرزاق عن عمر موقوفا « ليس الوصل أن تصل من وصلك ذلك القصاص ولكن الوصل أن تصل من قطعك » وفى حديث أبى ذر « وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت » قوله (وتمطى من حرمك) أى منك ما هو لك ، لأن مقام الاحسان إلى المسئى ومقابلة إساءته باحسان من كمال الإيمان .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : وجاع حسن الخلق مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له ، وتمطى من حرمك من التعليم والمنفعة والمال ، وتعفو عن ظلمك فى دم أو مال أو عرض ، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب ، انتهى . وفى هذه الأحاديث الحث على العفو والصفح وأن ذلك من أفضل الأعمال وأشرف الأخلاق ، قال الله سبحانه وتعالى (والعافين عن الناس) وقال (وإذا غضبوا هم يغفرون)

وروى الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا « ان الله عفو يحب العفو » وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى (ص) قال « ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبد بعفو إلا عزاء وما تواضع أحد لله إلا رفاه » أخرجه مسلم ، وفيها الحث على الصلة للأقارب والأرحام وإن عاملوك بالقطيعة فلا تقطع عنهم الصلة مجازاة لهم للدلة الحاتة على ذلك والمصرحة بتحريم القطيعة وانها من كبائر الذنوب ، وفيها الحث على الجود والبذل والعطاء وعدم مقابلة المسئى بإساءته ، وإن هذا من أشرف أخلاق المؤمنين .

قوله (ويأمرون ببر الوالدين) أى طاعتهما والإحسان إليهما بما لا يخالف الشرع وخفض الجناح لهما والشفقة عليهما والتلطف بهما ، وذلك لعظم حقهما ، ولذلك قرن سبحانه حقه بحقهما ، قال الله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقال (أن اشكرى ولوالديك)

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال : قلت يا رسول الله « أى العمل أفضل ؟ قال الصلاة فى أول وقتها ، قال قلت : ثم أى ؟ قال الجهاد فى سبيل الله قال قلت : ثم أى ؟ قال بر الوالدين » والبر بكسر الراء هو التوسع فى فعل الخير . وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلا الجنة » . وعن أبي بكرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بأكبر الكبائر قال قلنا بلى يا رسول الله ، قال الإشرak بالله وحده وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً ثم جلس فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » رواه البخارى ومسلم .

قوله (وعقوق الوالدين) قال الملقمى : يقال عق والد عقوقاً فهو عاق إذا آذاه وعصاه وخرج عليه ، وهو ضد البر بها ، والآيات والأحاديث فى الأمر ببر الوالدين وتحريم عقوقهما كثيرة جداً .

قوله (وصلة الأرحام) أى الإحسان إلى الأقربين من ذوى النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم ورعاية أحوالهم ، وضد ذلك قطيعة الرحم ، والأرحام جمع رحم وهو من المرأة الفرج . قال الراغب : ومنه استمير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحد وصلة الأرحام واجبه وقطيعتها حرام والأدلة من الكتاب والسنة تشهد لذلك ، قال تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وفى هذه الآية وأشباهاها أعظم وعيد فى قطيعة الرحم ، وفيها أصرح دلالة على حرمة قطيعة الرحم وأنها كبيرة من الكبائر .

وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم عن أبيه مرفوعاً « لا يدخل الجنة قاطع » يعنى قاطع رحم ، انتهى ، والقطيعة المجر والصد ، والرحم الأقارب كما تقدم

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال ، قال رسول الله ﷺ « من أحب أن ييسر له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه » ، يقال وصل رحمه يصلها وصلًا كأنه بالإحسان إليهم وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة . قال في فتح الباري قال القرطبي « الرحم التي توصل خاصة وعامة ، فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتودد والتناصح والعدل والانصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة ، وأما الرحم الخاصة فبميزيد النفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم ، وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك ، انتهى

قوله (وحسن الجوار) بإيصال ضروب الاحسان إليهم بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه ومماوفته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك ، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه ، وقد تكاثرت الأدلة في تعظيم حق الجار ، وأن حفظ الجار من كمال الإيمان ومن أعظم مكارم الاخلاق ، قال تعالى (والجار ذي القربى والجار الجنب)

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله يقول « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . وأخرج الترمذى بسند صحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ « خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » وفي صحيح البخارى عن أبي شريح عن النبي ﷺ قال « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله ؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه » إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على عظم حق الجار والحث على إكرامه واحتمال أذاه ، وأن ذلك من صفات المؤمنين ، وفيه النهي عن أذى الجار والدلالة على تحريره وأنه من كبائر الذنوب ، فإن الأذى بغير حق حرام لكل أحد ولكن في حق الجار أشد تحريمًا

كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أنه سأل النبي ﷺ « أى الذنب أعظم ؟ قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قال قلت : ثم أى ؟ قال أن تفعل ولدك مخافة أن يطعم معك ، قال قلت ثم أى ؟ قال أن تزاني حليلة جارك ، والجار له مراتب بعضها أعلى من بعض ، فيعطى كل بحسب حاله ، كما وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث المرفوع الذى أخرجه الطبرانى من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعاً « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو المشرک له حق الجوار ، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وجار له ثلاثة حقوق وهو المسلم القريب له حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم »

وقال النووى وغيره الجار يقع على أربعة : الساكن معك فى البيت قال الشاعر :

أجارتنا فى البيت إنك طالق

ويقع على من لاصق بيتك ، ويقع على أربعين داراً من كل جانب ، ويقع على الساكن فى البلد ، قال الله تعالى (ولا يجاورونك فيها إلا قليلاً)

قوله (والإحسان إلى اليتامى) اليتيم لغة المنفرد وشرعاً من مات أبوه قبل بلوغه والإحسان إلى اليتامى رعاية أحوالهم والتلطف بهم وإكرامهم والشفقة عليهم ، وفيه فضل عظيم ، كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وقال بأصبعيه السبابة والوسطى « وفى حديث آخر « من مسح على رأس یتيم ولم يمسح إلا الله كان له بكل شعرة تمر عليها يده عشر حسنات ، ومن أحسن فى یتيم كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين ، وقرن بين أصبعيه » وروى أنه ﷺ قال « إذا أردت أن يلين قلبك فاطعم المسكين وامسح على رأس الیتيم »

قوله (والمساكين) جمع مسكين وهو الذى يركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك

وابن السبيل والرفق بالملوك

وإذا أطلق المسكين دخل فيه الفقير وبالعكس ، وإذا ذكرنا ما فسر كل واحد منها بتفسير كالا سلام والايمان إذا اجتماعا افترا وإذا افترا اجتماعا ، والفقير في الاصطلاح من وجد أقل من نصف كفايته أو لم يجد شيئاً أصلاً ، والمسكين من وجد نصف كفايته فأكثر ، فالفقير أشد حاجة من المسكين عندنا خلافاً لأبي حنيفة ومالك ، والمراد بالاحسان إلى المساكين رعاية أحوالهم وتقريبهم والعطف بهم وإكرامهم ، قال تعالى (وابوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين) وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، وأحسبه قال - يشك التقني - كالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر) رواه البخاري ومسلم .

قوله (وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع به ، والسبيل الطريق ، ومعنى بذلك لملازمته السفر ، كما يقال ابن الليل لمن يكثر الخروج في الليل ، وقال بعض العلماء : المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن ضيافته . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، وفيهما عن أبي شريح العدوي قال : سمعت رسول الله ﷺ أذناي وأبصرت هينأى حين تكلم النبي ﷺ فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا وما جائزته ؟ قال يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام وما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت قوله (والرفق بالملوك) الرفق بكسر الراء وسكون الفاء وهو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل ، وهو ضد العنف ، وقد تكاثرت الأدلة في الحث على ذلك كما أوصى سبحانه بذلك ، قال تعالى (وما ملكت أيمانكم) وكذلك أوصى النبي ﷺ

بهم كثيراً وأمر بالإحسان إليهم، وروى أن آخر ما أوصى به عند موته الصلاة وما ملكت أيمانكم، فروى الامام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن أنس، ومالك وأحمد وابن ماجه عن أم سلمة زوج النبي، والطبراني عن ابن عمر بأسانيد صحيحة مرفوعة أن النبي ﷺ قال: الصلاة وما ملكت أيمانكم، فجعل يرددّها في مرض موته حتى ما يفيض بها لسانه، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة سيء الملكة، أخرجه الترمذي.

قوله (وينهون عن الفخر) أي المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك، سواء كان فيه أو في آباءه، ذكره في المصباح، قال تعالى (إن الله لا يحب كل مختال فخور) المختال هو المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس والفخور هو الذي يفخر على الناس ويمدد مناقبه تكبراً وتطاولاً على من دونه، وينظر إلى غيره نظر ازدراء واحتقار، قال تعالى (ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)

وروى مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد.

قال الشيخ تقي الدين في اقتضاء الصراط المستقيم على هذا الحديث: فنهى سبحانه عن نوهي الاستطالة على الخلق وهو الفخر والبغي، لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر وإن كان بغير حق فقد بغى. قال ابن القيم رحمه الله في المدارج: والافتخار نوعان محمود ومذموم، فالمدحوم إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفعاً عليهم، والمحمود إظهار الأحوال السنية والمقامات الرفيعة لا على وجه الفخر بل على وجه التمعظيم للنعمة والفرح بها وذكرها والتحدث بها والترغيب فيها، وذلك من المقاصد في إظهارها، كما قال صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وقال سعد: أنا أول من

والخيلاء والبنى والخلق بحق أو بفبر حق

رمى بسهم في سبيل الله . انتهى . قوله (والخيلاء) قال تعالى (ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور) قوله (ولا تصغر خدك) أى تميله وتعرض عن الناس تكبراً ، وقوله (مختال فخور) أى ذى خيلاء يفخر على الناس ولا يتواضع لهم .

قال المنذرى : الخيلاء بضم الخاء المعجمة وكسر ها الكبر والمعجب ، والخيلة بفتح الميم وكسر المعجمة من الاختيال ، وهو الكبر واستحقار الناس ، انتهى . وعن ابن عمر رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء ، متفق عليه ، وفي البخارى معلقا عن ابن عباس رضى الله عنهما : كل ما شئت واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف ومخيلة . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال : لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً ، متفق عليه ، وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما رجل يمشى في حلة تمجبه نفسه مرجل جهته يفتال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة .

قوله (والبنى) وهو العدوان على الناس ، قال العلقمى أصل البنى مجاوزة الحد ، قال الله تعالى (إنما بغيكم على أنفسكم) أى أن إثم البنى وعقوبة البنى على الباغى إما عاجلا وإما آجلا ، وفي هذه الآية شؤم البنى وسوء مصرع الباغى ، قال تعالى (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير حق) والفخر والخيلاء كلها خصال مذمومة وردت الأحاديث بالنهى عنها والتحذير منها ، ووردت أحاديث في سرعة عقوبة الباغى ، فعن أبى بكر رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « ما من ذنب أجدر أو أحق من أن يجعل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر الله له في الآخرة من البنى وقطيعة الرحم » رواه الترمذى والحاكم وصحاحه .

قوله (والاستطالة على الخلق بحق وبغير حق) أى الترفع عليهم واحتقارهم والوقعة فيهم ، قال العلقمى يقال طال عليه واستطال وتناول إذا هلاه وترفع عليه .

ويأمرهم بما على الأخلاق وينهون عن سفافها . وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فانما هم فيه متبعون للكتاب والسنة

قوله (ويأمرهم بمكارم الأخلاق وينهون عن سفافها) أى يأمر أهل السنة بما على الأخلاق لأنها من أخلاق المؤمنين بل من أخص علامات الإيمان كما تقدم حديث « أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » الحديث ، أى يأمرهم بأعلى مراتب الخلق الحسن كالسخاء والصدق والامانة والشجاعة والحلم ونحو ذلك مشتق من على فى المكان يعلى من باب قعد علاء بالفتح والمد وينهون عن سفافها أى رديثها وحقيقتها كالبلخل والجبن والكذب والفتنة والفتنة ونحو ذلك ، كما روى الخلخل عن سهل بن سعد مرفوعاً « إن الله كريم يحب الكريم ومعالى الأخلاق ويكره سفافها » وروى أيضاً عن جابر مرفوعاً « إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفافها » وأخرج البيهقي فى شعب الإيمان عن طلحة بن عبيد الله مرفوعاً « إن الله جواد يحب الجود ويحب معالى الأخلاق ويكره سفافها » وأخرجه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس قال فى النهاية « السفاف الأمر الحقير والردىء من كل شئ وهو ضد المعالى والمكارم وأصله ما يظهر من غبار الدقيق إذا نخل والتراب إذا أثير » وفى الحديث « إن الله يحب معالى الأمور ويبغض سفافها » انتهى

قوله (وكل ما يقولونه ويفعلونه) الخ . أى كل ما يقولونه أهل السنة ويفعلونه ويأمرهم به وينهون عنه مما تقدم ذكره فى هذه الرسالة وغيره ، فانما هم فيه متبعون للكتاب والسنة ، فهم متبعون لا مبتدعون ، مقعدون لا مبدعون ، فأقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم كلها مقيمة بالكتاب والسنة ولذا سموا أهل الكتاب والسنة لاتباعهم للكتاب والسنة وتقييم بما جاء فيهما وتحكيمهما فى الكثير والقليل ونبذهم كل ما خالفهما ، فهم يزنون أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم بالكتاب والسنة إذ لا نجاة إلا باتباعهما ولا طريق موصل إلى السعادة فى الدنيا والآخرة إلا بسلك الصراط المستقيم الذى أوصانا الله بسلكه ، وهو ما كان عليه النبي (ص) وأصحابه ، قال الله تعالى

وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ

(وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) فأهل السنة يجعلون كلام الله وكلام رسوله هو الإمام الذي يجب اتباعه والرجوع إليه عند التنازع ، قال الله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) الآية ، فسكنا يجب إفراد الله سبحانه بالعبادة يجب توحيد الرسول ﷺ بالتحكيم ، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما ، توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول ، فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ، فمن أعرض عن الكتاب والسنة ورغب عن فحكيهما أو زعم حصول السعادة والفلاح بالاستغناء عنها والتحاكم إلى غيرها كائناً من كان فقد نبذ الإسلام وراء ظهره ، قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال النووي حديث حسن صحيح روينا في كتاب الحجة بإسناد صحيح ، وتقدم ذكر معنى الاتباع وهو الاقتفاء والاستئذان ، وذكر ابن القيم رحمه الله الفرق بين الاتباع والتقليد ، وذكر الأدلة في ذم التقليد ، وذكر الإجماع الذي ذكره ابن عبد البر أن المقلد ليس بمدوداً من أهل العلم ، ثم قال بعد كلام : فإن الاتباع سلوك طريق المتبع والإتيان بمثل ما أتى به ، وذكر كلام ابن خريز أن التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله ، وذلك ممنوع في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة ، وذكر في الكوكب المنير شرح مختصر التحرير الفرق بين التأمي والمواقفة ، فقال التأمي برسول الله ﷺ فعلك كما فعل لأجل أنه فعل ، وأما التأمي في الترك فهو أن تترك ما تركه لأجل أنه تركه ، وأما التأمي في القول فهو امتثاله على الوجه الذي اقتضاه وإلا أي وإن لم يكن كذلك في الكل فهو موافقة لا متابعة ، لأن الموافقة المشاركة في الأمر وإن لم يكن من أجله فالمواقفة أعم من التأمي ، لأن الموافقة قد تكون من غير تأمي ، انتهى .

قوله (وطريقتهم هي دين الإسلام) الخ . أي سبيلهم ومذهبهم وصراطهم المستقيم

لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة ، وفي حديث عنه أنه قال : هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي .

الذي لا طريق إلى الله سبحانه إلا هو ولا نجاة إلا بسلوكة ، قال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) هو دين الاسلام الذي بعث الله به محمدا وهو دينه سبحانه الذي لا يقبل ديناً سواه ، قال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) وقال (ومن يدع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

قوله (لكن لما أخبر النبي ﷺ) الخ هذا الافتراق مشهور عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ومعاوية وعمر بن عوف وغيرهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه مختصراً وقال الترمذي حسن صحيح . وعن معاوية رضي الله عنه أنه قام فقال : إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال « ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة في الجنة وهي الجماعة » رواه أبو داود ، وفي رواية الترمذي « كلهم في النار إلا واحدة » قالوا من هي يا رسول الله قال إمن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » وقال هذا حديث غريب مفسر لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، والآمه هي الجماعة ، قال الاخفش هي في اللفظ واحد وفي المعنى جمع ، والمراد هنا أمة الإجابة لا الدعوة .

قوله (ستفترق أمي) الخ . أي أمة الإجابة ، وقد وقع هذا الافتراق كما أخبر النبي ﷺ فافترقت هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كل فرقة تضلل الأخرى ، وأصول هذه الفرق قيل خمس وقيل ست وقيل غير ذلك ، وهم المعتزلة وهم عشرون فرقة ، الثانية الشيعة وهي اثنتان وعشرون فرقة ، الثالثة الخوارج افترقوا إلى سبع

فرق ، الرابعة المرجئة وهي خمس فرق ، الخامسة الجبرية الذين يقولون إنا مجبورون على أعمالنا ويسندون الاحمال إلى الله سبحانه وتعالى ، السادسة المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه ، وهذه الاحاديث فيها اخبار منه ﷺ بما يقع في أمته من الافتراق في أصول الدين وفروعه ، فوقع كما أخبر ﷺ ، وهذا علم من أعلام نبوته ، وفيه ذم التفرق ، فان الخبر خرج مخرج الذم للاختلاف ، والادلة على ذمه من الكتاب والسنة كثيرة ، كما قال تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات) وقوله (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) الآية ، وفيه أن عامة المختلفين هالكون إلا فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : وهذا الحديث وما قبله يفيد أن الفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في هذه الامة وتحذير أمته من الخلاف ، إلى أن قال : فأفاد من ذلك شيئين ، أحدهما تحريم الاختلاف في مثل هذا ، الثاني الاعتبار بمن كان قبلنا والحذر من مشابهتهم ، انتهى

قال الخطابي في معالم السنن : فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين إذ جعلهم النبي (ص) كلهم من أمته ، وفيه أن المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ ، انتهى . قال الشيخ تقي الدين رحمه الله بعد كلام : والنبي (ص) لم يخرج الثنتين والسبعين فرقة من الاسلام بل جعلهم من أمته ، ولم يقل إنهم يخلدون في النار فن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لم بإحسان ، انتهى ، وفيها الرد على من زعم أن الفرقة الناجية هم الاشعرية والماتريدية وأهل الحديث ، فان الحديث ليس فيه فرقة ناجية إلا واحدة ، فهو يناقض التعدد ، وفيه وصف الفرقة الناجية بأنها المتبعة للكتاب والسنة ، وانها من كان على مثل ما عليه النبي وأصحابه ، وفي رواية فسر الفرقة الناجية بأنهم الجماعة ، وهم المجتمعون الذين ما فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، وبهذا يعلم انه وصف الفرقة الناجية باتباع سنته التي كان عليها هو وأصحابه وبلزوم جماعة المسلمين ، فن عدى هؤلاء

صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة

فليس من الفرقة الناجية . قوله (بالإسلام) أى الاستسلام لله وحده بطاعته والالتقياد لأمره ، والمراد هنا الاسلام والايمان ، لأنه كما تقدم إذا أطلق أحدها دخل فيه الآخر ، والمحض هو الخالص الذى لم يخالطه غيره ، والخالص هو السالم ، يقال خالص الشيء صفاء وبزّه عن غيره ، والشوائب هى الأقدار والادناس ، وأصل الشوب الخلط ، لما ذكر المصنف رحمه الله ما تقدم من الأحاديث التى فيها ذكر افتراق هذه الأمة ، وفيها ذكر الفرقة الناجية « وإنهم الجماعة ومن كان على مثل ما كان عليه الرسول وأصحابه فانضح مما تقدم أن أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بالاسلام المحض الخالص عن الشوائب البدعية والطرق المخالفة لما كان عليه ﷺ ، فهم الممتصون بالإسلام المتمسكون به بالأقوال والأعمال والاعتقادات الذين لم يشوبوه بالبدع والمخرافات فهو لاهم أهل السنة والجماعة الذين انطبقت عليهم الصفات المذكورة فى الأحاديث المتقدمة ، وأما من عدام من سائر الفرق فقد حكموا المعقول وخالفوا المنقول عن الرسول ﷺ فسطوا على النصوص بتخطئة الروايات وتكذيبهم ، فإن لم يجدوا سبيلا إلى ذلك سطوا على معانيها بالتحريف والتأويل ، وأصل فساد هذا العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأى على الوحي والهوى على النقل ، وما استحكم هذان الاصلان الفاسدان فى قلب إلا استحكم هلاكه ولا فى أمة إلا مرج أمرها واخعل نظامها وانعقد سبب هلاكها ، وبسبب ذلك انفتح باب الجدل واتسعت شقة الخلاف ، فكل فريق يرى أنه على الحق وأن غيره ضال ، فهم كما قال الله تعالى (كل حزب بما لديهم فرحون) قال الشاعر :

وكلا يدعى وصلا لايلى وليلى لا تقر لهم بذاكا
إذا اشتبكت دموع فى خدود تبين من بكى ممن تباكى
وكل ما وقع هو بسبب إعراضهم عن الكتاب والسنة وما كان عليه السلف
الصالح ، فلا نجاة إلا باتباع ذلك كما قال بعضهم :

وفيهم الصديقون والشهداء ومنهم أعلام الهدى

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره إما عن الله وإما عن سيد البشر
وقال آخر :

تغير الامور السالفات على الهدى وشر الامور المحدثات البدائع
ولا شك أن من لم يمتصم بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح فآله
إلى الحيرة والاضطراب وعدم الوصول إلى نتيجة كما قال الرازي :

نهاية إقدام العقول عقل وأكثر سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال
وقال الشهرستاني :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعا سن قادم
إذا عرفت ما وصل إليه هؤلاء مع ما لديهم من الذكاء والعلم عرفت أن النجاة
والسعادة هو بالاعتصام بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ، قال تعالى
(فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)

قال ابن عباس رضى الله عنه : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية

قوله (وفيهم الصديقون والشهداء) الخ . الصديقون الذين صدقوا أقوالهم بأفعالهم
المبالغون في الصدق والتصديق ، قال في المختار : الصديق بوزن السكيت : الدائم
التصديق وهو أيضاً الذى يصدق قوله بالعمل ، انتهى ، وقد تقدم الكلام على هذا
قوله (أعلام) جمع علم بفتحين العلامة وهو ما يهتدى به إلى الطريق من جبل
أو غيره على حد قول الخنساء في أخيها صخر :

وان صخرًا لياتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
ومضى العالم علمًا لأنه يهتدى الناس بعلمه كما يقال : فلان جبل في العلم، والهدى وهو
الدلالة والإرشاد، والهادى هو الدال والمرشد، فالعلماء هم الهداة، أى المرشدون إلى
طريق الخير، هداية دلالة وإرشاد وتوضيح وبيان، وأما الهداية المذكورة في قوله
سبحانه (إنك لا تهدى من أحببت) فالمراد بها هداية التوفيق والإلهام، فالرسل
وأتباعهم هم الأدلة حقًا، والله هو الموفق الملمم الخالق لاهدى في القلوب .

قوله (مصابيح) جمع مصباح وهو السراج، والدجى الظلمة، أى يستضاء بهم في
ظلمات الجهل، كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به فيه، أى من أهل السنة
والجماعة أئمة الإسلام وهداة الآفام الدالون للأمة على نهج الرسول والكاشفون لهم
عن معانى الكتاب والسنة والمستضاء بهم في ظلمات الجهل وسواد الشرك والانحرافات
والوثنية، والذابون عن الشريعة المدافعون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وتأويل الظالمين، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا .

وعن أنس صرفوطا : اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة، أخرجه
في مسند الفردوس بسند ضعيف . وفي مسند أحمد رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال
إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا
انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة .

قوله (أولو المناقب الماثورة والفضائل المذكورة) أى أصحاب المناقب، وهى جمع
منقبة ضد المثلبة . قال فى القاموس : المنقبة المفعرة، والمأثورة أى المذكورة، ومنه
أثر الحديث، أى نقله عن غيره، والفضائل جمع فضيلة، وهى ضد النقيصة، والفضل
الخير المذكورة، أى الذائمة الصيت المبررة على الألسن، والذكر هو الصيت
والشرف، قال تعالى (وانه لذكر لك ولقومك) وهذا الذكر عمر ثان وحياة
أخرى، وذلك أحق ما تنافس به المتنافسون ورغب به الراغبون، ومن تأمل أحوال

أئمة الاسلام كيف تم تحت التراب وهم في العالمين كأنهم أحياء بينهم لم يفقدوا منهم إلا صورهم ، وإلا فذكرهم والثناء عليهم غير منقطع ، علم أن هذه الحياة حقاً كما قال المتنبي : ذكر الغنى همزه الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش اشغال وقال ابن دريد :

وإنما المرء حديث بعده فسكن حديثاً حسناً لمن وصى وقال آخر :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور وأرواحهم في وحشة من جسامهم وليس لهم حق الفشور نشور وقال آخر :

أخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم وذو الجمل ميت وهو يمشى على الثرى يعد من الأحياء وهو عديم وفي حديث على رضي الله عنه أنه قال : مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة

قوله (وفيهم الابدال) أى في أهل السنة والجماعة الابدال ، قال في النهاية « هم الاولياء والعباد ، مموا بذلك لانهم كل ما مات منهم واحد أبدل بآخر » انتهى . قال في الآداب الشرعية « ونص أحمد رحمه الله على أن الله أبدالا في الارض ، قيل من هم ؟ قال إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أعرف لله أبدالا ، وقال أيضا عنهم « إن لم يكونوا هؤلاء فلا أدري من الناس » انتهى .

وقد ورد في الابدال عدة أحاديث وكلها متكلم فيها ، وصنف السيوطي مصنفاً في الابدال وذكر الاحاديث الواردة فيهم . وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى « كل حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة الاولياء والابدال والنقباء والنجباء والاولاد والاقطاب ونحو ذلك فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق

وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم

السلف بشيء من هذه الالفاظ إلا بلفظ الابدال . روى فيه حديث انهم أربعون وانهم في الشام ، وهو في المسند من حديث علي ، وهو حديث منقطع ليس بثابت انتهى ، إذا عرفت ما تقدم فما يزعمه المخرفون من أن مدد الخلائق ونصرهم ورزقهم يكون بواسطة هؤلاء لا شك في بطلانه ، وانه ليس من دين المسلمين ، بل من دين المشركين ، وقد ذكر الشيخ الاجماع على أن من جعل بينه وبين الله واسطة يدعو ويتوكل عليه انه كافر ، قال الله تعالى حاكماً عن المشركين انهم يقولون « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وقال عنهم انهم يقولون « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قال ابن القيم في النونية :

والشرك فهو توسل مقصوده الزلفى إلى الرب العظيم الشأن وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله بعد كلام طويل « والذين تكلموا باسم البديل أفردوه بمعاني ، منها انهم كل ما مات منهم رجل أبدل بآخر ، ومنها انهم أبدلوا السيئات بأخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بالحسنات ، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا أكثر ولا تحصر بأهل بقعة من الارض ، إلى أن قال ، فالفرض ان هذه الاسماء تارة تفسر بمعاني باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف ، مثل تفسير بعضهم بأن الفوت هو الذى يبعث الله به أهل الارض من رزقهم ونصرهم ، فان هذا نظير ما تعتقده النصارى في الباب وهو معدوم المين والاثر وتشبيهه بحال المنتظر ، وكذلك من فسر الاربعين الابدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل بأسباب من أوكدها دعاء المسلمين والمؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم ، ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل وقد يكون للنصر والرزق أسباب أخر ، انتهى بتلخيص .

قوله (وفيهم أئمة الدين) الخ . أى فى أهل السنة والجماعة أئمة الدين ، أى المقتدى بهم فيه كالامام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وسفيان الثوري وغيرهم

كالشيخ تقي الدين وابن القيم وكإمام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من أئمة الهدى الذين اشتهرت إمامتهم وأجمع المسلمون على هدايتهم ودرأيتهم ، فلا يقبل فيهم قول جرح ولا طعن طاعن ، إذ من ظهرت عدالته واشتهرت إمامته فلا يلتفت فيه إلى قول قائل .

وقد روى عن النبي ﷺ بأنه قال : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين . قال ابن القيم رحمه الله « وهذا يتضمن تعديله ﷺ لحلة العلم الذي بعث به ، فلماذا اشتهر عند الامة عدالة نقلته اشتهاراً لا يقبل شكاً ولا امتراءاً ، ولا ريب أن من عدله الرسول ﷺ لا يسمع فيه جرح جرح ، فلماذا لا يقبل قدح بعضهم في بعض ، وهذا بخلاف من اشتهر عند الامة جرحه والقدح فيه كأئمة البدع ومن جرى مجراه من المتهمين فانهم ليسوا عند الامة من حملة العلم ، انتهى بتصرف ، وقد اشتهر عن هؤلاء الأئمة النهي عن التقليد والحث على اتباع الكتاب والسنة كما روى عن الإمام أحمد أنه قال « عجبت لقوم هرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان ، والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أندرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد قوله أو بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك » . وقال مالك رحمه الله « كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر » وقال الشافعي رحمه الله « أجمع العلماء على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد » إلى غير ذلك من كلام الأئمة في الحث على الاتباع وذم التقليد ، قال الشيخ تقي الدين رحمه الله قد اتفق الأئمة اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول وعلى أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله (ص) وإذا وجد لواحد منهم قول قد جاء الحديث الصحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه ، وجميع الاعذار ثلاثة أصناف : أحدها عدم اعتقاد أن الرسول (ص) قاله ، والثاني عدم اعتقاده إرادة

وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة ، فنسأل الله

تلك المسألة بذلك القول ، الثالث اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ ، انتهى من كلام رفع الملام عن الأئمة الأعلام .

قوله (المنصورة) أى بالحجة والبيان أو بالسيف والسنان ، فعلى الأول هم أهل العلم وبه قال البخارى وغيره وقال ابن القيم هم أهل العلم والمعرفة بما بعث الله به رسوله قوله (الذين قال فيهم النبي ﷺ) الحديث رواه مسلم من حديث جابر بن سلمه وجابر بن عبد الله وثوبان ، وأخرجاه فى الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه ومعاوية بن أبى سفيان .

قوله (ظاهرين) أى غالبين ، والظهور الغلبة . وقوله (حتى تقوم الساعة) أى ساعة موتهم بهبوب الريح التى تقبض روح كل مؤمن ، وهى الساعة فى حق المؤمنين وإلا فالساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ، وقد تقدم ذلك ، وفى هذا الحديث فوائد منها أن فيه علماً من أعلام نبوته ﷺ وممجة ظاهرة للنبي ، فإن هذا الوصف مازال بحمد الله من زمن النبي ﷺ إلى الآن ولا يزال ، وفيه دليل لكون الإجماع حجة وقال القرطبي : وهو أفصح ما استدلل به من الحديث ، أما حديث لا تجتمع أمتي على ضلالة فضعيف ، وفيه الآية العظيمة إنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وفيها البشارة أن الحق لا يزول بالكلية ، قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتاب التوحيد ، واحتج به أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع وأن هذه الطائفة موجودة ، واستدل به أيضاً على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ولا ترد جميعها بل لا بد أن يبقى الله من المؤمنين من هو ظاهر إلى قيام الساعة ، فأذا مات كل مؤمن فقد جاءت الساعة قوله (فنسأل الله) أى نطلبه ونفرد به بالمسألة سبحانه ، قال تعالى (واسألوا الله من فضله) وفى حديث ابن عباس « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « من لم يسأل الله ينضب عليه »

أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه

رواه الترمذى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً « سلوا الله من فضله فان الله
يحب أن يسأل » رواه الترمذى ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى النهى عن مسألة
المخلوقين ، وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً ، منهم
أبو بكر وأبو ذر وثوبان ، وكان أحدهم يسقط سوطه فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه .
قوله (أن يجعلنا منهم) أى من الفرقة الناجية المتمسكة بما كان عليه الرسول
ﷺ وأصحابه ، وهى الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة .

قوله (أن لا يزيغ قلوبنا) أى يميلها عن الحق والهدى (بعد إذ هدانا) أى وقفنا
وألمنا ، فانه سبحانه الهادى (من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له)
وقد ورد أن النبي (ص) كان أكثر يمينه لا ومقلب القلوب ، وكان صلى الله عليه
يقول فى دعائه « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » فقيل يابى الله آمنا بك وبما
جئت به فهل تخاف علينا ، فقال « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن
يقبلها كيف شاء » خرجه أحمد والترمذى من حديث أنس . وورد أن قلب ابن آدم
كريشة ملقاة فى فلاة تهبها الرياح ولذا قيل إن القلب مى قلباً لتقلبه كما قال بعضهم :
ما مى القلب إلا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب وتحويل
وقال آخر : وما مى الانسان إلا لنفسه وما مى القلب إلا أنه يتقلب
قوله (وأن يهب لنا) أى يعطينا . قوله (من لدنه) أى من عنده . قوله (الوهاب)
أى كثير الهبات والعطايا فلا خير إلا خيره ولا إله غيره .

قد تم ما أردنا إirاده فى هذه المجالة ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد
المرسلين وآله وصحبه أجمعين ، وكان الفراغ من تعليقه على بد جامعه الفقير إلى الله
عبد العزيز بن ناصر بن عبد الله بن عبد العزيز الرشيد سنة ١٣٧٧ فى أول من ذى الحجة
والعصمة لله وليكتابه والمائل من اغتفر قليل خطأ المرء فى كثير صوابه

الفهرس

- ٤ تفسير الحمد والمدح والفرق بينهما ، وهل لفظ الجلالة هو الاسم الأعظم
- ٥ عدد الأنبياء وعدد الرسل وعدد أولو العزم منهم
- ٧ لا إله إلا الله : معناها ومكانها من الدين ، وخطأ الأشاهرة في تفسيرها
- ١٠ أنواع التوحيد الثلاثة وأقسام كل نوع
- ١٣ تعريف الفرقة الناجية وانها لا تزال إلى يوم القيامة وأوصافها
- ١٧ تفسير الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ومستلزمات هذا الإيمان
- ١٩ إثبات صفات الله بلا تعطيل ولا تمثيل ، وبيان أقسامها
- ٢٢ تحريف الصفات : أنواعه
- ٢٤ جواب ما لك حينما سئل عن (الرحمن على العرش استوى) وتوضيحه
- ٢٦ الكلام على آية (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) وفيها فوائد
- ٢٩ تفسير الإلحاد في الصفات وأنواعه
- ٣٣ التوحيد هو أعظم ما جاء به جميع الرسل وبيان ما هو التوحيد
- ٣٧ الجمع بين النفي والإثبات في الصفات ، والقول بالاجمال في الأول والتفصيل في الثاني
- ٤٣ سورة الاخلاص تضمنت صفات الله ، وهي تمدل ثلث القرآن ، وتفسيرها
- ٤٧ أعظم آية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) تفسيرها وإثباتها للصفات
- ٥٤ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) تفسيرها وإثباتها للصفات
- ٦٠ الرد على القدرية الذين ينكرون دخول أفعال الخلق تحت القدرة
- ٦٥ كفر من زعم انه يسمعه الخروج على شريعة محمد كما وسع الخضر مع موسى
- ٦٦ أقسام الإرادة الإلهية إلى كونية ودينية والمشيئة والآيات في ذلك
- ٧٢ إثبات صفة الحب له عز وجل وبيان من يحب وما يجب
- ٧٥ الأصول الثلاثة التي تنبئ علمها العبادة : الخوف والرجاء والمحبة
- ٧٩ كتب ربكم على نفسه الرحمة ، وتفصيل ذلك
- ٨١ إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى وتفسير الرضا من الله وعن الله
- ٨٣ الناس في دخول النار بحسب المعاصي على ثلاثة أقسام

- ٨٨ (وجاء ربك) الرد على من زعم انه من المجاز
- ٩١ إثبات الوجه لله حقيقة والرد على الجهمية وأشباههم
- ٩٢ إثبات اليمين لله والكلام على (ولتصنع على عيني) وإثبات السمع
- ١٠٠ معية الله خاصة وعامة ومعنى كل منها وتفسير (ألم يعلم بأن الله يرى)
- ١٠٣ تفسير (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)
- ١٠٩ تعريف العبادة شرعاً وشروطها التي لا تصح إلا بها
- ١١١ التحذير من اتخاذ الأنداد وأنواع الأنداد
- ١١٩ استدلال الجهمية بآية على خلق القرآن وبيان فساد هذا الاستدلال
- ١٢١ دلائل قرآنية وعقلية على وحدانية الله وتفرد به بالخلق والتصرف
- ١٢٥ النهي عن الفواحش وأكبرها الشرك ، وأقسام الشرك
- ١٢٨ استعواء الله على عرشه كما يليق بجلاله والرد على المؤولة
- ١٣٤ هلو الله على خلقه وأنه بائن وأنه غير المخلوقات
- ١٤١ تفسير ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) وان ذلك بالعلم
- ١٤٤ إثبات الكلام لله وتفسير (وكلم الله موسى تكليماً)
- ١٤٩ القرآن هو عين كلام الله والرد على من قال انه مخلوق أو قديم
- ١٥٦ المؤمن يرى ربه في الآخرة والأدلة على ذلك
- ١٦٠ السنة تفسر القرآن وتبينه وهي مع القرآن على ثلاثة أوجه
- ١٦٥ حديث نزوله سبحانه كل ليلة والرد على انه في كل مكان
- ١٦٩ حديث يضحك الله إلى رجلين — عجب ربنا من قنوط عباده
- ١٧١ حديث حتى يضع فيها رب العزة قدمه — وحديث فينادى بصوت
- ١٧٩ أحاديث كونه تعالى في السماء
- ١٨٨ أحاديث في رؤية المؤمن ربه يوم القيامة
- ١٩٢ السلف هم الوسط بين الفرق كما أن أمة الاسلام هي الوسط بين الأمم
- ٢٠٦ كلام في الايمان بالعلو وتوضيحه وضرب الأمثال له

- ٢١٢ كونه تعالى في السماء ليس معناه انها محويه أو منحصره
- ٢١٥ كونه تعالى قريب لا ينافي علوه على خلقه وأنواع القرب
- ٢١٧ القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأقوال الأئمة في ذلك
- ٢٣٠ رؤية المؤمن لربه يوم القيامة ومعنى (لا تدركه الأبصار)
- ٢٣٢ الإيمان بفتنة القبر ، وعذابه ونعيمه
- ٢٤١ أحوال القيامة والميزان
- ٢٤٦ ما يعامل به المؤمن والكافر عند الحساب
- ٢٤٨ حوض نبينا ﷺ والصراط وأحوال الناس عليه
- ٢٥١ القصاص يوم القيامة من المؤمنين بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم
- ٢٥٢ نفينا أول من يستفتح باب الجنة وأمه أول الأمم دخولا
- ٢٥٣ شفاعات نبينا ﷺ
- ٢٥٦ خروج البعض من النار بفضل الله وأنه تعالى يخلق للجنة خلقاً
- ٢٥٨ الجنة والنار عرضهما على الميت وانهما موجودتان
- ٢٦٣ إيمان الفرقة الناجية بالقدر خيره وشره وتفصيل في ذلك
- ٢٧١ تفصيل : لا يكون في ملكه مالا يريد
- ٢٧٥ العباد قاهلون حقيقة والله خالق أفعالهم
- ٢٧٩ من أصول أهل السنة ان الدين والايمان قول وعمل ويزيد وينقص
- ٢٨٢ أهل السنة لا يكفرون أهل المعاصي والكبائر
- ٢٩١ من أصول أهل السنة سلامة ألسنتهم وقلوبهم لأصحاب رسول الله
- ٢٩٦ حكم من سب أحد الصحابة
- ٢٩٧ مراتب الصحابة وفضل السابق منهم على اللاحق
- ٢٩٩ تقديم المهاجرين على الأنصار وفضل أهل بدر
- ٣٠١ لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ونشهد بالجنة للعشرة
- ٣٠٤ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي أفضل هذه الأمة

- ٣١٠ أهل السنة يحبون أهل بيت الرسول ويحفظون وصية النبي فيهم
 ٣١٥ ويتولون أزواج النبي ﷺ ويؤمنون بأنهم أزواجه في الآخرة
 ٣١٨ فضائل خديجة وعائشة رضى الله عنهما
 ٣٢٢ أهل السنة لا يخوضون فيما شجر بين الصحابة
 ٣٢٧ مقامات الصحابة نحو ما قد يقع منهم من الخطايا
 ٣٣٣ من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء
 ٣٣٤ من هو الولي ؟ وهل تقع منه معصية ؟
 ٣٣٧ ذكر شيء من كرامات الصالحين
 ٣٣٨ من طريقة أهل السنة اتباع آثار النبي وأصحابه
 ٣٤٣ التحذير من البدع وتفسير (نعمت البدعة)
 ٣٥٠ الإجماع المعتبر هو ما كان عليه السلف الصالح في القرون الأولى
 ٣٥١ أهل السنة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
 ٣٥٣ إنكار المنكر على أربع درجات وبيانها
 ٣٥٤ أهل السنة يرون الحج والجهاد والصلاة مع الأمراء الأبرار أو الفقهاء
 ٣٥٨ ويدعون بالنصيحة للأمة
 ٣٦٠ يؤمنون بالتعاون بين بعضهم والتراحم
 ٣٦١ ويأمرون بالصبر والشكر والرضا بالقضاء
 ٣٦٢ ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال
 ٣٦٦ ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام والجوار
 ٣٦٩ ويندبون إلى الإحسان إلى اليتامى والمساكين
 ٣٧١ وينهون عن الفخر والبغى
 ٣٧٥ افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة
 ٣٨١ الفرقة الناجية لا تزال باقية إلى قيام الساعة

